

مُعْجَزَاتُ قَلْبِ الْقُرْآنِ

تأليف

هاشم محمد سعيد فتر دار المدني



للنشر والتوزيع والطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة
مزيدة ومنقحة

١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ

١٩٨٢ / ١٩٨٣ م



للنشر والتوزيع والطباعة

الإدارة ت: ٦٣١٠٠٣٢

المكتبة ت: ٦٤٢٦٦١٠

تلكس ل: ٤٠١٢٠٩ ~ برقية: مشكاتنا

ص.ب: ٤١٤٦ جدة

مُعْجَزَاتُ قَلْبِ الْقُرْآنِ

الإهداء

عادةً درج عليها جلّ المؤلفين منذ أبعد الأزمان ، لاعتبارات في أنفسهم .

١ - مؤلفٌ يهدي ، لأنعمٍ سلفت ، أو مودة خالصة تحققت : وهو وفيٌّ ، والوفاء انسانية !!

٢ - ومؤلفٌ يهدي لأنعمٍ يتوخى الوصول إليها ، أو لمودة يرجو الانتفاع بها . وهو آملٌ . والأمل لا يصدق إلا لدى الكرام ، والكرام قليل !!

٣ - وهناك مؤلفون انسانيون ، أهدوا لأبطال عالمين ، زاروا كرتنا الأرضية ، وحققوا مودّات أمن وإيمان وثقة ونصح : بين أهلها ، دون ما تمييز بين شرقي وغربي، وبين أبيض وأسود ، وبين مثقف وأمي ، وبين قريب وبعيد ، وبين متفتح على الناس ومتزمت منطوي على نفسه .

وكان ما حققوه من النعم لا كمثلها النعم سموً انسانية ، وشمول هداية ، ونصرة سعادة، وخلود سلام، واستمرار عطاء ، وتجدد مودة .

ويهزني هذا اللون من الإهداء ، وأوتره على كل إهداء . لأن مكان أولئك الأبطال من كل قلب بشر انسان ، مكان خفقة الحب .
وصنفتهم أدق تصنيف ، فما رأيتني ذقتُ يقين الطمأنينة متفجرةً
ينابيع سماء في الأرض ، وينابيع آدمية في الحيوانية ، وينابيع معرفة في
الأمية إلا من مصدرين كريمين متلازمين مصدر أعمال رسل الله ،
ومصدر وحي الله .

وبما أن أولي العزم من رسل الله : نوحاً ، وإبراهيم ، وموسى ،
وعيسى ، ومحمداً - صلواتُ الله وسلامه عليهم - كانوا أرفعَ بنياناً ،
وأسطعَ برهاناً ، وأسمى إنسانيةً ، وأكثر إفادةً للأفراد والجماعات كافة .
حداً بي صدق الإيمان أن أرفعَ مؤلفي هذا إلى قدسِ مكانهم
العالي المتألق ، في محراب السماء .

أما هدموا مغاورَ الأدغال الوحشية في أنفسنا ؟!! وسلسلوا نرغات
غرائرها الخاسرة بكتبِ وحي الله ، ومعارفه الصاعدة ، وحضارته الراقية ،
وشرائعه العادلة .

رفعته إلى مكانهم المقدس في أفق السماء الأعلى ، وأنا ألوحُ به
تقدمة متواضعة إلى شامخ أعجادهم المباركة . وسعادتني بقبوله لا تحداً ،
لأن ما كملهم الله به من خلقٍ لا يُحد ! أليس هو :

- ١ - شُعلة قيسٍ من توهج وحي الله إليهم .
- ٢ - وسجعة سلامٍ حنون ، جاءت صدىً ، لسجعات حمائم سلامٍ
أطلقوهن ليرجعن الدهر أمانى مثل الإنسانِ الانسان .
- ٣ - ونفحة هداية من طيب أنفاسهم الزكية عبق بها الدنيا ،
لتطهر من نتنِ الأنفاس الكهرمية الخبيثة الملحدة .
- ٤ - ومسؤولية ضميرٍ أيقظته عهدة ضمايرهم الداعية إلى التزام مسؤولية
الحق بموازين الحق .

الكريهة
٤

وكم من ضمائر حجزوها عن الهوى في مهالك الباطل ، بفضل موازين الحق المتزلة اليهم من رب العالمين .

هـ - وطُرفة معرفة ، من طرف معارفهم السماوية اللائي هن عقل يقين العلم الصاعد ، وعينه اليقظى الساهرة ، وقسطاسه العدل السرمدى .

وفي هذا العصر انصدعت ذرّة المادة التي كانت تحجب علماء المادة عن صحيح الرؤيا^١ . وشاهدوا أول لمحة من لمحات عوالم الطاقة . وما أكثر عوالم الطاقة ، وما أوسع ميادينها وأنواعها ووظائفها . حسبهم انهم أخذوا يشاهدون من نافذة العلم ، ما كانوا يشاهدونه من نافذة الوحي .

وما من ظلام يحجب العقل عن الرؤيا إذا هو صمم على الرؤيا بالعلم ، وإنما الذي يحجبها على كل حال هو ظلام الجهل في القلب .

والإيمان القطعي الذي جاء به أولو العزم من الرسل : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم - هو عين يقين العلم .

وما هي عربات الفضاء الكشافة أخذت تنتقل من كوكب الى كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية .

فلا بد أن يأتي يوم يعلم فيه سائر الذين كفروا بوحى الله ، انه الرؤيا الحق ، وانه نور يقين العلم .

وليس في ثقافة المادة الصماء الكثيفة إلا ظلام الفروض التي التبتست بحقائق العلم اليقيني تخيلاً ، وإلا أساطير الكهنة التي دُست في عقائد الوحي الإلهي باطلاً .

١ اخترت مصدر رؤيا الحلم . لأن الملحدين كانوا يحسبون حقائق عوالم الطاقة أحلاماً .

ولا يعلم إلا الله هل ينتهي الانسان من دراسة كواكب مجموعتنا الشمسية الأرضية بأسلوب العلم ، وينتقل بعدها الى المجموعة التي تليها صعوداً من مجموعات مجرتنا التي هي الأولى بالنسبة للمجرات المترامية في أبعاد الفضاء ، أم تسبقه رعونة غرائز الغاب الوحشية فتقضي عليه .

واختراقُ عوالم الكواكب والمجرات الى السبع الطباق وما وراءها ليس مستحيلاً . لأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم اخترقهن بسرّ قدرة الله .

ووحى الله اليقيني بنص على الإمكان ، وينص أن عوالم السموات والأرض طوع إرادة الإنسان نظراً علمياً ، وتسخييراً علمياً :

١ - النظر العلمي في قوله تعالى :

قُلْ اَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ
وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠ - ١٠١)

٢ - والتسخير العملي في قوله تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٥ - ١٣)

ولا يدري أحدٌ هل يتمكن سلطان العلم من اجتياز مجموعتنا الشمسية الأرضية الى التي تليها من المجموعات الأخرى التابعة للمجرة الأولى من مجرات - لما يحص العلم أعدادهن - !! أم ينطلق الشواظ والنحاسُ

المدّخر في قنابل الذرّة والهيدروجين ، وهم سكارى في عُرَام الكفر
الحاجب عن صحيح رؤيا الإيمان بالله الخالق العظيم جلّ وعزّ ، لا يدري
أحد !! لا يدري أحد !!

وماذا أقول ، أو يقول سواي ... والله جلّ جلاله يقول :

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ
لَفَاسِقِينَ (٧ - ١٠٢) ويقول :

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (١٤ - ٣٤) ويقول :

(١) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ
يَغْرُجُونَ (١٤)

(٢) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ.
(١٥ - ١٤ و ١٥) ويقول :

(١) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَوْ رَدُّوا
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . (٢٨)

(٢) وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ .

(٦ - ٢٨ و ٢٩) ويقول :

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَةً
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَةً .

(٨ - ٣٢)

فهذا كله هو الذي جعلني أذوبُ حسرةً ، على أيام النور المباركة ،
التي كان فيها رسلُ الله ، أعلامَ الهدايةِ والإنسانية في الأرض .

وكم كنت أتمنى ، لو كنتُ معاصراً لهم ، أستقي النورَ من منابعه
المقدسة ، ولا أشاهد كثيراً من البشر ، الذين لم تتطور نفوسهم بعدُ
ليدخلوا في دور إنسانية رسلِ الله صلوات الله وسلامه عليهم .

وحين حُرمت هذه الأمنية ، جاهدت نفسي لأعيش في هداية هاتيك
الأيام ، التي زار فيها رسل الله ، هذا العالم ، وأنا أُتبع آثار خطواتهم
المباركة ، مع النظر الحرَّ العلميِّ الخالص ، والتفكير العميق الصادق .

وقد كان هذا المؤلفُ ، خلاصةَ ما نظرتُ ، وعلمت ، وفهمت ،
واقبست .

لذلك لم أجدُ ما يشرفني حقاً ، ويسعدني حقاً ، إلا أن أرفعه
إليهم ، لأحظى برضا الله ، ورضاهم ورضا العلماء العاملين المخلصين .

هاشم محمد سعيد دفتر دارالهدى

مقدمة الطبعة الأولى

١ - لمحة

إني قصدت أن يكون حديثي في هذا المؤلف مقتصراً على كشف حقائق سورة (ياسين) القطعية . وبيان ما أمكن من معجزاتها المتحدية : مُفسرة بما وصلت اليه معارف الحضارة الحديثة من يقينيات . وطرح الظنيات وربها .

كذلك لم تكن كتابتي عن سورة ياسين سطحية . بل هي دراسة علمية بكل ما يسعه الجهدُ واتقان العمل ، واخلاص النية . أسوةً بالكاتبين السابقين . من علمائنا الأعلام ، أجزل الله لهمُ حُسن المثوبة .. وكل ذلك بين يدي المثقفين المتعمقين يلمسونه لمس اليد ...

٢ - تلاوة سورة ياسين

ما أكثر الذين يتلون هذه السورة المباركة من المؤمنين وسواهم...
المؤمنون يتلونها بكثرة . لما ورد : سورة ياسين لما قرئت له .

- وسوى المؤمنين يتلونها ، مرة بعد أخرى ، ليتعمقوا دراستها .
- ويعوا كنه معجزاتها . لأنهم قرأوا « يس قلب القرآن .. » .
- وهم يعلمون أن القلب هو القيمُ المقومُ أعمال الأعضاء كافة .
- ولم لا ؟!!.. وهم رأوا أن الله أقسم في ابتدائها بالقرآن الحكيم ،
- على إثبات رسالة خاتم رسله محمد ﷺ .

يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .

(٣٦ — ١ و ٢ و ٣)

- ولا ريب أن من يتعمقها دراسة ، يتحقق أنها قلب القرآن ،
- وأنها حُجّة قاطعة لإثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ ، لأنه يجدها مشتملة ،
- على فريق كبير من معجزات عالمية متجددة متحدية سابقة لمعارف الأجيال .
- يحس أنها مهياة لأزماننا وما بعد أزماننا ..

٣ — التفسير والتأويل

- إن الذين يتعمقون دراسة مؤلفي هذا أولاً فأولاً يجدونني أخذت
- بالقول الذي لم يجعل التفسير والتأويل شيئاً واحداً^١ بل أخذت بالقول
- الذي يميز بينهما .

١ — فالتفسير هو اعتماد مدلول الوضع اللغوي الأصل لمفردات الآيات ،
وإذا لم يعتمد الوضع اللغوي الأصل للمفردات ، جاء تأويل الآيات
منحرفاً عن مثل القرآن العليا ، التي أنزل من أجلها ، ويصبح التأويل

١ أنظر قول الراغب الأصفهاني ص ١٩ من كتاب التفسير والمفسرين لمحمد حسين الذهبي .

باباً واسعاً للدّس والإفراء والعبث ، وتفسير العلم بالجهل واليقين بالريب ،
وذلك كمثّل من جعل القطاطيب جمعاً لقُطَاب في قول الشاعر :

فلولا المزعجات من الليالي لما ترك القطاطيب المناماً

وقالوا ساخرين !! وما هو القطّاب ، انتفخ ونفخ وراح يقول ،
القطّاب كثيب الرمل ، قالوا هل كثيب الرمل ينام ، هز رأسه وقال ،
ما أجهلكم ؟! أما ترونه يسكن بعد أن يكون عاصفاً^١ !

ومن هذا القبيل من يفسر « البنون » من الآية الكريمة بالأسنان
جهلاً ، لأن البنون هم الأولاد .

٢ - والتأويل كشف لمضمون مدلولات الجمل التي تدل عليها الآيات
من قريب دون خروج بالألفاظ عن مدلول وضعها اللغوي إلاّ لسبب
مقصود أصالة . مع البعد عن التلاعب بالمجازات والاستعارات والتوريات...
مضافاً إليها حسم مفتريات الروايات الإسرائيلية ، وأضاليل الأفاصيص ،
والرؤى ، وطرح جدل توجيهات المذاهب المتعارضة ، التي تجعل الانتصار
للقول المذهبي غاية ، لا لكشف يقين الحق ، الذي هو غاية الباحث
العلمي المخلص .

هذا هو التأويل الصحيح ، وما عداه التأويل الفاسد ، وإنك ستجد
في بحث معجزة المواصلات التأويل الصحيح القريب المركز في آتي رقم
٤١ و ٤٢ .

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْجُونِ .

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٣٦ - ٤١ و ٤٢)

ولا ريب أن الدارس التريه ، الذي آتاه الله الوعي العلمي ،

١ هذه حادثة شهدتها أثناء طلب العلم في الأزهر

يؤثر بكلِّ يقينه وبكلِّ حواسِه وبكلِّ علمه التأويل الصحيح ، ليضمن لنفسه سلامة ما يبحثه وما يدين به . على وجهه العلمي اليقيني .

كما يستطيع أن يكشف حقائق العلم والوحي معاً ، ويستطيع أن يكشف الحقائق المكنوزة في آيات القرآن أكثر مما كَشَفْتُ ، لأن الوعي العلمي مصدرُ مدهشات الحضارة ، ومحلُّ اكبار العلماء ، ومطلب الأجيال الناشئة في كل أمة .

وصاحبُ الوعي العلمي يحارب الإلحاد كل المحاربة ، كما يحارب التأويل الفاسد ، لأنها متاهات من الضلال في حوالك الظلمات ، ولأنها يهدمان يقينَ العلم والوحي معاً كل الهدم .

والإلحادُ والتأويلُ الفاسدُ . لا يخفيان على صاحب الوعي العالمي . وإن حاول الدسّاسون أن يظهرهما باطلاً في ألف صورة للحق . لأن مجانه الدسّ والتشويه والإفساد والكسب الحرام . والانتهازية المختلصة . والإباحية المجرمة ..

٤ - أمثلة التأويل الفاسد

« لو أراد كاتب أن يعرض التأويل الفاسد . لآيات القرآن الحكيم ، لما وسعه مجلد .

وأحدث ما قرأته للتأويل الفاسد ، ما كتبه طنطاوي جوهري في تفسيره لسورة المُمَزَّزَةِ ، في قوله تعالى :

نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلَعُ عَلَى الْأُفْدَةِ (١٠٤ - ١٠٦ و ٧)

إذ قال أشعة روتنج المذكورة^١ التي اشعتها كالعمد ، يرى بها

١ راجع تفسير الجواهر ج ٤٢ عند تفسير سورة المُمَزَّزَةِ .

الأطباء ما خفي في الجسم ، فيعرفون بواطنه ، فيكون ذلك كالرمز إلى الاطلاع على الحقائق ، ويقول فاذاً اطلع النار على القلب سواء أكان بالإحراق لمن هو في أوّل العذاب ، أو بكشف الحقائق ، واطهار ما اختبأ في السرائر من العيوب المخزية .

وأشعة روتنج ليس هنا مدلولها من آيات الله ، ومن الفساد التأويلي جعل الآية تدل عليها .

ومن التأويل الفاسد ، المدسوس قديماً ، ما ذكره الشاطبي الغرناطي ، في كتابه الموافقات ، أن جماعة من الرافضة ، يؤولون قوله تعالى :

فَلَن أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكَمَ اللَّهُ لِي
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٢ — ٨٠)

التي نزلت في قصة يوسف عليه السلام ، وإخوته ، « يقولون إن علياً في السحاب ، فلا يخرج ، يعني مع من خرج من ولد له ، حتى ينادي مناد من السماء — تريد علياً أنه ينادي — أخرجوا مع فلان » يقول جابر فذا تأويل هذه الآية وكذب .

إضحك أو إبك لهذا التأويل ، إن كنت من الضاحكين أو الباكين ، اضحك من دهاء واضعي السخافات ، وابك من أجل الحمقى المغفلين ، الذين يصدقون مثل هذه السخافات ، ويجوز فكري واضعها عليهم .

« واني رأيت أبسا اسحاق الشاطبي ، ذكر كثيراً ممن ألوان هذه التأويلات الفاسدة ، فجراه الله عن العلم والعلماء خيراً ... »

« والآن بعد هذا العرض لشواهد التأويل الفاسد ، أستطيع أن أعلن ،

١ راجع جزء ٣ ص ٩٣ من الموافقات .

أن مخترعي التأويل الفاسد في الكتب السماوية . ليسوا من بناة العلم ،
الصادقين الصرحاء أبداً .

ولو حاولوا ذلك لما استطاعوا ، ما داموا يهدفون من وراء ذلك
بلوغ نزواتهم ، وحطام الفانية ، وهدم واقع العلم اليقيني في تأويل الآية .
والحق أنه لا يتعمد دس التأويل الفاسد ، في كتب الوحي الآلهي ،
إلا ملحد خبيث ، ذو نزوات فاجرة ، أو منافق آثم ذو مطامع عارمة .

٥ - قصد العلم اليقيني

« قد بذلت وسع جهدي ليكون هذا المؤلف عن العلم اليقيني ، في
كل موارده ومصادره .

فاذا تبين للمتعمقين الباحثين المتتبعين منابع معجزات القرآن المجيد ،
والعاملين على كشفها للناس بنشاط وتضحية وإخلاص ، أن في ما اشتمل
عليه مؤلفي هذا مخالفة لواقع العلم اليقيني ، فأرجو إعلامي ، لكي أتدارك
ذلك في الطبعة الآتية . - إن شاء الله - .

والإنسان مركب على الخطأ والنسيان ، ولا عصمة لأحد ، العصمة
لا تكون إلا لرسول الله .. صلوات الله وسلامه عليهم .

ولا ريب أن أكبر جئنة البشرية الهدامين ، هم الذين يعبثون بالحقائق
العلمية ، ويحورونها حسب أهوائهم ومشتهاياتهم وعنصرياتهم ، ويشردون
بها عن مناهجها المستقيمة ، عامدين مصرتين ...

« ما أوسعك يا جهنم » !! وما أكثر أهلك !!

لأن تعمد هدم واقع العلم في أي موضوع كان ولأي كان ، عذابه
في الدنيا من عذاب جهنم .

٦ - موضوعات الكتاب

• إن موضوعات الكتاب خمسة ، جميعها يتصل بآيات سورة ياسين من قريب أو بعيد .

الموضوع الأول

الأبحاث العامة ، التي تكشف حقائق الإيمان بالله وكتبه ورسله وما يتصل بها .

الموضوع الثاني

المعالم والصوى التي تعين الطريق المؤدي إلى فهم آيات سورة ياسين .

الموضوع الثالث

تفسير ألفاظ سورة ياسين .

الموضوع الرابع

تأويل آيات سورة ياسين .

الموضوع الخامس

• عرض المعجزات المدخرة في آيات سورة ياسين .

وهذا القسم الأخير هام جداً ، لأن فيه البراهين العامة اليقينية ، المؤيدة صدق قسم المولى جل وعز بالقرآن الحكيم ، على إثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ ، زيادة عما ذكره العلماء من معجزات ، صياغة الأسلوب ، وروعة السياق ، واختيار الألفاظ ، التي تكشف حقائق المعارف كشفاً عجباً ، في روعة البيان وإعجازه ، وفق صعود المعارف واطراد الحضارات .

وبعد. فإن المطالع المثقف ، لا يخفى عليه تقديم كلمة على كلمة ،
أو غموض معنى ، أو خطأ مطبعي .

هذا واقع كل مؤلف . ومهما يكن ، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .
والعلماء المخلصون إخوة في الله والعلم ، وهم لا يزالون في الدنيا كثير ،
وليس لهم في مجال الحضارة إلا أن يتعاونوا بمودة وإخلاص ، لكشف
حقائق العلم اليقيني ، في ما بين أيدي الناس ، وليحولوا ما بينهم وبين
الإنحراف والإلحاد والفسوق والعصيان والتخلف .

٧ - الحديث عن معجزات سورة يس

* إن الحديث عن معجزات سورة ياسين قديم ، فقد كنت تحدثت
به إلى طلابي ، في الكلية الشرعية (أزهري لبنان اليوم) منذ ثلاثين
عاماً فأكثر ، وهو لا يزال في دفاتر الطلاب .

فقد رجعت إليها وأضفت ما اكتشفه الانسان من علوم ، والانسان في
كل يوم يكتشف منها الجديد الطريف ، وذلك من ما أودعه الله جل
جلاله من معارف لا نهاية لها في تكوين الكائنات .

أما كانت العناصر في علم اليونان أربعة ، وهما هي اليوم في معارف
عصرنا تجاوزت المئة ، ولا يدري أحد ما يكتشفه الغد منها .

ولا ريب أنه في كل يوم يصدق قول الله عز وجل :

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . (٩٦ - ٥ و ٤)

٨ - عرض الحقائق

* وأخيراً آثرت أن اكتب الكلمات بكل حروفها المنطوقة ، لأنني

أستحي أن أقول ، « إني شاهدتُ بعض الشبان الذين يحملون الشهادة الوسطى ، وما فوق ، لا يحسنون قراءة الكلمات : إذا لم تكن مستوفية كل حروفها » خذ مثلاً كلمة الرحمن . فهي إذا لم تكتب هكذا « الرحمان » أساءوا قراءتها ، ولم ينطقوا بالألف . ومن أجل ذلك حين أتكلم عن معجزات سورة يس ، أكتبها بكل حروفها ، ياسين . فراراً من أن يقرأوها « يَسَنُ » .

وقد كان الناس قديماً يُعَلِّمون أولادهم إتقان قراءة القرآن، وتسطيره المعتمد منذ الطفولة ، وقد كنت طفلاً أَلَقَّن حفظ القرآن المجيد . في كتاب المرحوم ، استاذنا الشيخ إبراهيم الفقيه في المسجد النبوي ، وادرب على تخطيطه في لוחي الخشبي ، ولكل تلميذ لوحه الخشبي .

وكم يأسف أحدنا اليوم ، حيث لا يجد بين أطفالنا من يحفظون القرآن ويدربون على تخطيطه منذ نعومة أظفارهم إلا ما ندر في كل بلدة ، مع أن أطفال الأجانب يدربون على صحة النطق بكلماتهم المتوارثة، وتخطيطها على علاقتها ، أي بزيادة الحروف المهملة ونقصان الحروف المنطوقة بكل اهتمام ومِرَانٍ ، حتى أطفالنا إذا وصلوا إلى معاهدهم ، والمهاجرون إذا هاجروا اليهم يفعلون بهم ذلك ، حِفْظاً على مكانة لغتهم من التبدد والإنهيار والتلاشي ، بل هم لا يسمحون للمهاجرين من العرب وسواهم أن يوظفوا لديهم في الأعمال حتى تعطى لهم شهادة باتقان النطق بالكلمات من معاهد خاصة مُعَدَّة لذلك . وتقدم منحاً من المال للإغراء والدأب وحُسن الإتقان ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

وكم من حكمة وعمق نظر في قول شاعر النيل حافظ إبراهيم عن لسان اللغة العربية :

أرى لِرِجَالِ الغُربِ عِزّاً وَمَنْعَةً وكم عِزّاً أَقْصوامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ تَفَنُّناً فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ

أُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ
 وَلَوْ تَزَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
 حَفِظْنِي وَدَادِي فِي الْبَلِي وَحَفِظْتُهُ
 وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرَقٌ
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا
 يُنَادِي بِوَادِي فِي ربيعِ حَيَاتِي
 بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَتَاتٍ
 يَعْزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
 لَهُنَّ بَقْلٌ دَائِمٌ الْحَسَرَاتِ
 حَيَاءٌ بَتْلَكَ الْأَعْظَمُ النَّخِرَاتِ
 مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
 وَفِي الْخَتَامِ أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ..

أَنْ يَمْنَحَ صَدِيقِي الْحَاجَّ مُحَمَّدَ سَعِيدَ عَانُوتِي عَلَى تَسْطِيرِ مُؤَلَّفِي هَذَا
 نَخْطَهُ الْجَمِيلَ - كُلُّ مَا يَصُبُّ إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَهْدَى .
 إِنَّهُ سَمِيعٌ مَجِيبٌ .

مقدمة حول مكانة الكتاب

الحمد لله الذى جعل الحياة نعمة يفيد منها المؤمن كسبا لذكراه الخالدة الطيبة فى الدنيا ورحمة ونجاة من مهالك الآخرة ..

والصلاة والسلام على من انزل الله عليه وحيه ليكون معجزة الابد المتحدية كل معارف الحضارات وبعد :

فانى كنت اتردد من اونة واخرى الى منزل الصديق المرحوم ابراهيم شاكروانا مهاجر فى لبنان ، فانا واياه من ابناء المدينة المنورة ، والغربة تضاعف المودة .

وكان يحب العلم واهله غاية ويؤثرهم بالحفاوة والاهتمام وبالأحرى المواطنين منهم ، وانى لاأزال اذكر اهتمامه يوم وفد عليّ الى لبنان ابن خالتي الشيخ عمر برى للاستشفاء وكان نازلا عندى وكان ابراهيم شاكروانا يتعهده بالزيارة يتردد عليه دون انقطاع وهو يحب ان يشجع الدعوة الى الله جل وعز وبالأحرى فى الجماعات التى زلت بهم الاقدام عن غير عمد منهم فى ذلك ...

وكنت انما ازال فتيا قادرا على الرحيل والتجول فى اشهر الصيف التى تتعطل الدراسة فيها استجماما للمدرسى العلوم وطلابها ..

وكنت اوافيه بالتقارير فى هذا الامر كما طلب إلى الاهتمام باحفاده السادة محمد وحسن وحسين من اجل تعلم القرآن واللغة العربية .

وكان يحب الاطلاع فى اوقات الفراغ على مايجد من المؤلفات الاسلامية والادبية والاقتصادية واذكر انى اذا ألّفت كتابا عرضته عليه وكان ذلك يسره .

وكنت ألّفت رواية صورت فيها مجد العرب فى غرناطة فى الحمراء واسميتها الى غرناطة ، ،

وكان ذلك منذ ثلاثين عاما واكثر فلما قدمتها له .. وكان يصحبه فى ذلك الصيف محمد سرور الصبان واهديته كذلك نسخة سرا بها وشجعانى على مواصلة الكتابة والتأليف ..

كنت اتلقى اسئلة جمة حول معجزات القرآن وحول تحديه الصارخ وكنت اجيب على بعضها فى محاضراتى فى الجمعيات الاسلامية وفى بعض المعاهد العليا الحكومية وكلية الحرج لما كنت فى لبنان .

وكان اهم الاسئلة التى وجهت الى من بعض الدارسين عن بعض المعجزات العلمية التى يدل عليها القسم بالقرآن لاثبات الرسالات السماوية التى جاء بها للناس كافة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه . .

وهو قسم بين لاغموض فيه ولا ابهام وكنت اشترت فى احدى كلماتى التى نشرت فى الصحف عن القسم لأن بعض المستشرقين الذين يفدون إلى بيروت تساءلوا عن بعض أسرار القسم ومؤداه وواقعة والغاية منه ص ٢٣ منه .

وكان جوابي صريحا ومنتشورا فى مؤلفى هذا معجزات قلب القرآن وضعته بعد دراسة طويلة استغرقت عاما وشطر العام . قام بطبعه للمرة الأولى التاجر اللبناني المعروف السيد عمر بن عبدالله الفحل .

ويشهد الله حين الفته لم أكن متوقعا ان يحرز ما احرز من اهتمام الدارسين فى كل مكان حتى لو حاولت ان اجمع ماكتب عنه لكان مثليه فى الحجم .

وعلمت من هنا ان الكتاب الجيد النافع الحامل للعلم والادب دعايته كائنة فيه . وهذا ماكان من جهة الطبعة الأولى حتى وصل بها الأمر انها بيعت ممن تحصلوا عليها بمائة ريال وزيادة .

ومن اجل ذلك لما تولى طلب مؤلفى «معجزات قلب القرآن» وتلاحق وكثرت دراسات الكاتبين عنه فكر الشاب الوجيه السيد غازى بن السيد اسماعيل حفظى الذى كان وكيل امارة المدينة المنورة ان يجدد طبعه للمرة الثانية ليكون لوالده ذكرى ورحمة .

وكان الذى اشرف على هذه الطبعة الثانية سعادة السيد محسن احمد باروم وكان السيد أحمد قد اطلع على المؤلف ووجد فيه البراهين العلمية اليقينية التى تكشف معجزات قلب القرآن (ياسين) .

ومن اجل ذلك طبع قسما خاصا باسم دار الشروق ليكون معونة لتجديد طبعه مرات عدة والسيد محسن احمد باروم اوقف نفسه للنهوض بخدمة الاسلام والدعوة الى الله فى كل الدنيا . وهو رجل العلم والخير والهدى والمودة ، واسمه - والحمد لله - حلورطب على ألسنة دعاة الاسلام .

لما اخبرته ان الوجيهين الشقيقين نجلى المرحوم ابراهيم شاكرا قررا ان يقوموا بطبع المؤلف للمرة الثالثة ليكون رحمة وحنانا وبركة لذكرى والدهما العظيم ابراهيم شاكرا . سر كثيرا جدا وذكر ان رسائل وافته من هنا ومن هناك تطلب الكتاب كما وافت الصديق الفاضل الشيخ عبدالوهاب الفقيه لانه كان لديه قسم منه ونفذ .

الزيادة في الكتاب

ان الذى ينظر فى هذه الطبعة الثالثة يجدها سوى الطبعتين السابقتين لأن هذه الطبعة فيها زيادات وبيانات لم تكن فى الطبعتين السابقتين . على ان استيعاب كل معجزات كتاب الله فى مؤلف واحد غير ممكن ولو امكن جمع اضواء الشمس الدافقة على عالم واحد لأمكن جمع اضواء معجزات قلب القرآن المتجددة أبدا فى مؤلف واحد . . .
وانى ارجو من الله أن يوفقنى ان اتبع هذا المؤلف وأخر حتى اكون قد اتممت شبه معلمة . . لانى ما دمت فى هذه الدنيا فسغلى الشاغل هو خاتم الوحي الالهى ، والفضل لله جل وعز .

وانى أرجو أن ألقى وجه الله يوم الدينونة باضواء كلامه الأزلية وبدفقات حبه فى فؤاد يظل يخفق بحبه ويشهد الله والله خير الشاهدين لو كنت املك مال قارون لانفقتة فى سبيل الدعوة الى ايجاد مؤلفات جديدة باقلام فحول العلماء والفلاسفة والمفكرين من كل امة بل لأقمت مجمعا خاصا لطبع المؤلفات الحديثة الخاصة بكشف معجزات خاتم كتب السماء وتحدياته ومعارفه وكل ما يتصل به .
والله على ما أقول شهيد وهوولى التوفيق واليه المرجع والمآب ولعنة الله على الكاذبين . .
وصلى الله على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه اجمعين . .

حول مكانة الكتاب

حياتنا الدنيا ألوان وألوان وفى كل حضارة يبدو بعض ألوانها ويختفي البعض والوانها مفرغة فى دائرة متكاملة كحلقة الطيف ولكن لا يظهر للنظارة من الشرق والغرب الا نصف الدائرة ومن اجل ذلك اسماء العرب قوس قزح لان القوس نصف الدائرة .
ولا تظهر كل الدائرة على حقيقتها الا لمن انطلق من جاذبية التراب ونظر اليها وهو بعيد عن حجاب الشطرين حيثئذ يشاهدها على حقيقتها دائرة متكاملة بالوانها .
وهنا الهول لان الناظر اليها وهى فى دائرتها كاملة اما ان تكون عينه زرقاء أو سوداء أو صفراء وعليها نظارة من لونها فهو محال أن يراها فى غير اللون الذى تحمله نظارته ولذلك تجد الشيء الواحد ذا الحقيقة الواحدة تكثر حوله الاقاويل ويختلف فيه النظر ولو نظر وا اليه بعيونهم المجردة لما كان ثمة من خلاف أبدا . .

وكم وكم هم الذين ينظرون الى الحقائق من وراء نظاراتهم لذلك تبدو الحقيقة الواحدة ذات ألوان والقلائل الذين ينظرون الى الحقائق بعيونهم المجردة وهؤلاء القلائل هم ائمة الهدى والدعاة الى الانسانية الصالحة والمودة البريئة وحينئذ لا قديم ولا جديد ولكن الحقيقة هي الحقيقة فكم من تصوروا القديم جديدا وكم من تصوروا الجديد قديما لجهلهم بالحقيقة والحقيقة هي زينة حياتهم ومتعتهم بجماها على علاها وهي الجديد بالنسبة اليهم لأن الحياة كلها جدت في بشر جدت معهم لفقاتها وتبعاتها والجديد من ألوان الحياة تبدو فيهم حقيقة من حيث ينتهي القديم .

والوان الحياة الانسانية يتداولها الليل والنهار والبدية والنهاية غارتان في لجج معارف الوجود ولا يعلمها بداية، ونهاية، وحركة، وسكونا، ذرة، ذرة، وطاقة، طاقة، الا الذي كونها تكويننا « هو الذي بيده ملكوت كل شيء وله الخلق والامر . . » واي لون من ألوان الحياة ظهر كان مما هو مقرر ظهوره في دائرة التكوين، والشرق لا يرى شطر الأول والغرب لا يرى الا شطرها الثاني ولو انها نظرا معا بعين العلم المجردة وسمو الانسانية العالية الى الدائرة من وراء الجاذبية لا بصرا الحقيقة الواحدة الجامعة ولما اختلفا، ولما افترقا، ولما ارتاب احدهم من الآخر في شيء .

ومن اجل ذلك لن يجمع الانسانية ويوحد كلمتها ويذبحها في نفسها الا وحي الله لانه يجيء من وراء الحجب، وحقيقة الدائرة بينة فيه بكاملها . . اسمع ما يقوله الله في وحيه .

« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم » سورة الشورى آية ٥٢ .

الكتاب

اذن فلون الحياة الثابت الزاهي على امتداد الابد في جمال الواقع الناطق هو الكتاب والكتاب يظل حياة عالية زاهية في واجهة الابد . ألا ان أشرق اشراقات العلم ألا ان افتن مفاتن الحياة، الا ان اخلد خوالد البيان هو الكتاب، والكتاب لاسواه وكل ألوان الحضارة تمحي وتزول وتضبح اطيافا واحلاما وذكريات الالونا واحدا لا يمحي ولا يحول ولا يزول وليس في طاقة البشر ان يمحوه او يحيلوه أو يزيلوه، ذلك اللون هو الكتاب . .

ولولا أن الكتاب عظيم وعظيم جدا لما اسمى الله وحيه المنزل كتابا . .

«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» سورة النحل آية ٨٩

وسقط الاغريق القدماء في خبر كان ، سقطوا هم وزينة مدنهم وعزة سلطانهم وزخارف ديناهم ولكن شيئاً واحداً لم يسقط ولن يسقط أبداً هو الكتاب . فالكتاب كل شيء في الحياة بل هو الحياة بل بلغ الامر حتى في جاهلية العرب فانه أكبر الكتابة ايما اكبار حتى دونوا المعلقات السبع وعلقوها في جوف الكعبة في طرفة الذهب .

ونحن الان في تعاون هذه النهضة الاجتماعية العربية السعودية التي اقام عمادها الملك عبدالعزيز آل سعود تشاهد قاداتها وفروا كل المعونة المادية ليكون الكتاب وهوركنا الركين على كل عهود تاريخ الكتاب العربي حتى اصبحت المطابع الكبرى تعد له العدة والمكتبات الكبرى تشيد وشركات اعداد الكتاب توزعه بتنظيم على كل مدن المملكة . ونستطيع ان نقول ما هي الا بضعة اعوام حتى تكون المكتبة السعودية الحديثة اضخم مكتبة عرفتها الدول الاسلامية والدول العربية في تاريخها الطويل .

اجل ان الكتاب الحديث في هذه النهضة عملاق قممها وأرفع منائر عمارها ومادام الغذاء الجيد هو هدف الدارسين والدارسات والمطالعين والمطالعات فليس من الضروري الحملات التي تعاد في الصحف كرة وكرة حول افراد الكتاب العبقري الخالد بالطبع دون سواه لأن كل انسان يتناول غذاءه الصالح له .

ان الانسان المثقف كلما نضج عقله وسمت ثقافته وصحت نفسه واشتدت عزيمته يدع الحسن ويطلب الاحسن ثم يدع الاحسن ويطلب المثل الاعلى لأن الانسان يملك عقلاً وقلباً ذكياً وعزيمة وقادة يظل يطمح الى أمجاد الخلود وكشف حقائق الوجد ويأبى أن يحيا كالسائمة يأكل ويشرب ويثاقل .

واذا كان الطموح اساساً في فطرة الانسان العادي فما بالك بالانسان الحضارى المثقف الطموح .

والانسان كما يطلب الغذاء الصحى الجيد الحسن المناسب لجسده في نمائه وسلامته . كذلك الانسان يطلب الغذاء الصحى الجيد الحسن الذى تسمو به ثقافة وتسلم من العطب والانحطاط . وأوبئة الثقافة وبلاياها أدهى وأمر من أوبئة الاطعمة .

هب ان الف طبيب وطبيب طلبوا اليك ان تتناول طعاماً موبوءاً كريهاً فانك حتماً ترفضه ، وكذلك لو أن ألف باحث وباحث اخذوا يمجدون شعر الوأواء الدمشقى ويفضلونه على شعر المتبنى ثم جاء أديب وألف بعض مختارات من شعر الوأواء وجاء اخر والف

بعض مختارات المتنبي فبالله عليك اى المؤلفين يقبل عليه المثقفون دراسة واستظهارا واقتناء واى المؤلفين يعرض عنه المثقفون . اذن فخصومات نقد المؤلفات التى تطالعنا بها الصحف كل يوم لا لزوم لها بالنسبة للمثقفين اذن ، فخصومات النقد اللاذع التى تنشر حول المؤلفات التافهة فى صحف العالم لا لزوم لها . لأنها لن تقدم مؤلفا يستحق التأخير ولن تؤخر مؤلفا يستحق التقدم .

فنفس المؤلف هو الذى ذاته ان كان عبقرى نافعاً ويؤخر نفسه ان كان منحطاً تافهاً فكهم هم السخفاء الذين حاولوا الخط من شعر احمد المتنبي وتفضيل أبى فراس عليه . فكان الادباء يسخرون منهم ويرونهم مغرورين يؤثر ونهم بالشفقة عليهم ويطلبون لهم الشفاء لأن اشارة الأدنى على الأعلى ليس غريباً أن يكون فى بعض النفوس فهؤلاء الاسرائيليون عافوا المن والسلوى وطلبوا الذى هو ادنى من العدس والبصل والفول فنزل فيه قوله تعالى

« أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير؟ ! البقرة (٦١) »
لا تعجب اذا رأينا من يفضل الروايات الخلية التافهة على الروايات العبقريّة كرواية مجدلين والفضيلة ورفائيل وآلام فرتر وسيد قريش وزينب وأهل الكهف .
ومهما يكن فاتباع الاحسن والأجود والاخذ به وتأيدته والانصواء اليه والهيام به هو الحياة الحقيقة والفوز والنجاح . واتل خاشعاً مستفيداً .

« واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » الآية ٥٥ سورة الزمر .

إن آثار الأمم البائدة والأجيال الغابرة تدخل فى نواويس متاحف السلاح والسيوف والمجوهرات والتحف والطرف الا الكتاب فانه يظل حياً ناطقاً صارخاً فى المكاتب الكبرى العامة والخاصة ، وتجد العلماء وطلاب المعرفة والباحثين المحققين يهتمون بالكتاب وهم من اجل ذلك يترددون على المكاتب العامة والخاصة ، على أن العالم المحقق والاديب البحاث والشاعر الفذ العبقري لا يستغنى عن مكتبة خاصة للمراجعة . .

وهكذا نجد سوق الكتاب في كل الازمان وفي كل الاعصار: والاقبال عليه متزايد لأن الانسان لا يستغنى بتاتا عن غذاء فكر مادام انساناً حياً حساساً له عقل وعلم، وكتاب معجزات قلب القرآن هو من الغذاء الفكرى الجيد. ولولا انه من الغذاء الجيد لما تراءف من طلبه من هنا ومن هناك. وأنى أسأل الله ان يديم به النفع.

صحافي غريبى يسأل عن معجزات القرآن

كان هذا الصحافي صديقاً لتاجر كبير. وكان يحسن العربية لغة فصيحة ولا يفهم اللهجات العامية على كثرة تجوله في اقطار العروبة، لانه كان يجد في كل قطر لهجة بل لهجات تخالف احداها الاخرى.

وكانت تعجبه اللغة الفصيحة الخفيفة التي يتحدث بها المثقفون العرب في كل وطن من اوطانهم وبها يتفاهمون اذا اجتمعوا في هيئة الامم او في الغربية او حضروا رواية من الروايات التمثيلية العالية وكانت لغة القرآن المجيد تلذه كثيرا واذا استعصى عليه فهم آية أو لفظة يسأل عنها أصدقاءه من العرب او يراجعها في معاجم التراجم وكان كلما وافى لبنان وكثيرا مايوافيه يأوى الى صديقه التاجر ويدرس ويايه اهداف آيات الوحي وما تحمل من مثل عليا في العقيدة والعلم والاقتصاد والاجتماع وسواه!

وكان اذا اشكل عليه شيء من القرآن استفسر عن تأويله فيجيبه التاجر بما لديه من علم واذا اقتضى الامر استعان بأهل الذكر.

وفي يوم جاء الصحافي الى صديقه التاجر وهو يحمل طبعة جيدة طريقة لربيع ياسين وقال له انى فكرت في معانى هذه الايات.

«بسم الله الرحمن الرحيم. يس «١» والقرآن الحكيم «٢» انك لمن المرسلين «٣» على صراط مستقيم «٤» تنزيل العزيز الرحيم «٥» سورة يس

ففهمت منها ان الله خالق هذه العوالم غير المتناهية في علم الانسان يقسم بالقرآن ان محمداً بن عبدالله العربى المكى هو من المرسلين. فكان الله خالق عوالم الوجود كافة يقول. إن الله منزل القرآن الحكيم اقسام بالقرآن الحكيم انك يا محمد من رسلى، وانك على طريق مستقيم هو طريقى الذى اوحيته اليك للهداية. وهذا القسم بالقرآن على صدق

رسالة النبي محمد ﷺ هو واضح لدى المسلمين اجمعين ، ولكنه غير واضح لغير المسلمين بل غير المسلمين يأخذهم العجب من هذا القسم الصارخ ويروونه مخاطرة محيرة ويقولون اذا لم يثبت القرآن انه وحى الله بأقوى البراهين العلمية الحديثة واحسمها فالمخاطرة والحيرة تكونان مؤكدتين

والقضية لدينا هي ان نقيم البيانات العلمية الحديثة التى تثبت ان القرآن هو كلام رب العالمين وان الذى يكفر بذلك يكون مجرما فى نظر اليقين العلمى وانه بالتالى يثبت صدق الرسالة الاسلامية وانها خاتمة رسالات الساء .

ومتى اقامت البيانات العلمية الحديثة ان القرآن معجزة الابد وانه صرخة ضمير الكون التى تزلزل الافئدة الحية زلزالها . آمن العلماء فى الغرب ايمانهم فى الشرق . والتقى الشرق والغرب على حقيقة الايمان .

وانى جئت اليك وانت تعلم انى اكبر يقين العلم وصدق الفكر فارغب ان تشرح لى هذا القسم العظيم الذى حير جمهور علماء الاسلام ، يعلمون يقينا ان دلائل القرآن وآياته محال ان يكون فيها حيرة وتورط .

فأرجو ان تشرح ماوراء هذا القسم العظيم من براهين علمية تصدقه وتفرضه على العقول المنطلقة فرضا وانا أرى القرآن محالا أن ينص على شىء وليس له واقع أكيد . وسمع صاحبنا من صديقه كل ذلك وجاء الي راجيا أن أكتب الجواب فى رسالة خاصة فقلت ان مثل هذا الجواب يفتقر الى عام او عامين وطلب الى ان افعل ذلك ففعلت فى اكثر من عام . اجل اقسم الله بالقرآن الحكيم على صدق رسالة سيدنا محمد ﷺ بكل تأكيد لان السامع لابد ان يدهش لدى سماع القسم ولا بد ان يختار . ومن دهش واحترار اخذ يدرس القرآن المجيد دراسة علمية مجردة من كل تحيز ووراثة وتقليد ، لكى يكشف حقيقة اعجاز القسم وتحديه وهذا القسم هو من حقائق العلم ولا كلام فى ذلك .

والمسلمون سواء اطلعوا على الحقائق العلمية التى تكشف اعجاز هذا القسم وتحديه ام لم يطلعوا هم مؤمنون بصدقه واعجازه وتحديه .

ولكن الذين تأخذهم الحيرة والدهشة هم العلماء الاجانب الذين لا يدور فى خلداهم ان الله الذى خلق هذه العوالم التى لاتنتهى فى علمهم يحلف بالقرآن الحكيم مشبها بقسمه رسالة خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله :

«يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين»

فهم يعجبون ان يحلف رب العالمين قائلا انا الله رب العالمين اقسم بالقرآن الحكيم ان

محمدًا هو من رسلى ، ولا اكتفى بان أؤكد صدق الرسالة بالقسم بالقرن الحكيم وحده بل أؤكدته ثانيا بأن وثالثا بلام التأكيد . وذلك فى قوله تعالى . (انك لمن المرسلين) .
والحق ان الايمان بالقرآن المجيد واعجازه وتحديه هو ايمان بالله الخالق العظيم أولا
وايمان برسالة سيدنا محمد ﷺ ثانيا بالاضافة الى الايمان برسل الله وكتبه كافة واليوم
الآخر وسوى ذلك مما هو منصوص عليه .

وما كفر بوجود الله خالق هذه العوالم الا الذين وقفوا عند ظواهر المادة غير مؤمنين
بوجود عوالم الطاقات الروحية التى خطط الله تعالى مسيرتها بقدرته وعلمه وارادته
وسلطانه .

لذلك الايمان الصحيح بوجود الله الخالق العظيم لاتجده فى عالمين ابدا :-

١- فى عالم الوثنيات والشرك .

٢- وفى عالم الالحاد .

ومهما يكن فان العالم المفكر الحر الامين ولو كان ملحدا او وثنيا او مشركا ، وكان
بعيدا عن الايمان بخاتم الكتب السماوية اذا نظر الى حقائق العوالم وامعن نظره فى
امكتتها وافلاكها ووظائفها دهش ودهش وسارع الى الايمان بوجود الله وركع وسجد
وكذلك اذا سمع وعقل قوله تعالى

«ذلکم الله ربکم لا اله الا هو خالق کل شىء فاعبدوه وهو على کل شىء

وكيل» سورة الانعام آية ١٠٢

«لا تدركه الابصار - وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير» سورة الانعام

آية ١٠٣

وهنا يجب ان يعلم ان للقرآن المجيد بصائر علمية من الله اى براهين دامغة مشاهدة

بالابصار «قد جاءكم بصائر من ربکم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا

عليکم بحفيظ» سورة الانعام آية ١٠٤

وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون» سورة الانعام

آية ١٠٥

وهذا شأن الاقسام الدالة على وجود الله جل وعز القائمة فى عوالم الوجود مثل قوله :

(فلا اقسم بمواقع النجوم «٧٥» وإنه لقسم لو تعلمون عظيم «٧٦» انه لقرآن

كريم «٧٧» في كتاب مكنون «٧٨» لايمسه إلا المطهرون «٧٩» تنزيل من رب
العالمين (سورة الواقعة

فمواقع النجوم المعروفة لعلماء الفلك قديما والتي جرت معرفتها والتي لاتزال في طوايا
غيوب ابعاد الفضاء هي دالة على عظمة الله الذي انشأها ووضع لها قوانينها وسنتها وقدر
لها مواقعها ، ومن هذا القبيل القسم بالشمس والليل والضحى وهناك اقسام يقصد منها
اشياء أخرى كالأقسام التي يقصد منها اثبات يوم القيامة ومكانة القلم في تحقيق المعرفة .

أما هنا في سورة ياسين فان القسم بالقرآن لاثبات رسالة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه
عليه فكأن القسم هنا يقول الله فيه: انا الله خالق العوالم احلف بالقرآن الكريم ان محمدا
هو رسولي وهذا القسم يدل ان الله جل جلاله وضع في آيات القرآن البراهين العلمية
القطعية الدالة على صدق رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ولما كان الحديث عن حقائق هذا القسم يراد عرضه على جماعة العلماء الذين
لا يعلمون شيئا عن اعجاز القرآن العلمي كان الواجب كل الواجب شرحه بالدلائل
العلمية اليقينية في مؤلف خاص وكان ذلك المؤلف هو مؤلفى اعجاز قلب القرآن وقد
عكفت على دراسة اسرار هذا القسم قرابة عام ونصف اى قصرت الدراسة على سورة
ياسين خاصة لاشتغال صدرها على القسم وكان ذلك عام ١٣٩٦ هـ حيث قدم المؤلف
لدار العلم للملايين وقد انفق على طبعه لأول مرة السيد عمر الفحل وتم توزيعه لعلماء
العالم الذين يهتمون بالتعرف الى معجزات القرآن الحكيم ونفذ في اشهر معدودات وكان
الطلب متتابعاً فانفق على اعادة طبعه الاستاذ غازى حفظى ذكرى للمرحوم والده
اسماعيل حفظى وكيل امانة المدينة المنورة .

وليس سهلاً ان استعرض كل ماهو مكنوز من المعجزات في سورة ياسين في مجلد
واحد بل يفتقر ذلك الى عدة مجلدات .

وانى اسأل الله ان يلهم العلماء الذين هم اطلاع واسع على حقائق العلم اليقيني
الذى اكتشفته الحضارة الحديثة والعلم اليقيني المدخر في معجزات القرآن المجيد فيكون
ذلك باعثاً لهم ان يتمموا مابدأت به من تأويل آيات وحى الله المعجز المتحدى ليكون
ميسراً للعلماء الذين لم يكتب لهم مثل هذه الدراسة ان يطلعوا على المعجزات القرآنية
الصارخة واى مجد اكبر واجل من الاطلاع على ذلك . اذن فلتتلوا بخشوع .

«وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين «٢٣» فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » سورة البقرة الآيات ٢٣ - ٢٤

وكثيرة هي آيات التحدى الصارخ في القرآن المجيد وانى اكتفى هنا بعرض معجزة علمية واحدة مما جاء في مؤلفى معجزات قلب القرآن التى يقصد بها اثبات حقا الآخرة من الوجهة العلمية اليقينية لاجل تحديها البين .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم » . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون » . سورة يس الآيات ٧٧ - ٧٨ - ٧٩

ذلك لان الشجر الاخضر يمتص الحرارة من الشمس بطريقة الهية تكوينية امتصاصا عجيبا لو استطاع العلماء ان يفيدوا من هذه الطريقة كما افادوا في صنع الرادار من اذن الوطواط لكان ذلك انقاذا للبشرية من فقد البترول لان طاقة الشمس هائلة جدا ودائمة ومنتشرة في كل مكان ولولا ان الشجر الاخضر يمتص حرارة الشمس لما كان في الارض الوقود من الفحم الحجري أو الغاز او البترول الذى مصدره الشجر الاخضر بل ان الشجر الاخضر ايضا يمتص الكربون ويحوله الى اوكسجين والاكسجين هو مادة اشتعال النار لذلك كانت هذه الآية القرآنية من معجزات العلم في عصرنا الحديث وكم من سخافة في قول الذين قالوا لو كان التعبير بالشجر اليابس لكان اولى لان الحطب والفحم في زعمهم هو مصدر النار ونسوا ان الشجر الاخضر يشتمل على المعجزة العلمية الهائلة فلو جاء النص بالشجر اليابس لما كان ثمة اعجاز علمي في الآية ومهما يكن فآيات القرآن المجيد زاخرة بالمعجزات العلمية واحسب ان عالمنا المادى ينطوى وتطوى معالم الحياة معه ، ومعجزات القرآن تظل ابدية رغم الملحددين والفاجرين والكافرين

والذين يتلهفون بكل اقتدتهم واشواقهم الى ان يطلعوا على حقيقة هذا السؤال والجواب عليه في مؤلفى « اعجاز قلب القرآن » فليعودوا اليه فان فيه الآن الكفاية . والله ولى التوفيق .

تحديات معجزات القرآن العلمية

- ١ - كم اتمنى ان تكشف حقائق العلم الذى تم بموجبه تكوين الكائنات المادية والطاقات العاقلة وسواها .
- ٢ - كم اتمنى ان يطلع البشر كل البشر على وقائع تاريخ الامم وافرادها كما حصلت بالذات منذ بداية احوال الانسان الفطرى الى نهاية الانسان الحضارى الحديث الملحق بمكوكه بين كواكب السماء .
- ٣ - كم اتمنى ان تتجلى كيفية بداية تكوين الكائنات وتطورها ، وما صاحب ذلك وما يكون وراء ذلك .
- ٤ - كم اتمنى ان تنكشف عوالم الطاقات كافة العاقلة وغير العاقلة والمهمة وغير المهمة وسننها الظاهرة وسننها الخفية .
- ٥ - كم اتمنى ان يعلم البشر جميعا حقائق الوحي الالهى كما بلغه الامين جبريل الى رسل الله كافة دون تحريف او تبديل او زيادة او نقصان .
- ٦ - كم اتمنى ان يخترع المخترعون الات تفصل لجج الاصوات المتشابكة المتداخلة في ابعاد الفضاء وتفرز كل صوت وينسب الى صاحبه دون اختلاط وتداخل وغمغمة وجمجمة . وحينئذ نسمع اصوات الرسل والشعراء والخطباء والكاتيب ونصوص الكتب المقدسة نسمعها دون زيادة او نقصان .
- وحيثئذ نلمس اضافات الدسائس ، ومفتريات المؤلهين ودمى الاساطير والوثنيات والشرك فى كلمات الله ، لمس الحواس الخمس .
- ٧ - وكما اتمنى ان يتطور صنع المكوك الفضائى حتى يبلغ سرعته سرعة الضوء اى ستة وثمانين ومائة الف ميل فى الثانية الواحدة .
- وان يكبر حجمه حتى يضارع المنطاد ليطوف حول انجم المجرات . باكبر عدد من الرواد . هذه امنياتى بكل اشواقى ولهفاتى لعلماء الاجيال المقبلة الامينة على حقائق العلم اليقينى واذا لذللكم ان تسألونى لماذا كانت هاتيك الامنيات هى كل اشواقى ولهفاتى كان جوابى برهانه صارخ من اعماق ضمير الكون ومتفجر من ينباع وحي الله المعجز المتحدى وصدى لشرف العلم فى مجالى مجموعتى النفسية . لان بذور اغراس العلم اليقينى مشورة فى خصوبة وحي الله ، القرآن المجيد ، فيقينه يقينها واذا التقيا تفتحت ورود المعرفة بنضارتها واطيافها وثمراتها الناضجة واضوائها الباهرة . والالتقاء يكون بعمل العلماء الامناء على الجهاد فى كشف حقائق المعرفة .

لذلك كانت امنياتى هذه هى ذات امنيات العلماء فى كل عصر ومصر . ناهيك بعلماء الحضارة الحديثة ، فهم يلتهبون اشواقا ودراسات وتأملات من اجل كشف الامنيات التى بدأت بها كلمتى هذه .

الا ان كشف حقائق المعرفة اليقينية فى حضارتها الحديثة الراقية ، كشف حتمى لتحديات معجزات القرآن المجيد .

كما ان امنيات علمائنا المؤمنين بخاتم الكتب الساوية القرآن المجيدة ان يكشف الله لعلماء الحضارة الحديثة مغاليق علوم الكائنات المترامية فى ابعاد الفضاء .

والسبب ان علماء المؤمنين ، متأكدون ان العلماء الاخرين الذين لما يكشف لهم بعد تحديات معجزات القرآن العلمية اذا كشف لهم ذلك حتما يؤمنون ، لان العالم الامين المتحرر اذا عرف الحقيقة اعلنها وآمن بها وجاهد من اجلها وضحى ، والواقع ان معارف تحديات معجزات القرآن المجيد ما تزال بكرا بكرا لم تفتح كل اغلاقها والعلماء ما يزالون مستغرقين خشوعا حيال شواطئ بحارها العميقة ذوات اللجج . .
واحسبك يأخذك الطرب والاسى :

١ - الطرب حيال تحديات اعجاز القرآن المجيد الذى يزداد قوة وعزة وانتصارا وجدة . كلما ازداد العلم قوة وعزة وانتصارا وجدة فالعلم هو النور الذى يريك الكوكب الدرى وهاجا فى بحر الظلمات . اى يريك القرآن ساطعا على عرش الاعجاز فوق أعلى منارات الحقيقة على الاطلاق .

٢ - والاسى حيال العلماء الاخرين الذين يسارعون فيعرضون عن الايمان بخاتم الكتب الساوية شأن الاغبياء المقلدين الإمعات المهاويس . وذلك قبل الدراسة والتبين . ومهما يكن فانصرافهم عن الايمان مع تحديات معجزات القرآن الساطعة الصارخة ان هو الا عصبية لعنصرياتهم وغواية لانفاذ مكائدهم ، وكفر برسالة ارسل الله رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، وحرب لله رب العالمين وخاتم رسله محمد ﷺ ومحارب الله حتما مهزوم شر انهزام . اما آيات الله فستظل فى كل عصر ومصر معلنة غلابة منصوره وهامى عاقبة المكذبين مشاهدة فى مهالكهم ورمم جثثهم .

« فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين . » من سورة النمل الآيات ١٣ - ١٤

وهنا اعرض الاسباب الحقيقية التى صرفت فريقا من علماء البشر عن الاقبال على

دراسة معجزات خاتم كتب الوحي المتحدى ، وهى اسباب عدة واليك مجملها .
السبب الاول :

انهم درسوا كتبهم الدينية المقدسة فوجدوا حشوها الاساطير والثرهات وخرافات الوثنية والاشراك فحسبوا ان كتب الاديان المقدسة كلها من هذا القبيل فاعرضوا عنها جملة . وهذا الاعراض جناية ومسئولته العلمية كبيرة جدا ، لانه اعراض عن وحي الله العلمى اليقيني فالاعراض عنه قبل الدرس مسئولية خطيرة ، وجريمة منكرا ، والله محال ان يترك المعرض بدون عقوبة .

السبب الثانى :

الاحاد : والعالم الملحد الذى لا يؤمن بوجود الله رب العالمين فكيف نريد منه ان يؤمن بان خاتم الكتب السماوية هو كلام رب العالمين لابد من تقديم برهان وجود الله اولاً .
والله فى هذه العوالم كتابان يدلان على حقائق وجوده جل جلاله ، كتاب الكائنات ، وهى صارخة دالة عليه وكتاب الوحي المعجز ، وهو صارخ دال على وجوده ، وزيادة على ذلك دال على صدق رسالة خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .
والاحاد ظلام خالك مسدل على مجموعة نفس الملحد فلا يجعله يبصر حقائق العلم اليقيني المشتمل على اسرار تكوين العوالم ، فيؤمن بان الله هو مكنونها بعلمه وقدرته وارادته . ومتى عمى العقل الانسانى عن مشاهدة اضواء هاتين الحقيقتين فلا يرجى منه ايمان يقينى علمى بوحى الله القرآن المجيد .

السبب الثالث :

اقتصار البحث العلمى على ظواهر الاشياء ، ومتى وقف العقل العلمى بالبحث على دراسة ظواهر الاشياء فكيف يمكن ان يبتدى الى كشف خفايا المعجزات المكنوزة فى آيات القرآن المجيد او المكنوزة فى حقائق افراد الكائنات . الا ترى ان العلماء لولم يتابعوا دراسة حقائق انفلاق الذرة لما اهتموا الى خفاياها ، ولولم يهتموا الى خفاياها لما علمنا انها تشتمل على اجزاء ، وان كل جزء هو اصغر من الذرة . . بل لما ظهر اعجاز القرآن القطعى ، وظهر ان الذرة فى موازين مشاويل العلم . . لها ما هو اصغر منها كما جاء فى وحي الله « مثقال ذرة او اصغر كما تحقق بطلان قول فلاسفة اليونان القدماء ان الذرة هى اصغر ما فى الوجود المادى وانها الجزء « الذى لا يتجزأ » .

اذن فالسبب فى جحود ان القرآن المجيد هو كلام رب العالمين وانه غير مشتمل على دلائل علمية يقينية تكشف لعقل الانسان انه كلام رب العالمين هو انصراف العلماء العباقرة من الاجانب عن متابعة دراسة المعجزات بصدق واخلاص ، والعلماء الذين

ينصرفون عن كشف المعجزات المتحديات في آيات القرآن المجيد قلما يؤمنون ، اما الاستمتاع الى تلاوة آيات القرآن بخشوع وانكسار رجاء البركة والقربى فانه غير متابعة الدراسة الكشفية الامينة ، ومتى انصرف الفكر العلمى البحوث عن متابعة الدراسة الكشفية الامينة ، فلا تقر جحود الجاحدين ان القرآن ليس هو من كلام رب العالمين . اذن فالانصراف عن كتاب رب العالمين هو اثر من الاقتصار على دراسة ظواهره وانى أضرب لك مثلا ان دراسة الظاهر المائل امامك محال ان تكشف الحقائق الخفية .

هب انك جلست حيال اكبر رئيس فى الارض واخذت تتحدث اليه وانت تفكر فيه وتنظر اليه فانه محال ان يخطر فى بالك انه كان علة بين ملايين العلىقات من منى يمنى . وانه اتصل ببويضة والدته ثم مرت به الادوار التى تمر على كل انسان فى الرحم ثم ولد وحفظ كما يحفظ كل وليد وانه قد مرت به الادوار الحياتية التى تمر على كل وليد منذ دخوله لاول مرة مدرسة حديقة الاطفال وقد تطورت به الحياة حتى اصبح زعيما عظيما . اجل انت لا تفكر فى كل ذلك لكى تتخذ لنفسك عبرة ايمان وفكر وعلم ، بل لا يدور فى خلدك بعض ذلك .

والسبب انك تصرف كل تفكيرك وانت حياله ونظر اليه ، فى الوسائل التى يمكنك ان تفيد منه لنفسك ان كنت انانيا ، أو لأمتك وأبناء أمتك إن كنت اجتماعيا وللانسانية كافة من اجل سلامها وهداها وتوحيد كلمتها وكف اذى المجرمين الممزقين عنها . . اذا كنت انسانا عالما سليما مؤمنا . .

هذا الوضع الذى مثلته لك هو حال اكثر العلماء وهم ينظرون الى ظواهر عوالم الوجود يكتفون باوضاعها القريبة والبعيدة والصغيرة والكبيرة وما صغر وما كبر دون التفكير فى اسرار حقائقها وكيف وجدت ، ودون التفكير فى اسرار حقائق موجدتها وصفاته وما يجب له وما يجوز عليه وما يستحيل وهم من جراء استغراقهم فى ظواهر الكائنات ودراساتها والاهتمام بها فى عمى اسرار وجود الله خالقها العظيم وهذا العمى هو الذى يصرفهم عن التعرف اليه فى حقائق كائنه فى خاتم الوحى الالهى كما يصرفهم عن التعرف اليه فى حقائق اكوانه التى كونها بعلمه وقدرته وارادته .

السبب الرابع :

خضوع المجموعة النفسية للغريزة او العاطفة لانهم شبهوا مجموعة نفس الانسان بالملكة فلا بد لها من حاكم مطاع تكون له القيادة والامر والنهى والاخذ والعطاء اى تكون له السلطة التنفيذية على كل افراد المجموعة النفسية واكثر البشر مهيمون على افراد مجموعتهم النفسية الغريزة أو العاطفة وهؤلاء إن يكونوا من سلال اديان وثنية او

مشركة فلا رجاء فيهم أن يؤمنوا بخاتم الكتب السماوية ولو انكشفت لهم في اثناء دراساتهم يراهم العلم اليقيني الناطقة انه كلام رب العالمين .

واما العلماء الذين تسود مجموعاتهم النفسية حكومة الفكر والعلم فانهم يؤمنون اذا انكشفت لهم معجزات ايات القرآن المجيد ، وقد يتطوعون للدعاية له لدى الاوساط العلمية احتسابا لوجه الله رب العالمين .

ومتى كان العلماء خاضعين لحكومة غرائزهم وعواطفهم فانهم محال ان يؤمنوا بالقرآن المجيد لانهم يكونون اسراء موثوقين نفسيا لها .

ولا حيلة لهم في تأييد الحق ولا لفة ولا وثيقة ولو عذبوا عذابا اليا في نار جهنم ومع ذلك اذا فرض انهم عادوا الى حالهم واخرجوا من نار جهنم لعادوا الى كفرهم وجحودهم واعراضهم عن دراسة القرآن المجيد . وصدق الله العظيم في وصف هؤلاء الغريزيين المصرين على الكفر والالحاد والشرك والوثنية

« ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه » . سورة الأنعام (٢٨)

ونهاية الامر فنحن لانخاف العقل ولكن نخاف العاطفة المنحرفة والغريزة الهائجة القلقة ولا نخاف العلم ولكن نخاف الجهل . ولانخاف التجديد بل نخاف الجمود وكم وكم من البشر اصحاب النفوس الساذجة الضيقة التي تحال نفسها مفكرة حرة اذا ألحلت ..

القيد افسح من عقول عصابة زعمت مكان العقل في الالحاد

رُسل الله

صلوات الله وسلامه عليهم

توطئة

إننا نجد فريقاً من الشُّبان المثقفين ثقافةً حديثة ، في بحرانٍ من قلق النفس ، واضطراب الفكر ، وثورة الانطلاق المقات ، واللهفة الشاعلة لنيل المآرب ، والطموح الشامخ لتحقيق الأمجاد .

هم يريدون أن يحققوا للانسانية مُثلها العليا بما يملكون من جهد ونشاط ، ومن علوم ، أو فنون ، أو أدب أو متاجرٍ ، أو مصانع وحرف .. كما يريدون أن يحققوا لأنفسهم ما تشتهي من حظوظ الدنيا ، وأمجادها الخالدة .

وهؤلاء الشُّبان المثقفون فريقان :

١ - فريق يريد أن يصل إلى ذلك . بالتزام وحي الله واستقامته وهدايته واعتداله وامانته وصدقه وتضحيته وإيثاره ، وعدم حسد أحدٍ أو الإضرار به .. ولو بقلامة ظفر أو غمرة طرف أو اشارة أصبع .

وهؤلاء هم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورُسُله ، ولا يفرقون

بين أحدٍ من رُسُلِهِ ، وهم يسمعون ويطيعون كما قال الله عزّ وجلّ :
 آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ
 بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
 وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢-٢٨٥)

٢ - وفريق يريدون أن يصلوا إلى ذلك بأي طريق كان .. فسيان
 لديهم الاعتدال والافراط ، والاستقامة والاعوجاج ، والهداية والضلالة ،
 والأمانة والحياة ، والصدق والكذب ، والإضرار بالناس ، والكف عن
 ذلك القصد الأساسي هو الوصول .

والسبب أنهم انتهزيون خطيرون ، يعتقدون أن الإفراط والإعوجاج
 والضلالة والحياة والكذب والإضرار بالناس والدهان ، فطنة وذكاء
 وقدرة على نصب الفخاخ ، واللعب على الحبال ، والإسراع في الإثراء
 من أوسع أبوابه . ألا يلعنة الله حلتي بساحتهم ، لأنهم هم المنافقون ،
 الذين يتظاهرون بالإيمان رغبة بالكسب الحرام ، ويبتغون الكفر ،
 ويزعمون الإصلاح من طريق الإفساد ، وينسبون إلى المؤمنين الصادقين
 السفاهة وصغر الأحلام . وإن كانوا هم أسفاه البشر وأنفهم أعلاماً .
 غرهم الشيطان بالأمانى الزائلة فاغتموا وساروا في دروبه ، وهذا هو
 حالهم كما وصفهم الله في وحيه المنزل ..

١ - وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)

٢ - يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) .

٣ — فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) .

٤ — وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ (١١) .

٥ — أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) .

٦ — وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمْ كَا
أَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)
(٢ — ١٣) .

وقال أيضاً فيهم :

١ — إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ
لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) .

٢ — إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) .

٣- مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ

شَاكِرًا عَلِيمًا (٤ - ١٤٧) .

فهذا الفريق من الشبان أحوجُ ما يكونُ إلى هدايةِ رسلِ الله ، وما أنزل الله من وحيٍ لإسعادهم . والسُّمُوُّ بهم لنيلِ مُشْتَهَاتِهِمْ من طريقِ الهدى والخيرِ والأسوةِ الحسنةِ ومكارمِ الأخلاقِ ، والسعيِ للصعودِ إلى الأجدادِ الكريمةِ الخالدةِ ، ذاتِ النفعِ الدائمِ لهم وللناسِ جميعاً . لذلك أودّ من كلِّ قلبي ومن كلِّ حبي وإخلاصي لإسعادِ الفريقينِ ، أن أقدم صفحةً مشرقةً من أعمالِ رُسُلِ الله ، وكلِّ أعمالِ رسلِ الله مُشْرِقةً ، وأخصُّ بالذكرِ منهم أولي العزم : نوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمداً - صلوات الله وسلامه عليهم - لتضيءَ للفريقينِ طريقِ إسعادِهِمْ ، ورَفَعَ الشقاءَ عنهم ، وبلبلةِ أفكارهم ، وقلقِ أنفسهم ، وخير أعمالهم ..

١ - أقدمُها للفريقِ الأولِ : وأنا أرجو لهم مزيدَ الهدايةِ والاستقامةِ ، وحملِ شرفِ الدَّعَايةِ إلى الله عز وجل .

٢ - وأقدمها للفريقِ الثاني : وأنا آملُ أن يكفوا عن الانحرافِ ، وأن ينصرفوا عن الإيغالِ في المآثمِ التي لا تضرُّ إلاَّ بهم ، ولا تردِي سواهم .

وهذا يعزُّ عليّ، يشهدُ الله ، لأنني أودّ من صميمِ فؤادي أن يعيشَ هذا الجيلُ على هدىِ السلفِ الصالحِ . لأن قولَ إمامِ دارِ الهجرةِ مالكِ ابنِ أنسٍ رضي الله عنه لا يزالُ شُغْلَ فُؤادي، ومناطَ تفكيري ، ومنهجِ إصلاحِي وهو :

« لا يصلحُ آخرُ هذه الأمةِ إلاَّ بما صلَّحَ به أولُها » والله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ...

الرسول صلوات الله وسلامه عليهم

كانت أفكار البشر ، وعقائدهم مكبوتة ، مطوقة بالأغلال والأصفاد ، منذ أبعد الأزمان ، بسبب خنوعهم للتقاليد .

ثور يحمل الأرض !!! وشمس تطوف بها ، ونُجَبَيَاتُ راعشة متناثرة حواليتها !!! هذا هو كل الكون الذي صورته لهم تقاليدهم ، وبحكم غريزة التدين والتفكر في صنعه ، اعتقد كل البشر ، أنه لا بد من إله صانع له ومهيمن عليه : الا أن كل فريق اتخذ لنفسه إلهاً أو آلهة خاصة له : آمن بها وعبدها عبادة بدائية بالرقص والتصفيق ونفخ القصب ، وضرب الدفوف ، وعُري الجنس والضحايا البشريّة ، ولا تزال بقايا هذه العبادة ، في مجاهل التخلف ، يرون بها تقضي الحوائج ، وتقبي المصائب والنوازل .

وقد اختلفوا أكبر الاختلاف ، في تعيين الكائن الذي يجب أن تسند اليه الألوهية . وتعبد ، وفي قدرته جلب المنافع ، ودفع المضار ، ومن جراء ذلك ألّه كل فريق من أفراد الكائنات ، ما تخيل انه القادر على فعل ذلك ، وعبده وفوض اليه الأمر .

١ - ففريق ألّهوا الشمس والنجوم والقمر ، ٢ - وفريق عبدوا الظلام والنور . ٣ - وآخرون ألّهوا الحيوانات ، من أعلاها الانسان إلى أدناها الجعلان والحشرات . ٤ - وفريق عبدوا النباتات ، ولم تغرب عنهم عبادة الشيطان ، ولكن رحمة الله لم تدع البشر هائمين على قلوبهم ، بين أساطير الوثنيات ، وخرافات الشرك ، على مدى الأجيال ، بل كان جلّ وعزّ ، يرسل اليهم الرسل مبشرين باصلاح الحال للمؤمنين الأخيار ، ولا حزن ولا خوف . ومنذرين الكفرة الأشرار بالخزن والخوف وسوء الحال .

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، فَمَنْ آمَنَ

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦ — ٤٨)

والهداة من رسل الله ، لم ينقطعوا عن التبشير والإنذار ، من أولهم آدم أبي البشر، إلى إرسال خاتمهم محمد بن عبد الله عليهم الصلاة والسلام.. وهذا هو الذي حصل ونص عليه الوحي ..

١ — ... إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (١٣ — ٧)
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٣٥ — ٢٤)
ونص :

٢ — وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٤٣ — ٦)

والله لم يذكر لنا كل الرسل الذين أرسلهم إلى الأمم السابقة ، لأن هناك أمماً كانت قبل التاريخ وكان لها رسل منذ ملايين السنين ، وبعد التاريخ أيضاً .. وهم كثيرون جداً ..
ومن أجل ذلك أفهمنا الله بصورة عامة ، أن كل أمة خلت نالها حظ الرسالة السماوية ، كما جعل لها منسكاً هم ناسكوه ..

١ — وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ ... (٤ — ١٦٤) .

٢ — لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ، فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٢٢ — ٦٧)

والله لم ينزل وحيه على رسولٍ إلا بلسانٍ قومه :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...

(١٤ - ٤) .

والآن تستطيع أن تفهم مما سلف أن الله لم يخص أمةً بحمل الرسالات السماوية دون سواها . لأن رحمة الله عامةٌ شاملةٌ بارسالِ الرسل ، ومفروضة للمؤمنين بهم العاملين .

« ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (٧ - ١٥٦)

وما وحي الله المنزل على الرسل إلا رحمةٌ للناس كافة . فلا ينبغي الكفر به ، ولا الاعراض عنه .

والله سبحانه وتعالى يقول عن الألواح التي سطرت عليها التوراة لسيدنا موسى عليه السلام .

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسْخَتِهَا

هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (٧ - ١٥٤)

ويقول في الإنجيل الذي آتاه سيدنا عيسى المسيح عليه السلام :

وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٥ - ٤٦)

ويقول في حق خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٢١ - ١٠٧)

ويقول في خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد المتزل عليه .

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .

(٥٩ - ٢١)

نعم نجد الوحي الإلهي ، لم يذكر رسل الأمم القديمة التي عاشت قبل التاريخ ، دفعا لارتباب الملحدین ، إن ذكرهم تفصيلا ، ولكن ذكرهم .. ولكن ذكر لنا في خاتم كتبه السماوية القرآن المجيد أسماء فريق منهم لقرب جوارهم للعرب ومعرفتهم بهم ، ومنهم من كان من العرب أنفسهم ، وقد جاء ذكر معظمهم في قوله تعالى :

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ

نَشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤)

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥)

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)
وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧)

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ
بِهَا هَوَلاءَ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْذِنَ بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُهَدَاهُمْ اِقْتَدِهِ ... ، (٦ — ٩٠)

واليك أسماء البقية الذين جاء ذكرهم في وحي الله في نصوص أخرى .
وهم آدم ، إدريس ، هود ، صالح ، شعيب ، ذو الكفل ، محمد
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ورسالة رب العالمين إلى البشر ضرورية ، إذ لولاها ، لظلت عقائدهم
في تكوين الكائنات تزحف على بطنها بين الاحاد والوثنية ، أي لظل
البشر إما ملحدون يدينون بالصدف ، وينسبون اليها كل أعمال التكوين
في الوجود . وإما وثنيون ، قد اتخذوا مما هب ودب آلهة . واعتقدوا
أنها المكونة المتصرفة في كل شيء . فالذين رأوا الوجود صغيراً من الوثنيين
اعتقدوا أنه من صنع الآلهة المتخذة من الجماد أو الحيوان أو النبات ،
والذين علموا الوجود أكبر مما تصوره الوثنيون إستبعدوا أن يكون من

صنع ما اتخذ الوثنيون من آلهة !! وألحدوا بها وعطلوا حقائق الألوان
الناطقة بوجود الله جلّ وعزّ .

لذلك كانت رسالة الرسل ، ضرورية ، لأنها عرفتهم بحقائق وجود
الله ، وخصائص صفاته ، الخليقة بجلاله سبحانه وتعالى ، وكشفت زيغ
الإلحاد والتعطيل وشطط الفكر ، وفساد الفهم .

أولو العزم من الرسل

كل رسل الله أختياراً أطهاراً بررة ، وكل خفقات القلوب المؤمنة
هي أضواء من المودات المتقدة في أعماقها لهم ، وكل رسل الله إلى البشر
بشرّاً اختارهم الله ليكونوا هداة إلى الكمال الممكن لأمثالهم ، وما امتنع
عن الإيمان بهم بحجة أنهم بشر ، إلا صغار الأحلام ، ولو كان سكان
الأرض ملائكة لأنزل عليهم رسلاً ملائكة ..

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤)

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْنُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (١٧ - ٩٥)

ومع أن كل رسل الله أختياراً أطهاراً بررة ، إلا أن الله فضل
بعضهم على بعض .

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ

وَأَيَّدَنَاهُ ، بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ
آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ
مَا يُرِيدُ (٢- ٢٥٣)

... وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ
زَبُوراً (١٧- ٥٥)

ولما كان أولو العزم الخمس من رسل الله ، قد تجلت آثارهم النورانية
الخالدة في هداية البشر إلى الإيمان الحق ، والسلام الصافي ، والمودة غير
المدخولة ، والإيثار العملي الناطق والتسامح المخلص ، والتعاون الخير ،
والتضحية في سبيل الله ، أثرت التحدث عنهم ليكونوا لنا أسوة .

وهم نوح* ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صاوات الله وسلامه
عليهم ، كما أثرت ، أن أرفع هذا المؤلف إلى محرابهم السماوي المعمور ،
وأن أذكر نبذاً عن بعض أمجادهم المباركة ، التي تفضل الله بها عليهم ،
وقد شرفهم بالثناء على اخلاص عبوديتهم له جل وعلا ، فهم عباد الله
المكرمون الأطهار الأخيار البررة ، في كل أدوار حياتهم ...

١ - أول أولي العزم نوح عليه الصلاة والسلام

١ - جاء سيدنا نوح ، والبشر جلامد صماء عاتية ، مصفدون
بأغلال تقاليدهم ، ومزهوون بأساطير معتقداتهم الوثنية المنحطة ، وأخلاقهم
الشرسة القاسية ، فأخذ يدأب الليل والنهار ، وهو يدعوهم إلى الإيمان

الساوي الصحيح ، ليخرجهم من غياهب الوثنية والشرك : إلى مشارق أنوار الإيمان الساطعة ، وهو مشفق عليهم يخشى أن ينزل بهم العذاب بسبب اعراضهم عنه ، وسخريتهم به .

١ - لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)

٢ - قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠)

٣ - قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١)

٤ - أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ

لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٧ - ٦٣)

٢ - وإعراضُ قومه وإصرارهم على تقاليدهم الوثنية ، لم يحل دون استمراره في دعوتهم ، لينهض بعقليتهم إلى وعي حقائق الإيمان الصحيح ، والتغذي بها . وهضمها وتمثلها في أعمال مجيدة سامية .

وحينئذ تتراح عن نفسياتهم ، غشاوة التقاليد البالية ، ويفهمون أن نوحاً مرسلٌ من الله اليهم ، لإصلاحهم واسعادهم وتألفهم حقاً وصدقاً ، فلا يستصغر أغنياؤهم فقراءهم ، وهم يحسبون أن الخير محصورٌ فيهم ، ولا يتجاوزهم إلى الفقراء ، ويرفضون أن يكونوا مثاهم ، ويفهمهم نوح أن كبريائهم سوف تردبهم ، وأنه لا يستطيع مطلقاً أن يزدريهم ازدراءهم . وأن يمنعمهم من الإيمان ، لأن ذلك هو الظلم بعينه ، والله

أعلم بنفوسهم من كل أحد . وعقوبة طردهم من الله خيفة ، ولا إفلات منها ولا نصرة .

وهو يعلنهم أنه ليس ملكاً ، ولا يملك خزائن الله . ولا يعلم الغيب بل لا يريد أن يتفضل عليهم بالإيمان .

وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠)
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ
خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١ - ١١)

٣ - ولاقى رسول الله نوح من الأهوال ما لاقى : من ترصد وإيذاء وكراهية ، وكم حاولوا أن يبطشوا به ، لا لشيء ، إلا لأنه يريد إسعادهم وتصحيح عقائدهم ، وإيمانهم بالله خالقهم العظيم . ولكنهم باؤوا بالفشل ، واستجاب الله دعاءه ونجاه من شرهم وأغرقهم بالطوفان .

وَنوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٢١ - ٧٧)

٤ - وجاء رسول الله نوح والبشر لا تزال تغشاهم مواريث العصر الغابي من قسوة في العواطف ، وتحجر في التفكير ، وخبث في الطباع ، وجمود في العقائد ، وإيمانهم كان مقتصرأ على ما ورثوا من جهالات وكفرهم بحقائق وحي الله ، فكانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ، ويغمضون

أعينهم ويتجللون بشيائهم كلما دعاهم إلى حقائق الإيمان بوحى الله .
وها هو رسول الله نوح يستجير بالله مما لاقى ويلاقى منهم .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ
دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
اسْتِكْبَارًا (٧١ - ٧)

وعند إلى اكمال سورة نوح ، في القرآن المجيد ، ورقها (٧١) كما
رأيت . فانك تفهم كم كانت تلاقي رسل الله من الصدود والسخرية بهم ،
والأذى من الخلق !!! وهم لا يريدون لهم إلا الخير والهداية . ونوح
ككل رسل الله : ها أنت ذا تجده يلفت أنظار الخلق ، إلى جلال
ما كوّن الخالق في الوجود من الأكوان ، قال :

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)
أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ
فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
نباتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠ - ٧١)

فلو كانت الأرض وهادئاً سحيقة ، واطواداً شاحنة ، ولم تكن مبسوطة
على عِظَم تكويرها ، لما استطاع الانسان العيش على ظهرها والسير عليها
من قارة إلى قارة .

وجزى الله رسول الله نوحاً ، فقد نصح للبشر وأدّى الرسالة . ولكن
البشر كانوا ظلمةً جبارين ضارين مضرين ، فما انتفعوا بوحى الله ،
ولا نفَعوا .

٢ - ثاني أولي العزم خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام

سيدنا إبراهيم والد الأنبياء السّاميين أبناء منطقنا ، أرسله الله في
عاصفٍ موارٍ من الشرك والوثنية ، وقد طغى على الكرة الأرضية طغيان
طوفان نوح .

فكان لا بد من ركوب الأخطار ، وامتطاء الأهوال ، واقتحام
الصعاب ، لتأخذ الدعوة إلى الإيمان الصحيح مجراها الصافي الدفاق .

ولم لا يكون الأمر كذلك ، والأساطير والثرهات تشرق بالشعوب
وتغربُ . والكهنة يعقدون لهم العقائد ويهولونها بمدهشات الألغاز ،
وخفايا الرموز ، والتواء الطقوس ، مما زينوا لهم من أنواع الآلهة ، كي
يتسلطوا عليهم ، وينالوا منهم مآربهم .. حتى الحكام الزمانيون دعوا
لعبادتهم الجاهير ، ورأوا في ذلك كسباً لقلوبهم .

على أن عبادتهم في زعمهم اكرم وأروع وأفضل من عبادة الأبقار
والأحجار والنيران والشمس والكواكب التي كانت تسود المجتمعات .
والحق أن عبادة غير الله العظيم كفر ، وأن الإيمان هو خاص بعبادة الله
الخالق العظيم .

أجل جاء سيدنا إبراهيم ولم يبق بين البشر من آثار وحي الله الذي
جاء به نوح ، إلا ما يشبه العتمة بعد زوال الشفق الأحمر ، حين يأتي
عليه سريان الليل ، وتغرقه أهازيعه في بحر الظلمات ...

والكهان يزينون لهم عبادة الآلهة التي اتخذوها لهم من شتى أفراد الكائنات باختراع الخوارق المدهشة ، وعب النزوات المغريسة . ويهلونها بتعقيد العقائد ، وتعمية مدلولاتها بمدهشات الألغاز ، وخفايا الرموز ، والتواءات الطقوس . لكي يسخرُوا الجماهير تسخير الدواب ، حتى ينالوا منهم وينيلوا من يرهبونهم من الرؤساء نزوات الشياطين .

١ - هذا ما حدا بالحكام الزمنيين إلى فرض تأليهم وعبادتهم على الجماهير ، ورأوا في ذلك كسباً لقلوبهم وإذعاناً لهم . بل رأوا تأليهم وعبادتهم أجدى وأفضل من عبادة الأحجار والأبقار والفيلة والنجوم والشموس والظلام والنور والنار ، وناهيك بما كان بين سيدنا إبراهيم ، والنمرود من جراء ذلك من مواقف جد حاسمة .

كن محرراً يقطاً واعياً مثل خليل الرحمن تحظ بصحة الإيمان المنجي إن كنت ممن يرغب في صحة الإيمان المنجي .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُنْجِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .

(٢ - ٢٥٨)

وسيدنا إبراهيم ، قد استطاع منذ أربعين قرناً ، أن يفهم العقل الانساني طريق الإيمان اليقيني الصحيح .

أفهمه إياه بالمشاهدة العيانية ، والنظر العلمي الدقيق ، والفكر المتحرك المنطلق .

وجعل أهلها يستطيعون أن يعلموا يقيناً ، أن تأليه أي فردٍ من أفراد الكائنات . مهماً كبر وعظم ، باطل في عين الواقع اليقيني المشاهد ، وقد مثل حالهم في أدوار التأليه المخترع حتى انتهى منه إلى إعلان حقيقة الإيمان العلمي اليقيني .

وكان كل ذلك مما أراه الله إياه في ملكوت السموات والأرض ، وأفهمه له ليفهمه لقومه العميان الكبار .

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ
مِنَ الْمُوقِنِينَ (٦ — ٧٥)

« أما تراه لما أظلم عليه الليل ، ورأى الكوكب يضيء من جانب الأفق ، لفت نظر قومه إليه . وهو يقول مشيراً إليه « هذا ربي ! » .

وقصده أن ينقاهم من الآلهة المتخذة من كائنات الأرض إلى التفكير في ملكوت السماوات الذي لا تعد الأرض بالنسبة إليه إلا ذرة هزيلة ..

وبعد هذه النقلة ، إنتظر إبراهيم حتى غاب الكوكب في مجراه في الأفق ، وبدأ القمر بازغاً ساطعاً .

وهنا حركهم إلى نقلة ثانية ، بتفكيرٍ حرٍ منطلقٍ قادرٍ على النقلة من الحسن إلى الأحسن ، إذا تأكدوا ذلك ، ويمثل هذا التحرك والانتقال يتم الوصول إلى الحقيقة الإيمانية الكبرى .

أجل إن الوصول إلى الحقيقة لن يتم إلا بذلك . شرط أن يكون مع العزيمة والإرادة المصممة على التحرك والانتقال ، أي بعد انكشاف الحق الصراح . وهذا ظاهر في نص الآية ، وإلا ظل غارقاً إلى أذنيه في ضلاله . وكم في الاستعانة بالله إلى الهداية من توفيق عظيم .

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ
يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٦ — ٧٧)

وإن حقيقة الإيمان اليقيني ، تتجسد بين أيديهم شاخصة اليهم .
إذا هم تحركوا إلى النُقْلة الثالثة . وفي هذه النقطة أعلن إبراهيم تبرأه
من كل توجه تأليه وعبادة واستعانة وضراعة لغير الله فاطر السموات
والأرض رب العالمين ، تبرأاً مخلصاً من كل وثنية وشرك .

وإنا نجد في كل تحركاته العملية الدعوة المقصودة إلى الإيمان اليقيني
الحق .

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّيَ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦ — ٧٩)

• يا لله !! كم نجد لسيدنا إبراهيم من إيمان عملي علمي يقيني مشاهد ،
يحرك به العقول الجامدة الملتوية على أوثانها وأصنامها ، يحركها تحركاً
نيراً هادياً بعمق النظر ، ودقة العمل ، وصدق النية وقوة البرهان
الصارخ . الذي جعل الخصوم المعاندين المقلدين يثوبون إلى الواقع اليقيني
المائل أمامهم ، ولولا سطوة التقاليد الهوجاء المهيمنة على أنفسهم .
لثبتوا على الإيمان الحق الذي هداهم إليه إبراهيم ، ولم ينتكسوا شر
انتكاس ، عامدين إلى أسلوب العاجزين ، أي إلى البطش به وإحراقه في

النار . ولكن أنى يتم لهم ذلك وهو من أولي العزم ، ولا بد من إتمام
دعوته إلى الناس .

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)
قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣)

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤)
قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥)
قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى
ذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ (٥٦)

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧)
فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩)
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)
قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١)
قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢)
قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣)

فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤)
ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥)
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦)
أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨)
قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠ — ٢١)

وهذا سيدنا ابراهيم يتغلغل في جزيرة العرب ، وينتقل بين قبائلها ، ويدعوهم إلى الإيمان بالله الخالق العظيم ، ويحطم الوثنية ، ويرجم الأصنام ، ويجدد بناء أول بيت عبادة شُيد في الكرة الأرضية ، في جزيرة العرب في مكة المكرمة .

ويدعو الناس إلى حجه ، والطواف حوله ، ومحاربة الوثنية والشرك ، وهجر عبادة الأصنام وتجنبها .

فكان بحق داعم الحنيفية السمحة في جزيرة العرب المقدسة .

وقد ظل نسل ولده إسماعيل — الذين هم العرب المستعربة — يتكاثرون حتى كان منهم خاتم رسل الله محمد بن عبد الله — صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً — .

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا
 مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)
 رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .
 (٢ - ١٢٩)

٣ - ثالث أولي العزم رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام

بعد إبراهيم بخمسة قرون ، ساد الظلم والظلمات والاستبداد في كل
 مكان ، وابتعد البشر عن هدى الله كل الابتعاد .

وتعالى الرؤساء إلى عرش الألوهية ، وأخذوا يستعبدون الشعوب ،
 ويفرضون عليهم عبادتهم ، وانتشر الإفك وأباطيل السحر في المعابد ،
 وحل محل هدى الله . وأخذت الجماهير تستعين بالسحرة في شئون حياتهم ،
 ودخائل نفوسهم .

وتفاقم الفحش والانحراف . فاقتضت حكمة الله ارسال سيدنا موسى .
 وهو ثالث أولي العزم من الرسل لحمل الأمانة العظمى ، أمانة الاصلاح
 وتبليغ دعوة الإيمان الصحيح ، والتذكير بالآخرة .

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩)

إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم
 مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)
 فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١)
 إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)
 وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣)
 إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)
 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥)
 فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى
 (٢٠ — ١٦)

وكان هذا الاختيار لكليم الله ، مؤيداً بالمعجزة الصارخة المشاهدة
 المحسوسة لفرعون وقومه ، وهي معجزة العصا ، ولكن فرعون رفض
 الاذعان لما جاء به موسى اليه من رب العالمين ، لأنه كان ناصباً نفسه
 أنه هو رب العالمين ألم يقل :

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . (٧٩ — ٢٤)

ومن أجل ذلك غضب فرعون ، وأنكر صحة إرسال موسى ، من
 أحد غير نفسه ، ونسب معجزة العصا إلى السحر ، وهو مُصرٌّ على
 زعم الألوهية لنفسه ، بل قد ازداد إصراراً ، حين ذكر له موسى
 خصائص صفات رب العالمين ، وأعرض عن سماعها واستصغره ، ونعته

بالجنون ، حيال الشعب ، لكيلا يفتنوا على حقائق صفات الرب الأعلى ، ولكي يظلوا معتقدين أنه هو الرب الأعلى . وفي الوقت نفسه هدد موسى بالسجن ، ليخيف الذين ارتابوا بألوهيته ، بعد أن سمعوا من موسى ما سمعوا . وهذا بعض الحوار الذي جرى بين سيدنا موسى وفرعون ، عن حقائق صفات رب العالمين .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)
 قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)
 قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ أَلَّا تَسْتَمْعُونَ (٢٥)
 قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)
 قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)
 قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)
 قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ .
 (٢٦ — ٢٩)

ومهما يكن ، فأنكر فرعون معجزة العصا الصارخة ، وإن هاله أمرها لما شاهدها . ولكن عناده جعله ينسبها إلى السحر ، شأن العاجزين في كل زمان ومكان . فلجأ إلى إثارة الملأ ضد موسى ، فزعم أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم ، وتظاهر بالتواضع ، وترك الأمر اليهم ، ليلزمهم بما يروونه في حق موسى من تأمر وجحودٍ لما يدعوههم إليه .

والنتيجة واضحة ، لأن معجزة الله لا تُغلب ولا تُنقض ، ولو اجتمعت الجن والانس من أجل ذلك .

وأُسْقِطَ فِي يَسَدِ فِرْعَوْنَ حِينَ أَبْصَرَ السَّحْرَةَ ، الَّذِينَ كَانَ يَرْجُو بِهِمُ
الْإِنْتِصَارَ عَلَى مُوسَى يُخْرُونَ سَجْدًا لِإِلَهِ مُوسَى . وَلَا عَجَبَ لِأَنَّهُمْ لَمَسُوا
جَلَالَ مَعْجَزَةِ الْعَصَا ، وَأَثَارَ قُدْرَةِ اللَّهِ الْمَائِلَةِ فِيهَا ، وَآمَنُوا وَلَمْ يَبَالُوا بِمَا
سَيَكُونُ مِنْ فِرْعَوْنَ بَعْدَ ذَلِكَ ...

- قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤)
يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي امْنَدَانِ حَاشِرِينَ (٣٦)
يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ (٣٧)
فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨)
وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩)
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)
فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَلْأَجْرَاءُ أَنْ كُنَّا
نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١)
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)
قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣)
فَأَلْقَوْا حِبَّالَهُمْ وَعَصِيَّيَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ (٤٤)

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦)

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧)

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ

السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ

وَلَا صَلِّبْكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩)

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠)

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ

الْمُؤْمِنِينَ (٢٦ - ٥١)

وفكر فرعون أن يبطش بموسى وقومه ، خشية أن يؤمن الناس برسالة موسى ، ولكن الله أمر موسى بالخروج من مصر ليلاً ، قبل أن يبطش بهم فرعون .

وحين علم فرعون بخروجهم ليلاً لحق بهم ، حتى أبصر بعضهم بعضاً ، وخاف قوم موسى وتحققوا الهلاك ، إذا أدركهم فرعون وجنوده ، لأن البحر اعترضهم ، فأين المفر ؟

ونسوا أنه رسول من أولي العزم ، وأن النصرة والنجاة مكفولة له من الله عز وجل ، وتحقق كل ذلك . فأمره أن يضرب بعصاه البحر ،

فضرب وانفلق البحر ، واجتازه موسى ، ولحقه فرعون ، فهلك هو وجنوده .

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْرُكُونَ (٦١)
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)
فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ
فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)
وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ (٦٤)
وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥)
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦)
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧ — ٦٦)

٤ - رابع أولي العزم رسول الله سيدنا عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام

لما بعد العهد بسيدنا موسى ، وتناسى البشر ما جاء به من المودات
الكريمة ، والأصول التشريعية الانسانية ، ودلائل الايمان اليقيني ، وبراهينه
الصارخة ، المشاهدة في معجزة العصا وسواها ... تحجرت القلوب
وقست ، وفسدت النفوس وعتت . واشتعلت التزوات وطغت ، وامتدت
الأيدي إلى السحت وسلبت . وحرفت الشريعة بعث التأويلات المبطنة
بالزيادة والنقصان ، وأصبحت بيوت الله مواطن بيع وشراء ، ومستقر

عصائب دسٍ وأذى ، ومجال أرصادٍ وعيونٍ في مهب هذه الأعاصير من الطغيان والعصيان والمفاسد ، وفي موقدٍ عنصريّة إبليس : — أنا خير منه — وسائر البشر — حيوانات .

وفي ميراث الدسائس التقليدية . ضد حقائق الأمم وأديانها، واصلاحاتها ، أرسل الله روح المحبة والانسانية والسلام سيدنا عيسى المسيح — صلوات الله وسلامه عليه — مؤيداً بمعجزات قدرته الباهرة ، وعجائب ابداعها .

١ — أليس ميلاده كان فذاً، هو ابن السيدة الطاهرة البتول مريم ابنة عمران ، التي نشأت في أحضان الأنبياء ، وأقام لها نبي الله زكريا عليه السلام . الذي أكرمه الله بكفالتها ، محراباً مقدساً لاعتكافها في البيت المقدس ، واخلاص عبادتها لله ، وتوجهها اليه ، منقطعة عن ملاهي البشر ، وهرجهم ومرجهم ، وكم شاهد نبي الله زكريا ، من إكرام الله لمريم ما شاهد . وكم آتستها مناجاة الملائكة لها ، وهي خاشعة متبتلة ، وكم أمدّها الله برزقٍ من السماء ، موائد كريمة .

هي قبسةٌ من قوالب الهداية ، تقبلها الله لتكون ربيته بيته المقدس ، ورعاها في ابتهالاتها وضراعاتها له جلّ وعزّ ، وطهرها تطهيراً ، لتكون أمّاً مباركة لرسوله العظيم سيدنا عيسى المسيح ، عليه الصلاة والسلام ، وهذا وحي الله يعلن ذلك :

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣ — ٣٧)

وهذا روح القدس سيدنا جبريل . يهبط في صورة انسان سوي
إلى السيدة مريم . بعد أن بلغت القمة في الطهارة والتزكية ، وهو يحمل
اليها روح سيدنا عيسى المسيح العظيمة . لتكون له أمّاً . وبشرها بذلك .
فتعوذت بالله منه . وتعجبت كيف تكون أمّاً . دون أن يكون لها بعل ،
وهنا يكشف لها ملاك الوحي أسرار هذه العوالم ، وقدرة الله التي أبدعتها ،
ولن يكون حملها بدون بعل صعباً أبداً .

والقصد أن يكون آية على تصرف القدرة الإلهية للناس ، ويكون هو
لهم رحمة من الله ، وهو أمرٌ مبرم .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا (١٦)
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا
بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨)
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)
قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (١٩ — ٢١)

وها هم أولاء الملائكة الكرام ، يهتفون بالسيدة الطاهرة مريم ،
ويعجبون النعم الكبرى التي أعدها الله على السيدة الطاهرة مريم . ويطلبون
اليها أن تستمر في عبادتها لربها لمزيد فيض النعم عليها .

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)

يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ .
(٣ — ٤٣)

والله ما قالته الملائكة في البشارة بميلاد سيدنا عيسى المسيح ، ووجاهته
في العالمين . وقربه من رب العالمين .:

إِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ
الْمُقَرَّبِينَ (٣ — ٤٥)

ومن أجل ذلك ، كانت ولادته معجزة المعجزات ، بما أحاط بها من
المدحشات .

ها هوذا يهتفُ بوالدته . حين اضطربت لما أبصرته تحتها . ويطمئنها ..
كما هتف بقومها ، معرفاً بنفسه ومزجاً عن والدته الريبة لما عرضوا بها
بذكر شرف أهلها ، ومكان والدتها في التقوى والصلاح .

فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ
هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣)

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)

وَهَزَي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (٢٥)
فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
أَنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)
يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ
بَغِيًّا (٢٨)

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا
(١٩ — ٣٣)

ولله هي هاتيك الآيات المتحدية ، التي أيد الله بها رسالة سيدنا عيسى
المسيح — صلوات الله وسلامه عليه — وآمن بها الناس بعد . إنها روائع
آيات هائلة ، وبراهين حق صادقة حيرت ألباب العلماء ، وأدهشت
نطس الأطباء . وجعلتهم يفكرون ويعنون في التفكير ، وقد تجلت لهم

قدرة الله في أقداره : من شفاء للمرضى وإحياء للموتى ، وإخبار بغيوب ما يسرون أو يجهرون ، فاستكانوا لعزيمة الإيمان ، وخشعوا ليقين رب العالمين ، وآمنوا بكل علومهم وعقولهم وقلوبهم ، وتدبروا ما استطاعوا التدبر ، وما جحد بها إلا كل منافق كفار ...

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي
أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ
وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٣ - ٤٩)

ودعا سيدنا عيسى المسيح ، إلى ما دعا اليه سيدنا موسى والأنبياء
قبله ، فلم يغير حرفاً واحداً من ناموس الإيمان - الرصايا العشر - .
لأن حقيقة الذات الإلهية ، وصفاتها العليا ، وأسماءها الحسنى واحدة
أزلاً وأبدًا ، ويستحيل أن يتزل بها ما يتزل بالأكوان الحادثة من
التغيرات العامة والخاصة .

إنما التغيرات تكون في الشرائع التي توحى من رسالة إلى رسالة حسب
الحاجات والمقتضيات .

من أجل ذلك أحل الله لسيدنا المسيح بعض ما حرّمه لسيدنا موسى :

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥٠)

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

(٣ - ٥١)

وأيد الله رسوله الكريم سيدنا عيسى المسيح بمائدة من السماء مباركة :
دعماً لإيمان المؤمنين ، وزجراً لارتباب المرتابين ، استجابة لطلبهم .

وذكرها العظيمة هي عيد للأوائل والأواخر ، ويا ويل الذين ارتابوا
بها بعد نزولها ، إن العذاب الشديد الذي لم يعذب به أحد قبلهم من
العالمين يرصدهم في آخرتهم .

ويسمى دارسو العهد الجديد هذه المائدة السماوية المباركة « العشاء
الرباني » :

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)
قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا
وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣)

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّاظِقِينَ (١١٤)

قال الله إنني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنني أعدُّه
عذاباً لا أعدُّه أحداً من العالمين (٣ - ١١٥)

وما أعظم الحواريين خاصة تلامذة سيدنا عيسى ، وما أصدق إيمانهم ،
وما أخلد ذكراهم ، فهم أنصار الله حقاً وصدقاً ، رغم النوازل التي
نزلت بهم ، ورغم البلايا التي لحقت بهم من مكان إلى مكان .
فهم آمنوا وصدقوا وصبروا ونصروا وانتصروا .
وهذا خاتم الوحي الإلهي - القرآن المجيد - ينوه بهم ، وبتأييد الله
لهم حتى ظهرُوا على أعدائهم من بني إسرائيل ، وسواهم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ
اللَّهِ فَأَمَّا مَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (٦١ - ١٤)

ويسعدني أن أختم نبذة سيرة سيدنا المسيح بأبيات أمير الشعراء
أحمد شوقي :

وليد الرِّفقُ يومَ مولِدِ عيسى والمروءاتُ والهدى والحياءُ
وازدهى الكونُ بالوليدِ وضاءُ بسناهُ مِنَ الثرى الأرجاءُ
وسرت آية المسيح كما يسري من الفجرِ في الوجودِ الضياءُ
تملاً الأرض والعوالمَ نوراً فالثرى مائجٌ بها وضاءُ

٥ - خامس أولي العزم خاتمهم محمد ﷺ

جاء خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وجاهير
البشرية على استشرافٍ لبلوغ رشدِها العقلي والعلمي .

أي أصبحت تقدر أن تحكم العقل والعلم ، فيما تدعى اليه من عقائد، إن هي أرادت، أما قبل ذلك فقلما كانت تستطيع — ولو أرادت — لطغيان سلطة التقاليد الوحشية الوثنية المستعصية عليها .

ومن أجل ذلك كانت المعجزات ، التي يؤيد الله بها رسله ، مادية حسية مشاهدة ، وكل الأمر في جحودها ، أنها تُنسب إلى السحر دهاءً وكيداً من الملحدّين العالمين بها ، وسذاجةً وحمافةً من المغفلين الجاهلين بها ، كالعصا لسيدنا موسى . وإحياء الموتى لسيدنا عيسى .

• وكانت معجزة خاتم الرسل العظمى عقلية علمية بيانية مثالية متحدية . وهذا أمرٌ أكدّه وحيُّ الله اليقيني المنزل عليه — القرآن المجيد — . لأن رسالته خاتمة الرسالات السماوية ، ومستمرةٌ إلى نهاية العالم . فلا بد أن تكون معجزته خاتمة المعجزات ، ومستمرة إلى نهاية العالم .

والمعجزات المادية الحسية لا تصلح لذلك ، لأنها محصورة بزمنها ولا تتجاوزه . إذ يستحيل أن تظل عصا موسى . بين أيدي البشر ، وقد انتقل إلى الله . ورسالته انتهت بمجيء سيدنا عيسى ، ولو بقيت العصا لما أرسله الله بعده .

أما المعجزة العقلية العلمية البيانية الأبدية ، فهي وحدها القادرة أن تثبت صدق الرسالة في كل أجيال الانسانية المتعاقبة ، وذلك إذا كانت المعجزة من ربِّ العالمين حقاً وصدقاً ، لأن غير ربِّ العالمين لا يستطيع ذلك .

وهذه حقيقة لا يرتابُ بها ذو عقلٍ وعلمٍ وبيان ، ولو قل ما يملك من كل ذلك .

والقرآن المجيد يعلن هذه الحقيقة في جملة من السور بصراحة ووضوح .

١ — أما كونه برهاناً من الله فاليك نصه المحكم :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (٤ — ١٧٤)

وكما أن كل تكوين الكائنات برهان ناطق بوجوده . كونه العليم القادر جلّ وعزّ ، كذلك القرآن ، هو برهان ناطق من الله جلّ جلاله — وكل سورة دالة على ذلك وإن قصرت .

٢ — وأما كونه موجهاً إلى العقل ، فهو مقرر في قوله تعالى :

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. (١٢ — ٢)

وفي قوله تعالى :

إِغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخْفِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٥٧ — ١٧)

والآيات التي تنص على اعتماد العقل ، في الفهم والتفهم ، كثيرة جداً ، وليس هنا مورد لها كافة ، والمراد بالعقل ، العقل المنطقي القادر على التمييز بين حقائق الأشياء ، وليس العقل المدبر بالتقاليد ، الذي يجعل أصحابه جامدين على وتيرة واحدة كاللدواب ، وفيهم يقول الله عزّ وجلّ :

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُورُ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٨ — ٢٢)

٣ — وأما كونه موجهاً إلى العلماء فإنه جلّ وعزّ يقول :

... وَنَفَضْلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩ — ١١)

ويقول :

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٢٩-٤٣)

ويقول :

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ
وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٣٤-٦)

ويقول :

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤَفَّكُونَ (٩٥)
فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦-٩٧)

وأقول ما قلته آنفاً ، إن النصوص في ذلك وفيرة جداً ، ويكفي أن
تعلم ، أن الله جل وعز ، نص أن القرآن المجيد آيات بينات : تسألني
في صدور من ؟!! الجواب من الله جل وعز : « في صدور الذين
أوتوا العلم » كما أن جحدوده ظلم ، لأنه جحدود ييقن العلم .

وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينِكَ إِذَا
لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٢٩ - ٤٩)

ويكفي لكي يدرك الدارسون ، قيمة العلم في وحي الله ، أنه أعلن
أن الجاهلين دون العلماء ، وهذا شرف للعلم واهله ، ما فوقه شرف ،
يعني ذلك ويتذكر به أرباب العقول العالمة :

... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٣٩ - ٩)

وهل ملأ مكاتب العالم العامة والخاصة ، بالمؤلفات الضخمة ، والتفاسير
الهائلة ، والمعارف المختلفة ، والشرائع والآداب ، إلا وحي الله المعجز
القرآن المجيد !!!

وأي كتاب في الدنيا ، له كل هذه الآثار الضخمة الخالدة ؟ ليكون
نداً للقرآن المجيد ، ويتحدى به إعجازه السرمدي الذي هو روح من
رب العالمين . أنزله جل وعز ، ليكون حجة علمه الأزلي الصارخة على
مدى الأجيال ، فإن كان نده موجوداً في تأريخه أو قبله أو بعده ،
فليعرض على المجامع العلمية ، ليقارن به القرآن . والتحدي مستمر إلى
نهاية العالم .

٤ - وأما كونه معجزة بيانية متحدية إلى الأبد ، فإليك نصوصها
من القرآن المجيد .

يكفي أن تعلم أن الله يعلن أنه نزّله بعلمه ، وهل علم الله قليل ؟
لا لا ، ليس بالقليل أبداً ، ادرس القرآن بكل ما تملك من علم وفكر
ومقارنة تلمس هذه الحقيقة لمس اليد ..

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٧٦ - ٢٣)
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
(٢٥ - ١)

والفرقان كل كتاب من عند الله ، لأنه يفرق بين الحق والباطل
والعلم والجهل والدين والأسطورة .

والمقصود هنا « القرآن نفسه » لظهور كل ذلك فيه بوضوح .
... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ (١٦ - ٨٩)

والقرآن المجيد نزل بعلم الله ، الذي لا يتخلف في شيء . هذا
محال ، ولكن المتخلف ، هو علم الانسان . لذلك كلما تقدم الانسان في
العلم ، قرب من فهم علم الله الذي أودعه في وحيه اليقيني ..

... فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١١ - ١٤)

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ (٧ - ٥٢)

وإذا تدبرت الآيات المتحدية المتزلة اخذتك دهشة وحيرة وقلت :
هذه مخاطرة ، إن لم تكن مؤمناً ، ولم تكن عالماً بالقرآن ، العلم الصحيح
الصريح وإن كنت مؤمناً ، وكنت عالماً بتأويل القرآن المجيد ، العلم

الصريح الصحيح ، تولاك جلال الوحي وعمق اعجازه و سطوة تحديه ،
بخشوع واكبار ، و يقين وصلاة ودعاء .

قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (١٧ - ٨٨)
وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
(٢ - ٢٣)

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الْيَوْمِ وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢ - ٢٤)

إذن فالريب منشأه كذب التقاليد والجهل ، لاصدق الايمان والعلم ،
والنفي المؤيد على عدم قدرتهم على فعل التحدي بالمثل أو بدون المثل
- هم ومن يشهدون لهم بالألوهية من دون الله ، هو أعنف نفي ساخر
منازل في طلب التحدي . والحق أن هذا التحدي الموجه لكل الأزمنة ،
ولكل الأجيال ، ولكل الآلهة المتخذة من أفراد الكائنات ، لا يصدر
إلا عن الخالق العظيم ، لأن أي إنسان له مسكة من عقل ، لا يورط
نفسه لمثل هذا التحدي العارم . لأنه يحفل الغيب ، فما بالك بسيد العقلاء
خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه . وهما هي الحضارات تتوالى ،
ويتصدرها القرآن المجيد ، والقرآن المجيد نور الوحي الإلهي ، لا يقوى
ولا يشتد ولا يتألق إعجازه وتحديه إلا بغزارة العلوم ، التي تكتشف
وتجدد والقرآن المجيد قادم على إعجاز كبير كبير جداً جداً ، يوم يحصل

التوسع ، في كشف معارف الطاقات العاقلة وسواها ... وهذه مطالعتها بدأت تسفر ..

إسمع وتدبر وفكر وانقد ما لديك من تقاليد ، إن كنت من العلماء المحررين الذين هم مطمئنون بوجود الخالق العظيم ، وبوجوب الإيمان به على وجهه العلمي اليقيني الصحيح ، البعيد عن الظنون والأوهام .

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (٣٧)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ .
(١٠ - ٣٩)

والقسم المدخر من تأويل القرآن للأجيال ، فيه من التحدي العاصف ما فيه !! ..

ومن هذا اللون العاصف المتحدي ، ما ورد في سورة هود :

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَارَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا
مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣)
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١١ — ١٤)

وحسب خاتم الكتب السماوية ، والقرآن المجيد ، أن الله جل جلاله ،
هو الذي علّمه للناس كما علّم البيان . وهذا شرفٌ عظيمٌ ، لا يعدله
شرف .

الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ .
(٥٥ — ١ ، ٤)

والحق أن القرآن المجيد ، لو أنزلت آياته ، على جلامد جبل أشم ،
وقد آتاه الله العلم والعقل ، شأن الانسان ، لكان خيراً من الانسان ،
أي لتصدع شموخه العاتي خشوعاً ، وتفجرت صخوره إيماناً وعلماً لخلوه
من عتو التقاليد . ولكن أنزل على البشر ، فكانوا أشد قسوة وعتواً
من الجبال الشائخة . وقد ضرب الله هذا المثل لنا من أجل أن نتفكر في
وضعنا المزري ، واستبداد التقاليد بنا . ونستفيد من هدى القرآن ،
ونقتبس من أنواره ما نستطيع اقتباسه ونعيش سحابة أعمارنا سعداء بمثله

العليا وإصلاحاته الفضلى .. طارحين أغلال التقاليد تحت أقدامنا .

لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمَثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .
(٥٩ — ٢١)

وإذا تعمقنا دراسة القرآن المجيد ، وجدنا آياته الكريمة بصائر معرفة من رب العالمين : أي أضواء كشافة ترينا العلم من الجهل . والحق من الباطل والدين من الأسطورة . والصدق من الكذب . فالذين يبصرون بها فلا أنفسهم يعود الخير . والذين يعمون عنها فلا أنفسهم يعود الشر ، ورسول الله وظيفته التبليغ ، وليس في امكانه أن يحفظهم من الانحراف عن آيات الله عز وجل ، أو أن يرغمهم على الاستضاءة بأنوار معارفه الباهرة .

ومهما يكن فالذين يدرسون آيات القرآن المجيد ، بإنصاف وأمانة للعلم ، يجدونها بصائر معرفة حقاً ، وهم حملاً يقولون : إن لم يكونوا عالمين بسيرة حياة سيدنا محمد ﷺ ولم يكونوا مؤمنين به ، إنه دارس علوم الكون في جامعات اليونان والرومان دراسة عميقة كاشفة .

أما المؤمنون المطلعون على سيرة حياته ﷺ . فإنهم يعلمون يقيناً ، أن ما تشتمل عليه آيات القرآن من بصائر العلم المتحدي معارف كل خضارة ، هو برهانه القطعي أنه وحي رب العالمين حقاً وصدقاً .
والبصيرة كشف الحقيقة الدالة ، والحجة القاطعة .

وتصريف الآيات هو قلبها في شتى أوجه المعرفة . والله يفعل ذلك تحقيقاً لإعجازه المتحدي على كل مستويات المعرفة الصاعدة المتجددة ،

ولأجل أن يامس الملاحدة أن جحودهم لإعجازه ، لا سند له من العلم والعقل والحق ..

ولا ريب أن تصريف المولى لآيات وحيه في جملة حقائق المعرفة الأصلية التي أودعها فيها تتجلى في ناحيتين :

١ - تتجلى في قوله جل اسمه

وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ ...

أي ليقول العلماء المتعمقون النظر في مدلولاتها . فاللام تفيد علة القول ، ويقول الفعل المضارع ، يدل على امتداد زمن القول في المستقبل ، فيكون تصريف المولى لآياته في حقائق المعرفة مقصوداً ليكون بصائر علم يقيني صاعد ، يقال لمن تعمقه : درست درست في عهد كل تطور حضاري .

وتفسير ذلك أن درست تدل على تأكيد حصول الدراسة السابقة المحيطة بكل المعارف التي تستجد ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا لمن يعلم مجاري الأقدار الكونية أزلاً وأبداً : ذلك هو الله علام الغيوب ، لأن درست محال أن تكون مقصورة على زمن صاحب الرسالة فحسب ، لا لا !! بل مقصودة أن تدل أن منطق علم الله في القرآن سابق كسل المعارف المكتشفة في واقع يقينها على مدى الأعصار ، ليعلم البشر جميعاً أنها من علم الله ، وأمناء العلماء الراسخون يجدون أصول معارف القرآن سابقة لمعارفهم ، ولا يجدون فيها ما يعد باطلاً . هذا محال ، ولو وصلوا بعرباتهم الفضائية إلى كل الأكوان المترامية في مجاهل الفضاء ، ودرسوها عن كذب ذرة ذرة وطاقة طاقة ، لأن منطق علم الله لن يتخلف .

ومهما يكن فمعارف القرآن كمعارف الكون ، هما موجودتان قبل وجود المعارف الانسانية اليقينية الصاعدة ، التي وظيفتها الاعتراف ، من

لجمع معارف الكون ، وسبق معارف القرآن ، مفهوم من لفظة درست .
وهذا هو مجال اعجاز القرآن الكبير المتحدي ..

على أن بعد نزول القرآن، اذعم بنیان المعارف الانسانية . على الواقع
العيان المشاهد . وخلت من زيف الأساطير ، وترهات الأساطير، وتأويلات
المخرفين المتصلة بتكوين الأكوان وسواها .

تتجلى في قوله تعالى :

وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

أي أن تحقيق تصريف الآيات ، في مختلف أنواع المعرفة ، وبيانه
للأجيال ، من شأن العلماء الراسخين . لما يقتضيه من عمق الدراسة ،
والبحث الطويل ، والأمانة العلمية التي لا تفرط في حق يقيني مهما كانت
التضحيات ، وسوى العلماء الراسخين الأمانة ، ليس في مقدورهم كشف
الاعجاز المدخر في تصريف الآيات ، في مختلف أنواع المعرفة ..

والخلاصة أن كشف معارف القرآن الصاعدة ، التي هي فوق معارف
البشر على مدى الأجيال ، هو من شأن العلماء الراسخين الأمانة !! .

هذا جانب من المدلولات المتجلية في الآيتين الآتيتين ...

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ (١٠٤)

وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ (٦ - ١٠٥)

أنهم الله خاتم رسله محمداً صلوات الله وسلامه عليه فيما ما أوحاه اليه .

أن لا ظلم أهول بلایا ، ولا أفدح ضحایا ، ولا أسحق لحقائق الايمان
اليقينية ، وسامي مودتها وصلاتها الكريمة . ولا أمحق للعلم والفكر والحق
والضمير . من أمور ثلاثة :

١ - ظلم إفتراء الكذب على الله عز وجل ، ودسه في وحي الله
لإفساده لا يعدله ظلم . وناهيك بانقياد الأنفس لهذا الظلم ، إذ لقنوه
في غفلات الطفولة أنه وحي الله ، ثم يعين اجباراً في التربية والتنقيف .
هناك بليسة البلایا المزمنة ، وأهوالها المردية . ومن عرف مهالك تأريخ
البشر قديماً وحديثاً وعرف هذه الحقيقة ، علم مصدر إشعال النار . وعلم
يقيناً أن كلمة واحدة مفتراة تُدس في كتاب حق تحوله إلى باطل ،
وفي كتاب إنسانية تحوله إلى عنصرية . وفي كتاب توحيد تحوله إلى
إشراك ووثنية . وفي كتاب دعوة تعارف ومودة رحم انساني تحوله
إلى دعوة تقاطع وبغضاء .

وإذا كان مطلق كذب يعد جريمة يعاقب القضاء مفترئها ، فما بالك
بمن يفترى الكذب على الله جل وعز .

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً »

ألا أين أنتن يا وزارات المعارف ، ولماذا لا تفصلين ما دسه الدساسون
عن واقع وحي الله اليقيني !!!

والوحي اليقيني يدل بنفسه على نفسه هو رحم وتوحيد وتضحية وصبر
وصلح وسمو وخلق وكرم وبسالة وقوة ورضا وقناعة وعطاء وإيثار
وتسامح وعمل وجد ونشاط واستقامة وصلاة وصيام وتقوى وعلم وحق
وصدق وإنسانية وعدل وغفران وتفاهم ووداد وتعارف ، فما كان من
هذا القبيل فهو ما تجده في نصوص الوحي اليقيني حتماً . وما لم يكن
كذلك فالله لا يوحيه ، وهو من قبيل الظنون والأوهام ودس العنصريات

والوثنيات والشرك ، لأن الله لا يريد ظملاً للعباد .

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦ — ١١٨)

٢ — ظلم الذين يزعمون أن الله أوحى إليهم ، والله لم يسوح إليهم بشيء ، وإنما هم يخترعون المفتريات اختراعاً . وشتان بين كلام رب العالمين ، المعجز المتحدي . وكلامهم الساقط الواهن .

أجل شتان بين كلام الشخص العادي ذي الأنانيات والأثرات والأحقاد والعنصريات والضعف الانساني الواهن . وبين كلام رب العالمين ، وراحم الخلق أجمعين الشامل لمثل الإصلاح العليا ، ومنافعه السرمدية ذي القوة المتين .

ولا ريب أن الرسالة الإلهية تحتاج إلى أعدادٍ إلهية ممتازة . وتكوين نفسي خاص . ومواهب خلقية عالية فذة . وتبرئة من العيوب التي تحط من قدر الإنسان . في خواطر عارفيه . ولو كان ذا قدر كبير في مجتمعه . وهذا ما عناه حسان بن ثابت في قوله لرسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — مادحاً :

خُلِقْتَ مُبْرَءً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

فاقتحامها بالإفك والقول على رب العالمين ، والإضلال واللعب على الحبال ، لا يخفى على الدارسين المتعمقين مهما كانت التعميمات والبلهوانيات وإخفاء الحقائق .

ولعل أهول كوارث الانسانية . التي تقوض وحدتها . وتفرقها أبدي سباً ، وتجعلها فرقاً متحادة متآمرة . فأتاها من ينصب نفسه رسولاً يوحي إليه من الله . وهو الذي يلفق الكلام .

إنه عذاب ، إنه موت ، إنه طامة ...

لأن الدنيا ملأى بالإمعات ، أتباع كل ناعق . وبالانتهازين المجرمين

الذي يدسون أنفسهم في كل دعوة جديدة . بغية الافادة والكسب ،
ولا ريب أن كل متنبئ هو المراد بقوله تعالى :

... أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ (٦ - ٩٣)

ظلمُ خبيث الطوية الحقود ، الذي تنفخه روائح الكبرياء التنتة .
وغرورها الشيطاني الجاحد . فيتحدى معجزة وحي الله بالهراء ، ولغو
القول . ويزعم أنه قادرٌ على صنع مثلها .

والحق أنه لا يتحدى إلا خسران نفسه . ولا تشغل بالك في نهاية
هؤلاء الانصاف الثلاثة . إنها نارٌ . إنها عذابٌ . إنها هوانٌ . وكل
ذلك وفاقُ أعمالهم .

هؤلاء ملائكة العذاب تنزع أرواحهم من أجسادهم الفاسدة نزع الحبال
من الأسلاك الشائكة ، جزاء إفتراء الكذب على الله . والاعراض المستكبر
عن فهم ، ما أوحاه الله في القرآن المجيد . لكي لا تنكشف حقائقه
اليقينية لهم ، وإن كان كبيراً في الإثم أن يظلوا معرضين عنه اعتباطاً
أو تقليداً أو عناداً أو مصانعة للغير ..

هذا بعض ما يمكن أن تفهمه من قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ
يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى
إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ
أُخْرِجُوا أَنْفُسُكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٦ - ٩٣)

والله جل وعز . محال أن يؤيد الرسول الكاذب . الذي يتقول عليه الأقاويل وينصره بالاتباع البررة الطاهرين الصابرين المصحين . بل يقضي عليه وعلى أتباعه أننى حلوا . وفي أي مكان نزلوا .

وهلا يقدر المتقول على الله أن يحجز نفسه من إنتقام الله . أو أحد يحجزه عنه . لا لا أحد .

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥)
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ .
(٦٩ — ٤٧)

وما أحسن ما روي عن سيدنا عيسى المسيح :

« كل شجرة لا تثمرُ ثمرًا جيدًا تُقَطَّعُ وتلقى في النار » .

ولا أظن الدنيا بأسرها تشتمل على كتاب وحي يتحدى الله به الإنس والجن والآلهة المعبودة من دونه . سوى خاتم الكتب السماوية : القرآن المجيد .

وهذه ثماره الجيدة معروضة على المجامع العلمية والمختبرات لدرسها وفحصها . معروضة بتحدٍ واعجاز ، باسم الله الخلاق رب العالمين، على مدى الأزمان والأجيال .

— ذكر الله جل وعز في صدر سورة البقرة من آية رقم ٢ إلى آية رقم ٢٠ ، أن الناس منقسمون حيال دعوة تصحيح الإيمان اليقيني ، التي ارسل لأجلها خاتم رسله محمداً صلوات الله وسلامه عليه ، إلى ثلاثة أقسام :

١ - مؤمنون

٢ - كافرون

٢ - منافقون

وذكر لنا أن المنافقين أخطر الفرق الثلاث ، لأنهم مذبذبون ، لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء . ولولا أنهم خطرون لما أمر الله رسوله الكريم أن يحذرهم في قوله :

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦٣ - ٤)

ومأتى خطورتهم أنهم يعيشون بين المؤمنين ، باسم مؤمنين ، وما هم بمؤمنين ، ويخالطونهم باسم أمناء : في صلاتهم وحجهم وصيامهم وقيامهم ، وفي كل أمرٍ جامعٍ ، وهم خائنون .

وأية خيانة أكبر من تفريق الكلمة ، ودس الفتن ، وإفساد خطط الإصلاح الانساني ، التي من أجلها أرسل الله خاتم رسله .

وانك تجد مع كل حذر رسول الله، من خفايا مكائدهم ، ومؤامراتهم ، يصون دماءهم ، ويرعى حرماهم ، ويعاملهم بانسانية لا تعدلها انسانية أهل هذا العصر القمري ، التي يعتبرونها أعلى انسانية عالمية مثقفة حضارية راقية ، وجدت على وجه الأرض ، وقد عاملت المخالفين في العقيدة والرأي ، المعاملة الودية الفذة : سواء أكانوا أبناء وطن واحد ، أو أبناء أوطانٍ مختلفة .

وإني أقدم للمطالعين ، حادثة واحدة من حوادث كثير ، وردت في النصوص اليقينية لتكون اسوةً انسانية حسنة للناس جميعاً .

تلك الحادثة هي أن بني المصطلق الذين هم فرع من خزاعة، وموطنهم على مقربة من مكة ، لم ترق لهم دعوة توحيد العرب على حقائق

الايمان ، بما أنزل الله على محمد ﷺ من قرآن . بل فضلوا عليه ترهات الوثنية والشرك وصغارهما وجاهليتهما ، فتعاقدوا مع من شايهم على قتال نبي الله وصحبه ، وكان الحاقد الأول الممرور الذي ألهم على ذلك هو رئيسهم الحارث بن أبي ضرار .

وعلم رسول الله بالأمر ، فغشي أن يبادروه على حين غرة كعادة العرب ، فكان أسبق منهم إلى المبادرة وسلم لواء المهاجرين لأبي بكر، ولواء الأنصار لسعد بن معاذ .

وأحيط ببني المصطلق وأخذوا أسرى . ولم يجدوا بداً من أن يسلموا، ومع كل ذلك لم يقتل المسلمون منهم في المعركة سوى عشرة ، واكتفوا بأسرهم .

هذه هي إنسانية رسول الله ، التي لا تزال البشرية ، وهي على سطح القمر ، تجدها أسمى وأسمى !! لما هي فيه من انحطاط ..

أنظروا ما اتخذ نبي الله من إجراءات لإرجاع أمن بني المصطلق وكرامتهم اليهم – وهم الذين لو استطاعوا أن يصلوا اليه لما تراجعوا عن البطش به، وبمن معه . ولكن الانسانية العليا بها لا تعلق تخلفات البشر وصغارهم ونفايات تقاليدهم وجيفها وتنهها .

إنه صاهرهم لكي يجعل لهم حرمة مؤثلة في أنفس أصحابه ، والمصاهرة شأنها عظيم عند العرب ، ولا تزال وشائجها قوية حتى اليوم . ومن اطلع على سيرة صقر الجزيرة ، الملك عبد العزيز آل سعود يجد لهذه المصاهرة العربية الكريمة آثارها المباركة . وهذا الذي كان منهم في زمن رسول الله ﷺ ، فأطلق المسلمون سراحهم ، وقالوا أصهار رسول الله ، وعاد كل شيء إلى حالة من قبل . بله ما امتازوا به من شأن رفيع .

ولاني لم أسق هذه النبذة من غزوة بني المصطلق ، لبيان سمو الرحمة

الإنسانية ، التي كانت تقوم عليها أعمال النبي ﷺ . فذلك مدون في النصوص اليقينية التي تنادي :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » ..

وأحسبك تعلم أن المفكر الافرنسي « غوستاف لوبون » هتف بها في عصر الحضارة هذا قائلاً :

ما رأى التاريخ فاتحاً أرحم من العرب ...

أجل لم أسق هذه النبذة لبيان مدى الرحمة الانسانية التي كان رسول الله ﷺ يعامل بها محاربيه . بل سقتها ، لكشف خطر المنافقين على مصير حياة الأمة وكيف كان رسول الله يعالج أمراض نفوسهم المستعصية : بالحكمة العالية ، والنظر السديد ، والخلق الكريم ، إلى جانب اليقظة والانتباه والحزم والعزم خشية انتشار العدوى .

والحادثة هي أن عبد الله بن أبي رئيس المنافقين كان هو وأتباعه مشتركين في هذه الغزوة ، لأمرين : لدس الفتنة ، وكسب الغنيمة ..

وصادف أن وجد سبباً يصلح لاثارة الفتنة وإشعال لهبها ، والتنفيس عن أحقاد الدفينة ضد رسول الله ﷺ .

وذلك أن أجيراً لعمر بن الخطاب جاء إلى الماء ليستقي فرسه ، فوجد رجلاً من الخزرج عليه ، فزاحه شأن السقاة صغيري الأحلام . فتناكسا فتشابكا ، فأخذ أجير عمر يستصرخ المهاجرين ، وطفق الأنصاري يستصرخ الأنصار .

وهنا انتهاز الفرصة كبير المنافقين عبد الله بن أبي فقال لمن حوله إثارة للفتنة :

« لقد كثرنا هؤلاء المهاجرون في ديارنا ، وانتفعوا بأموالنا ، فلو أمسكتهم أيديكم عنهم لتحولوا عن دياركم » .

وكاد قوله المتأمر الحقود يشعل الفتنة اشعالاً .

... لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ (٦٣- ٨)

وأبلغ المؤمنون نبي الله هذا القول الدساس الحقود الفتاك ، وقد آلمهم أن زعيماً كبيراً كعبد الله بن أبي كاد يُمَلِّكُ قبل الإسلام ، يتجاهل الأجداد الانسانية الكبرى ، التي أرسل الله خاتم رسله لتشييدها لا لِقومه العرب فحسب ، بل للانسانية جمعاء . يتجاهلها بعقليته الجاهلية المتخلفة . وغرائزه المنحطة ، فيرونها يحقد ويتأمر ويكيد كيداً من وراء وراء .. ومع ذلك يتظاهر بالآيمان ، ويصر على إنكار ما قاله عامداً أمام رسول الله ﷺ .

ولكن وحي الله فضحه هو واتباعه . وأكد كل أقواله الحاقدة الرعناء ، وقد كانت الفضيحة صريحة لاذعة .

وكان عمر بن الخطاب طلب إلى رسول الله قتله ، ولكن حكمة الأسوة الأعظم ، ونظرته البعيدة الثاقبة ، جعلته يقول لعمر :

.. « فكيف - يا عمر - إذا تحدث الناس ، وقالوا إن محمداً يقتل أصحابه .. »

وكان ولده عبد الله المؤمن الصادق ، قد ضاق بأبيه صدرأ ، وبالحرى بعد نزول الآيات التي كشفتته ، فجاء إلى رسول الله ، وقد حسب أنه يريد قتله . فقال :

- « إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً ، فمرني بقتله ، فإني لأخشى أن تأمر غيري بقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتله . فأقتل مؤمناً بكافر . فأدخل النار .. »

فأجابه نبي الانسانية العالية : « إنا لا نقتله ، نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا . »

والآن أتْل معي هذه الآيات :

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّمَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

(٦٣ -- ٨)

وهنا ينبغي أن نذكر الإيمان الصادق الذي يتجلى في نفس ولده عبد الله حيث يجعل والده وأتباعه يلمسون أن العزة لله ولرسوله ، وأن الذلة لهم ، حيث استل سيفه ، ووقف في وجه والده عند دخول المدينة ، وصرخ في وجهه والغضب يشتعل في وجهه اشتعالاً قف « فوالله لا أغمد هذا السيف حتى تقول : محمد الأعز - وأنا الأذل » . فما وسعه إلا أن يقولها وهو صاغر . لأنه رأى الجد في وجه ولده عبد الله . وحقق العزة لله ولرسوله . وللمؤمنين . ولمس المنافقون ، أن العزة للمؤمنين والذلة لهم .

المَوْضُوعُ الْأَوَّلُ
حِفَائِقُ الْإِيمَانِ

إلفات نظر

إن لدينا نشأً شادين ، تلقوا الثقافة الغربية على علاقتها ، ولم تتوفر لديهم الملكات العلمية ، التي يستطيعون بها ، أن يميزوا بين معارفها اليقينية ، وبين ظنونها وفروضها المنسوبة إلى يقين العلم ، وما هي من يقين العلم في شيء ...

نسبت اليه هوساً وادعاءً وتظاهراً ...

ومهما يكن ، فهؤلاء الشبان الناشئون ، ليست لديهم المعارف الواسعة ، التي يستطيعون بها التمييز بين ثقافة الغرب في القرون الوسطى ، وبين ثقافتنا ، وبين ما يدينون به من عقائد وما ندين به ، وفقدان هذه الثقافة التي تجعلهم يملكون القدرة على التمييز بين ما كان لدى الغربيين ولدينا من معارف وعقائد ، هو الذي جعلهم يظنون أن كل حملات الغربيين الدينية ، وإلحادهم وانحرافهم ، هو حرية وتقدم وصعود علمي ، بالنسبة لنا نحن أيضاً ، وهذا ارتداد منكر وخطأ فاحش أوقعهم في الإختلاط والإرتباك وفساد الأحكام .

لذلك نجد المفكرين لدينا ، يعملون جاهدين ، بمعارفهم وآدابهم ، وببنشاطهم وإخلاصهم ، من أجل توجيه ناشئتنا المثقفين ثقافة غربية

التوجيه الصحيح ، حتى يميزوا بين الثقافتين وبين ما نعتقد ويعتقدون من اتجاهات دينية وأخلاقية واجتماعية .

وهذا الخطأ الذي جعل شبابنا يأخذون عن الغربيين كسل انتقاداتهم الموجهة ضد تخلف مجتمعهم في القرون الوسطى ، ليطبّقوها على مجتمعنا العربي ، كما يأخذ العميان نظارات المبصرين الموضوعة طيباً حسب أنظارهم . وما يفيد العميان بها سوى الظلام الذي هم فيه ، على أن نظارات العميان التي يقصد بها ستر الأعين هي ملوّنة قائمة ، أي ليست شفافة صافية كاشفة .

والحق أن نفس شباب الغرب ، حين يقرأون ما يكتبه علماءهم ومفكروهم من نقد لماضيهم في القرون الوسطى ، يحسون بأنهم خرجوا من أحداث مظلمة وأغلال ضيقة ، لأن ما كتبه علماءهم في هذا السبيل يجدونه حقاً ، وهم بالنظر لحداثة ثقافتهم وطفولتها ، وعدم اطلاعهم على ما كان للشرق العربي في القرون الوسطى ، من جامعات كبرى ، ومعارف صاعدة ، واطّراد في التقدم ، وسموّ في الآداب ، وحرية في الفكر ، واجتهاد في الرأي ، يحسبون أن الشرق في القرون الوسطى مثل غربهم ، وهم معذورون من ناحية عدم تثقيفهم بما يجهلون من واقع ما كان للشرق ، وإن كان العلم لا يعذر أحداً بجهله ، إذ صدور الأحكام مع الجهل مسئولية خطيرة ، وفواجع بلائه كبيرة ، فما بالك إذا صدرت الأحكام بالجهل بماضي شرقنا العربي من شبّانه أنفسهم ، فالمصيبة تكون مضاعفة ، والبلاء أدهى وأمرّ ، والمسئولية أخطر ، لأن السهم الذي يطلقونه حينئذ ، يرتد الى صدورهم .

وما أكثر الشبان الشادين ، الذين تُطمس في مسيرتهم الدراسية ، حقائق معارف الشرق عمداً ، تُطمس من فريقين من المعامين الكاتبين فقط :

١ - من المشبوهين المتاجرين بالمعرفة .

٢ - ومن المكبلين المقلدين في المعرفة .

اولئك المعلمون الكاتبون يُدرّسون ثقافة الشرق ممزوجة بوباء ما أشربوه في غضمون دراستهم من شبهات مصنوعة ، من أجل الدسّ والتمزيق ..

ومن أجل طمس معالمها النيرة الخيرة ..

وهم يُدرّسونها لجميع الشبان . من غربيين وشرقيين على سواء ...

١ - يُدرّسونها للغربيين لكي لا يفتنوا إلى وقائع المعارف اليقينية الشرقية ، وما تحمل من هداية إنسانية عالية ، في خاتم الكتب السماوية « القرآن المجيد » وما حقق للإنسانية من حضارة لا وباء فيها ، ولا أحقاد ، ولا مؤامرات ، ولا دسّ وافتراء وتشويه .

٢ - ويدرسونها للشرقيين حتى تُطمس في أنفسهم معارفها ، وتشبه معالمها . بخرافات الوثنية ، وأساطير الإشرار ، وتظلم سبلها النيرة وتكفهر ...

هذه جنائيتهم على حقائق العلم اليقينية . وفي زعمهم أن ذلك مصلحة ، ولكن أي مصلحة لهم لأي أمة من البشر ، في تشويه حقائق العلم اليقينية ، وإذاعة بلبلة الجهل بين أبناء الإنسانية ، وفي تنمية الأحقاد ، ودس الفتن والمخاوف بينهم ، التي تفقد الثقة بين أفرادها وجماعاتها ، وتحول دون صدق المودة ، وحسن النية ، في معاملاتهم ومعاهداتهم ، وتجعل كل ذلك مدخولاً موبوءاً مرتبطاً بالمصلحة الخاسرة وجوداً وعدماً .

هذا صنع العلماء المتاجرين المشبوهين في الشرق والغرب معاً . ولكن هناك علماء متعمقين أمناء ، يكشفون حقائق العلم للعلم . في كل شيء إيماناً وتضحية وجهاداً ، دون تطلع إلى المكافأة من أحد . ودون تأثير بالتعيش ، والرغبة في رغبته على علمهم .

ولاني أعلن أنني ما لجأتُ الى بينات الثقافة الحديثة ، في دعم ما أقدم من علم يتصل بمعجزات القرآن المجيد ، إلاّ رعاية لمن ذكرت من الشبان الذين تثقفوا بالثقافة الغربية ، أو ما يزالون يتثقفون . وهم بعدُ براعم لم يفتحوا بالعلم ، ولم يبلغوا الدرجة التي تجعلهم قادرين على تمييز الغث من السمين ، والحق من الباطل ، والعلم من الجهل ، واليقين من الظن ، في كل ما يُطرح بين أيديهم من معارف ، أجل هم ...

أولاً : لا يميزون بين نشاط الثقافة الغربية ، واكتشافاتها وتحقيقاتها واستقامتها ، وبين اعوجاجها في مفاتن لذاتها ومغرياتها الآثمة ، المعطلة مواهب المعرفة والتعمق في درس مكتشفاتها وابتكاراتها ، التي جددت وحققها علماءها العباقرة المكتشفون .

ثانياً : لا يميزون بين النفوس الواعية ، ذات المواهب العبقريّة ، والإرادات العتيدة ، التي رفعت منائر العلم ، وشيدت صروح الحضارة في كل أمة ... وبين النفوس الغافلة المنحلة ، التي يأخذها زيف الثقافة الطافية على سطوح الحضارة : سواء رحلوا اليها ، أو رحلت اليهم .

ثالثاً : لا يميزون بين العلماء ، الذين فكّروا ودرسوا وشيدوا واستطاعوا أن يغزوا الفضاء ، بصواريخهم وعرباتهم ، ويستخرجوا ما تحت الثرى من كنوز . وبين المهرجين السادرين في مقاصف زيف الحضارة ، ومسارحها وحاناتها وسهراتها وأصحابها وصواحبها !!

هذه النواحي الثلاث ، هي التي دفعتني الى عرض معجزات سورة ياسين ، الى الشبان الشرقيين والغربيين بهذا الأسلوب العالمي السلس المقتبس من أضواء وحى الله جل وعزّ .

أعرضها وأنا ملتزم دلائل الكلمات اللغوية ، وصياغتها ومعطياتها الفذة البكر ، التي لا تبلى جديتها ، ولا تنتهي عجائبها على مرور الأزمان .

ولاني - في الوقت نفسه - لا أنسبُ لنفسي العصمة ، من الزلل

والخطأ ، فمن رأى الحق والعلم في غير ما ذكرت ، فأنا معه . لأن الحق والعلم هما رائدي ، وما أنا إلا طالب علم ، ولست فيلسوفاً . وطالب العلم يحس دائماً بالحاجة الى يقين العلم في كل شيء . ويمتد الظنون والأوهام ...

وطلاب الثقافة الغربية الشدة ، تغشاهم الظنون . والفروض من كل مكان ... فيحسبونها علماً . وما هي بعلم ، كما أن رواد الصحراء الظمء ، يغشاهم السراب من هنا وهناك فيحسبونه ماءً وما هو بماء ..

أما ترى الشباب حيارى ، لكثرة ما يُعرض عليهم من المبادئ والنحل الظنية والمخترعة ، المتألقة بمشتهيات الأنفس ، وضرورات البيئة ، ومواقف التزوات من قريب !!

ولو عرفوا ما يحمله لهم يقين العلم ويقين الوحي ، من أمجاد الحياة وسعادة الأنفس ، ورغد العيش ، لما ارتابوا ولا انحرفوا ولا فجروا ولا ألدوا ... ويكفي لكي يتبينوا واقع الوحي اليقيني ، ولكي يؤمنوا به ، أن يدرسوا :

أولاً : ما اكتشفه علماء الحضارة من علوم ، وبالبحري علم الفلك ...
ثانياً : ما تناقلته الأمم من شرائع ، وما توارثوه من عقائد وأسفار دينية .

ثالثاً : أن يدرسوا ويتأملوا ويقارنوا ويتعمقوا بحرية وانصاف وإخلاص ، في معجزات خاتم كتب السماء « القرآن المجيد » ...

هذه الدراسة تمنح الإيمان العلمي الصحيح بكل تأكيد ، وطمأنينة القلب . ومهما يكن فالشبان الذين يحترمون حرية الفكر ، وقيمة العلم اليقيني ، حتى لو استطاع الملاحدون الآثمون ، أن يزينوا الإلحاد ، ويزعمونه لهم أنه مُشيد على براهين العلم اليقيني ، واستطاعوا أن يشوهوا لهم الإيمان

بالحائق العظيم . ويزعمونه لهم أنه ظني خيالي لا برهان له من واقع العلم اليقيني ...

فهم إذا عمّقوا علوماً . وأنعموا أنظاراً . وتوقدوا عقولاً ، في دلائل الإيمان والإلحاد معاً بدقة وحرية . ومقارنة ونزاهة . فإنهم بلاريب يتنهون الى اعتناق الإيمان ومحاربة الإلحاد .

ذلك لأنهم يامسون العلم الأزلي الشامل ، الذي تزخر به الأكوان . منسوباً إلى غير عالم ، ويشاهدون التدبير الذي تقوم عليه العوالم منسوباً إلى غير مدبر .

هذا ما يقوله الملحدون لهم . ولكنهم يختارون فيما يقولونه لهم . ويضيقون به ذرعاً . فيرتابون ويضطربون ولا يصدقون .. ويؤمنون أن وجود مكوّن للأكوان ، الخالق العظيم ، حق وصدق ...

ولكنهم أيضاً يرتابون ولا يصدقون ، أنه شمس ، أو نار ، أو ملاك ، أو شيطان ، أو روح ، أو طاقة . أو شيئاً مما هو مؤله ومعبود ، ومنسوب اليه خلق العوالم . وقائم في هذا الوجود المحدث .

وهكذا ينفضون أيديهم من كلا الأمرين معاً . أي من نسبتها إلى ما ألهوا وعبدوا من آلهة متخذة من أفراد الكائنات ، ومن نسبتها إلى لا شيء .

فهذه الحيرة الحائرة ، التي تسيطر على عقول شباب العالم ، هي التي حدث بي إلى عرض البراهين العلمية اليقينية ، التي يؤمن بها ، ويطمئن لها كل المثقفين ثقافة غريبة حديثة ، بالعلم والبرهان ، لا بالظن والبهتان ...!!

ومع كل ذلك ، فأجدني أسطرها ، وأنا ضائق بها صدرأ . لأن إيماني - والحمد لله - منبثق من حقيقة عين الوجود ، وقائم في قسطاس

موازين العلم ، وعميق في قلب الحضارة الصافية .

بل هو فطرة الله في أنفسنا ، وفي قلوبنا وعقولنا ، وفي ثقافتنا وبيئتنا .
وفي كل شيء .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ . ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ (٣٠ - ٣٠)

ولا ريب أن تكوين كل كائن ، وما يشتمل عليه من دقة ونظام ،
هو تسبيح وتقديس وتنزيه لله رب العالمين خالقه ومكونه جل جلاله .
يفقه ذلك من يفقه أسرار الله في خلقه ، بنظر العلم الخالص والإيمان
الصادق بالوحي الحق الطهور .

وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (١٧ - ٤٤)

القرآن معجزة كونية أبدية

الحق أن كل ما في يقين الكون ، وكل ما في يقين الوحي الآلهي معجز وعجيب ومدهش ، يتبين هذا المثقف الواعي الحذر ...

إذا استطاع أن يدرس معارف الوجود ، ومعارف العقائد المتوارثة من يقينية علمية ، ومن ظنية وهمية ، ومن مغالطات بين هذه وتلك ! أي إذا استطاع أن يدرسها بأمانة ونزاهة ولحفة ونقد علمي صحيح ..

والدراسة إذا خلت من النقد العلمي الصحيح ، ومن الأمانة والنزاهة ، وخلت من اللهفة ، إلى كشف واقع المعرفة اليقينية في الأشياء ... كانت كعواصف الرمال الهائجة المتلاطمة في متاهات الصحاري المحرقة ، في ظلمات لياليها المرعبة ، تضل ولا تهدي . وتضر ولا تنفع ، وتدمر ولا تعمر ، وتفرق ولا تجمع ، وهي أبعد ما تكون عن يقين المعرفة ... وتكون دراسة مطموسة خائبة ، ولا يمارسها إلا المنتهزون الهدامون باسم البناء ، ولا يفاخر بها إلا أشطار المثقفين المغرورين باسم العلم ...

هؤلاء وأولئك هم الذين يقولون ، إذا عرضت عليهم معارف الوجود ، ومعارف معجزات الرسل ... تلك سنن كونية ثابتة ، وهذه خوارق مروية غير ثابتة ... يقولونه عامدين إعلانياً وجهاراً .

فاذا شاهدوا الأجرام السماوية السابحة في الفضاء ، تجري بنظام دائم ، لا تخلخل فيه ولا تخلف .

قالوا : هذا مشهد سنن الكون الثابتة ، وإذا ذكر لهم علماء الوحي ... ان سيدنا ابراهيم عليه السلام ألقى في النار ، فكانت برداً وسلاماً عليه . قالوا : تلك معجزة حقاً ، ولكنها لم تدم . ولو دامت لكانت خاضعة للبحث العلمي الكوني ، شأن معجزات السنن الكونية ...

ومن أجل ذلك لم يصدق بها إلا المؤمنون بها تقليداً !!!

وفاتهم أن معجزات الرسل اليقينية، أي الثابتة بالتواتر الجماعي القطعي ، التي أجراها الله تصديقاً لهم وتأييداً .. هي مشتملة على براهين منطقية كاشفة جلال مجريها وفارضها — الله — جل جلاله ... وهي في الوقت نفسه ، أكبر وأروع وأدهش من كل معجزات السنن الكونية ، على الرغم من عظيمة مبدعاتها التي تبهر شوامخ العلماء كل البهت ، لدى اكتشافاتهم منها كل يوم ما هو طريف وفريد ...

ولا يحقق فهم معجزات الرسل اليقينية إلا الاقبال على درسها في معارف القرآن المجيد ، بطول أناة ، وإنعام نظر ، وصفاء سريرة ، وانفلات من أرسان التقاليد ... ولو فعلوا ذلك لعلموا أنها أكبر واوسع واهدى من براهين معجزات الكون . ولهتوا بكل ما تملك قلوبهم وعقولهم وعلومهم وحياتهم .

سبحانك — ربنا — آمنا أن كلاً من معجزات الرسل ومعجزات التكوين ، هما من اتقان صنعك وابداعك ، وكبير قدرتك وواسع علمك ! فأنت وحدك الذي لك الخلق ولك الأمر .

فكر — يا قارئ العزيز —

لو أن الله ربط شتى الأجرام المترامية ، في ابعاد الفضاء ، التي منها

كرتنا الأرضية بسلاسل من البلاتين ، وعمد من الفولاذ ، عوضاً عن
الجاذبية التي هي طاقة لا تبصر ، ولا يعلم عنها ...!!!! لقال الملاحدة :
ان ذلك سنة الكون ...!!

وهب أن الله ، فصل كرتنا الأرضية ، عن إمساكها ، بالسلاسل
والعمد ، وأمسكها بطاقة الجاذبية - التي هي سنة كونية حالية - أمسكها
بعض الوقت ، وجعل ذلك آية معجزة على صدق رسول من رسله ،
أما يقول الملاحدة أيضاً ...!!!!

تلك خارقة سحرية ، ولا حقيقة لها ، في عين الواقع القطعي ...
وتصعقهم كامة العلماء المؤمنين !!
تلك معجزة وحقيقة مشاهدة ...

لأن مفهوم المعجزة عندهم : هي الحدث الخارق لما هو معتاد ،
يجريه الله بعض الوقت متحدياً ... لإثبات صدق دعوى الرسالة السماوية ...
والملاحدون سواء ركبهم غرور السلطان واستكباره ، أو غرور العلم
ورعوثه ... يكابرون في صدق معجزات الرسل ، وينسبونها إلى السحر
والتخيل ... هذا إن شاهدوها . وإن رويت لهم ينسبونها الى الوضع .
أو الى أحلام اليقظة أو الى المغالاة في الدين !!!

هذا موقفهم من معجزات الرسل ، ولا غرابة ...!! وهم يجحدون
عين وجود الله الخالق العظيم ، على الرغم من كبريات براهين وجوده :
المائلة في سنن الأكوان ، وفي وظائفها ومقادير أحجامها ، ومسافات
أفلاكها ، وفي أبعاد الفضاء المقدرة بما دون الثانية ، وبما دون السانتي
آلاف المرات ...

يجحدونه ، وينسبون الأكوان الى الطبيعة ، ويقصدون أن تكوينها
كان ذاتياً ، أو ينسبونها الى الصدفة ، ويريدون أن تكوينها لم يكن إلا

رمية بغير رام ، ولم يكن بصنع صانع ، وعلم عالم ، وإرادة مريد .
يا عجباً كل العجب !!! الوجود كله صدفة !!! تالله لو كان هؤلاء
الملاحدة من العلماء المتعمقين ، لما أصرروا على نسبة تكوين الكائنات إلى
الطبيعة أو الى الصدفة ...

لأنهم كانوا ينجلون من نسبتها الى لا شيء ، وهم في كل ساعة
يكشفون من معارفها ما يكتشفون ، ولكنه الجنون ، والجنون فنون .

فهل ترى عجباً بعد ذلك ، إذا شاهدت هؤلاء الملاحدة ، أشتار
المتقنين ، يحددون معجزات الرسل ، ويقولون عنها ما هي إلا تشخيص
وله ديني ومشاهد أحلام وصرع ، وليس لها أية صلة بالعلم القطعي ..

ومها يكن من إلحاد الملحدين ، وإيمان المؤمنين ، فإن رواسخ العلماء
المتعمقين ، في حقائق العلم اليقيني . وفي حقائق الوحي اليقيني ، يعلمون أن
السموات ، عوالم مترامية في شتى أبعاد الفضاء ، ومنها أرضنا !!!
قد انفتق بعضها عن بعض ، بعد أن كن كتلة واحدة ، ثم وجهه
الله كل كائن إلى مكانه المعين له في أبعاد الفضاء ، بكل دقة وإحكام
ونظام ...

ويعلمون أن معجزة الوحي الآلهي ، في إعلان أن الماء أصل
الحياة ، هو منارة كاشفة ، وناهيك بما كشفته من سمو حضاري في عالم
المعرفة !!

وأخيراً تحققت فعلاً معجزة الماء في عالم الحضارة ، وقد فصلوها
تفصيلات علمية مشاهدة ، في كتاب مستقل رائع ، هو كتاب « الماء
معجزة الطبيعة لمؤلفه طومسون كينج » .

واتل كل ذلك باخلاص ، وتأمل في الآية الآتية ، ولا تدع
استظهارها :

أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَقَعْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٢١ - ٣٠)

وإن درج أولو المعرفة ، من الدارسين ، على تسمية النظم التي تخضع
لسلطانها الأكوان وتستمر مهيمنة عليها - سنناً كونية ، فلن تخرج عن
أنها آياتٌ شاهداتٌ وبيّناتٌ علميةٌ ناطقاتٌ بسر وجود الله الخالق العظيم ،
مخطّطها وفارضها والمهيمن عليها ومسيرها ..

ومع ذلك ما اعتبروا معجزات الرسل سنناً كونية ، ولا أشباهها ،
لأنها في زعمهم لم تدم ، لتدل على صدق الرسالة ، التي أجازها الله
لتأييدها ، وإنما وصلت اليهم أخبارها من طريق الرواية ، هب أن
معجزات الرسل - لم تكن كمعجزات السنن الكونية ، دائمة الدلالة ،
على صدقهم ، بصورة مشاهدة محسوسة ، على مدى الأجيال .

الا أنها تعدل معجزات السنن الكونية ، من كل وجه . لأن ذكرها
منوه به في إعجاز القرآن المجيد ، وإعجاز القرآن المجيد هو أبقى من
دياننا وأخلد . لأن دياننا تنتهي ، ولكن إعجاز القرآن لا ينتهي ولن
ينتهي . لأن مجال نصوصه ممتد ، حتى إلى عوالم الآخرة ، إذن فعدم بقاء
معجزات الرسل عليهم السلام ، هو الباعث على جحود الملاحدة لها ،
وبالحري ، بعد أن اضاف الوضاعون عابها ، ما أضافوا ، من أساطير
وخرافات ، تضحك حتى العامة ، فما بالك بسواهم من المثقفين الواعين !!

والوضاعون المقترون إما مؤمنون وإما ملاحدة ، فإن كانوا من
المؤمنين ، فمنهم يضرون أضراراً بالغة ، في زعزعة مفكري المثقفين عن
الايمان بوحي الله ، من حيث يظنون أنهم يشتمونهم عليه ، ويعدون غير
المؤمنين للدخول فيه . ولو كانت كثرة الخوارق والمبالغة في وضعها تدخل

في الدين ، لأصبح البشر كافة براهمة . لأنهم يملكون من أساطير خوارق الخارق ، التي تربو على اعداد رمال الصحاري .

وإن كانوا من الملاحدة ، فانهم يضعون سخافات الخوارق الشاطحة ، الموهوسة ، ليصدوا العلماء المفكرين عن الإيمان بوحى الله اليقيني، وبالحرى من لم تسمح لهم أوقاتهم بالبحث العلمي المتعمق ، ليفرزوا العلم من الجهل ، والدين من الأسطورة ، والموضوع من غير الموضوع ... وهؤلاء الملاحدة ، لا يزعمهم وازع ، من الوضع والدس والزيادة والنقصان في وحي الله اليقيني ، وما داموا لا يؤمنون بالله الخالق العظيم ، ولا يملكون الأمانة العلمية الرادعة عن ارتكاب جريمة الوضع ...

والعلماء الأمناء المتعمقون . يقتصرون على ما ذكره الله من المعجزات في وحيه اليقيني ، ولا يحيدون بدلائل ألفاظها عن مواردها اللغوية الأصيلة . ليخرجوها عن امكان الوقوع على ما هي عليه ، رغبة في هدم الإيمان بقدرة الله جل وعز على صنعها . وهم يقصدون من وراء ذلك أن يبسطوا سلطان الاحاد على اشطار المثقفين ، وضعفاء الفكر الذين تخفى عليهم مكائد الملاحدة المتسترة .

وبحثنا هنا حول معجزات الرسل . وكرامات المؤمنين المتبتلين المخلصين . المذكورة في وحي الله اليقيني « القرآن المجيد » كحديث الملائكة ، لوالدتي موسى وعيسى عليهما السلام . وصاحب سليمان ، وحادثة أهل الكهف . أما اعجاز القرآن المجيد نفسه . فهو فوق معجزات سنن الكائنات ، قوة وثبوتاً وديمومة الى يوم الساعة وما بعدها ...

لأنه حقيقة كلام الله النفسي الأزلي اليقيني المتحدي الصارخ ، بخلاف معجزات الأكوان ، فانها حادثة صامتة .

والذي يدلنا على سرمدية اعجاز القرآن ، وأنه فوق السنن الكونية

بقاءً واستمراراً ، هو انزاله للبشر ، كافة ، وجعل معجزته أكبر من كل معجزات الرسل ، واخْلِدها على الاطلاق ، وجعلها أبدية ، ومثلاً أعلى ، وهي لن تستوعب من النظرة الأولى ، وإن كانت تعمق الإيمان ، وتستهوئ الأفئدة ، وتروع العقول ، وتنمي العلم في شتى نواحيه .

بل لا بدّ من إدمان النظر فيه ، وترديد تلاوته باستمرار ، ووزنه بموازين العلم اليقيني ، ولا بد للدارسين من تطهرهم من دنس أنانيتهم ، وبغيها في الأحكام ، ولا بدّ من انعزالهم ، عن الاغترار بشخصياتهم القومية ، وأثرتها وانضمامهم إلى الروح الانساني العالمي وكريم إشاره .. حتى تظهر معالم وحي الله ومعجزاته ، في علوم العلماء ، وفي شرائع المتشرعين ، وفي آداب الأدباء ...

وتظهر في اشراقاتها السماوية المقدسة ، وفي سبحاتها الروحية الطاهرة ، وفي روائعها البيانية الجذابة ، وفي أمجادها السامية الخالدة ... ولا عبرة بالدارسين المقلدين المترمّتين .

لأن تقاليدهم وتزمّتها ، يجعل دراستهم متلونة بألوان تقاليدهم . ومغلولة بأغلال تزمّتها ، وجاهلة أو متجاهلة حسب ميول مجموعاتهم النفسية المنحرفة ، وهذا شأن كل دراسة غير مبنية على البراهين العلمية اليقينية ، يا حسرتي أنها قاتلة قاتلة ، أنها أوبئة الأوبئة .

ويجب على العلماء ، بناء الحضارة ، في كل أمة ، أن يستأصلوها من جذورها . وكم هم المنافقون ، الذين يُظهرون للجاعة المؤمنة ، المستقيمة الصادقة ، أنهم مؤمنون مستقيمون صادقون ، وفي خفايا أنفسهم وأعمالهم انهم كافرون ، وأنهم منحرفون ، وأنهم كاذبون .

وليست الحقيقة النفسية ، هي التي تظهر في أعمال أكثر البشر . فهذا فرعون وقومه لما شاهدوا آيات الله البينات ، التي أيد الله بها رسوله

موسى عليه السلام مبصرة بالبراهين اليقينية المشاهدة ، نسيوها الى السحر ،
والتنجيل ، وفي أعماق أنفسهم أنها يقين الحق :

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا (٢٧ — ١٤)

وهذا صنع المستكبرين الظالمين المتهزين — منذ أبعد الأزمان — الى
اليوم يجعلون العلم جهلاً ، والحق باطلاً ، والصدق كذباً ، حسب نزوعهم
الى نزواتهم وانقيادهم لأهوائهم ، وكم هم الذين قرأوا القرآن مراراً
وتكراراً ، ودرسوه في أروقه العلم ، وفي محاريب السماء ، وتنسموا نفحات
أقداسه ، واستجلوا سبحات ملائكته ، وأحسوا أضواءها تشع في أعماق
أنفسهم . وتخفق لها قلوبهم ...

ومع ذلك يُصرون على إعلان جحودهم ، بها ظلماً وعدواناً ، وينسبونها
الى السحر ، او التلقي عن بعض الأعجميين أو الكهنة .

وأرى أنه آن أوان العصر الذي سيكتشف علماؤه الراسخون الترهء ،
وكتابه الإنسانىون الأمناء ... أن القرآن كلام رب العالمين .

وأنه معجزة الأبد المتحدية ، وانه لا يدرك إلا بالعلم ، ولا ينجلي
إلا بالتفكير ، ولا يلمس إلا بالدرس والبحث وإدمان نظر .

وأن معجزته ، فوق المعجزات الكونية تحدياً وخلوداً وظهوراً ، الى
نهاية النهايات . أجل آن أوان أن يفقه العالم ، أن القرآن الكريم ، معجزة
خاتم الرسل محمد ﷺ ، ويؤمنوا بها ، ويضحوا من أجلها ما يضحون ،
ويتودوا ويتفاهموا ، وينصف بعضهم بعضاً ، بالحق والعدل ، والسير
على أضوائها وسمو مناهجها ، وعدل أحكامها ، والويل كل الويل للجبل
الذي يلي جبلنا ، الذي نحن فيه ، فهو مقبل حتماً ، على أحد حدثين
مصيرين ...

١ - إما حدث إيمانه بوحى الله اليقيني ، المنزل في خاتم الكتب السماوية - القرآن المجيد - المؤيد بالبراهين العلمية اليقينية . والجامع لكل مثل الإنسانية العليا ، والناهض بالحضارة ، الى المودة الإنسانية الصافية ، والمعارف التقدمية النافعة ، والتعايش السلمي ، المبني على أساس العدل المطلق ، وطرح زيوف الحضارة وأطماعها ، ومؤامراتها وأحقادها ، وغرورها بكشوفاتها التقنية العلمية .

٢ - وإما حدث - اللامبالاة - بقيم الإنسانية الروحية كافة ، والتنكر لها ، ولحرمتها ، واستباحة محارمها كافة ، واللامبالاة بتفاهم السليبيات ، من إلحاد ومجون وجحودٍ لحقائق العالم الثاني . وزعم ان كل ذلك مظهر للوعي العلمي الكبير ، وكذلك عدم الاكتراث بطغيان النمو السكاني ، غير المحدود . وانفاق الموارد في ابتكار المهالك ، لا في ابتكار المزارع ، والعالم مقبل على مجاعة مدمرة ..

ولمَ لا يُضحى الجيل القادم بنفسه ، على مذبح الإلحاد ، والتمرد على الأديان ؟! وقد ثقفه الملحدون ، أن ذلك انتصار للعلم ، والحضارة والتجدد والتقدم والذكاء والحرية والسيادة والسعادة ..!!

ولو علم الجيل الجديد ، أن الماحدين ، الذين ثقفوه ، قد انتحلوا مُثُل وحي الله العليا المنزلة في خاتم الوحي الآلهي « القرآن المجيد » . انتحلوها ونسبوا الى إلحادهم ظُلماً وعدواناً ، لبطل إيمانهم بهم ، ولمسوا بكل حواسهم ، ان سعادة الانسانية الدائمة هي من وحي الله لا من إلحادهم ..

وكم هم العلماء الذين يطوفون أقطار السموات والأرض ، ويرصدون عوالم الفضاء السحيقة ، الظاهرة والخفية ، باحثين عن مفتاح باب السماء ، للتعرف الى الايمان اليقيني ، باحثين عنه بمراقبهم ، بمحطاتهم الفضائية . ومن أجل ذلك تراهم يتعمقون الجهات الست ، ويتزلون على كل

كوكب ، بحثاً عن المفتاح ، ولكن يعودون خائبين يائسين من وجود المفتاح ، والمفتاح أقرب اليهم من أنوفهم ، لو كانوا يعلمون ...

أجل المفتاح بين دفتي المصحف ، هو علم الله المفصل فيه .. هو هدايته العالمية الخالدة ، هو كلامه المعجز الحق ، هذا هو مفتاح السماء ، وهذا هو السلام العالمي ، والصعود إلى المعارف اليقينية ، والسعادة الأبدية ، هذا هو مفتاح الإيمان العلمي اليقيني الصحيح ...

والعلماء المتبتلون لكشف واقع المعرفة في الأشياء يكتشفون من يوم إلى يوم ، مناهل ذاخرة من معارفه اليقينية . ومناهل معارفه اليقينية ، لا تنتهي ، لأنها مكنوزة فيه لأزمانها .

وحسب أنه معجزة المعجزات الإلهية . وأن تطوراته أبدية السبق والجدة . وأنه المحطم لأغلال التقاليد ، وأنه القاضي على طغيان الغرائز ، وأنه الحاسم للتزوات والمطامع لمن التزم العمل به ...

وكل هذا جعلني أؤثر أن يكون عنوان هذه الكلمة ... القرآن معجزة كونية أبدية .

وانك تجد في كتابة المعطلين الملاحدة ، أن القرآن كلام النبي ﷺ استلهمه في تأملاته في الأكوان ، وسبحاته الإيمانية في جلال تكوينها ...

يا ويلهم لو كان في قدرة مشركي العرب ، وعباقره أدبائهم ، أن يأتوا بمثل هذا القرآن لفعلوا ، ولم ينصرفوا إلى منازلته ، في طلب تحديه الصارخ لهم ، بأسلوب العاجزين .. أي بالمؤامرات والدس والبطش والفتك والمعارك الضارية . وسفه القول بالشعر ، والخطب ، والدعايات المغرضة ، ويقصدون بكل ذلك ، تشويه قدس الرسالة الإسلامية ، لدى القبائل ، وزلزلة مكانة القرآن ، وإحباط سموه واعجازه . ولكنهم عجزوا وباءوا بالخسران ، وتساقطوا دون ذلك صرعى . والحقيقة دائماً

ثبت نفسها بنفسها ، وأضواؤها دائمة الإشعاع والتفجر ...!!
والحقيقة هنا هي تحدي إعجاز القرآن . والقرآن وإعجازه وتحديه
يظل صيَّبَ إمداد فكر المفكرين .

وعلم العلماء ، وتشريع المشرعين ، وأدب الأدباء ... ما ظل في
الأرض مفكرون أدباء وعلماء ، مشرعون راسخون عباقرة ، ذوو نية
حسنة ، متبتلون أفذاذ :

الجهل ييقن العلم والدين والأحكام المتناقضة حولها

هناك ظنونٌ وأوهامٌ وأحلامٌ ورؤى ، وأساطير وترهات كثيرة ،
منسوبة إلى وحي الله السماوي اليقيني ، أصبحت ملة متبعة ، وإن كانت
محض افتراءٍ ودسٍ واستغلال ...

ومع ذلك ، لها عقائدها ، والمؤمنون بها ، ولها دعائها المضحون ،
ولها نساكها المتبتلون ، ولها المستغلون المتاجرون ، وهم على علمٍ أنها
باطلٌ في باطلٍ ، شأن المنافقين في كل ملة ونحلة ...

وهناك فروض ونظريات وفلسفات ومساائل كانت تحسب من العلم
اليقيني من أزمان بعيدة ، ولكن ظهر أنها ليست من العلم اليقيني
في شيء ...

قد أكل الدهر عليها وشرب . ودفنت في عاديات المتاحف ، وفي
حنادس الزوايا المهجورة في المكتبات العامة ...

ولا ريب أن الجهل بفوارق الأديان ، وبفوارق العلم ، يجعل الكاتب ،
يسلك العلوم الواقعية اليقينية ، والعادية الظنية المتوارثة في سلسلة واحدة .

وقل مثل ذلك يكون صنيعه بمميزات وحي الله اليقيني ، الذي هو الدين السماوي الصحيح ، ومميزات نحل الوثنية والشرك ، فحتماً يفضي به هذا الصنيع ، أن يجعلها متساوين في نظره القصير . وأحكامه عليهما . بالصدق أو بالكذب ، وبالحق أو بالباطل ، بصحة نسبتها إلى الله الخالق العظيم ، أو فساد نسبتها ...

ولعل البشرية تشتمل على اناس ، يفضلون الشرك ، على وحي الله اليقيني ، إما بتأثير التربية والتثقيف والتلقين ، إن كانوا من المقلدين ، وإما بتأثير المصالح الذاتية ، إن كانوا من فاقد الضمير المسؤول . ذوي المعرفة المشبوهة ، وإما بتأثير الأرواح الخبيثة ، أرواح الشياطين ، إن كانوا من الهولين^١ إذا رأيت المتحدث عن العلوم أو الأديان، يهرف بما لا يعرف ، ويخلط العلم بالجهل ، والحق بالباطل ، والصدق بالكذب ، ولا يميز بين خصائص علم وعلم ومسائله ، ولا بين دين ودين ومذاهبه ، بل يعمم في أحكامه بكل بساطة ، ويسلك الجميع في سلسلة واحدة ، فاعلم أنه جاهل ، لا يفهم شيئاً ، أو مأجور خبيث ، ينطوي على حقدٍ عنصري ليقين العلم ، وسمو الانسانية ولا يصدق إيمانه بالله جل جلاله ..

وإن تظاهر بحب يقين الانسانية والخير ، وصدق الإيمان بالله جل جلاله .. ألا إن آية العالم الحق القادر الحر ، هو أن يفرق بين مميزات العلم والعلم ، وبين خصائص الدين والدين ، ويقارن ويبحث ويستنتج ، ولا يكون كحاطب الليل ، يرسل أحكامه على عواهنها لإرسالاً ...

وإن آيته أيضاً ، هو الذي يميز بين مسائل العلم الواحد ، وبين مذاهب الدين الواحد ، من أجل كشف الواقع اليقيني الحق في كل

١ المقصود المعنى الشائع : أي المهوسين بسبب تولمهم بالترهات الملصقة بالدين .

منها ... ومن أجل أن يظهر كل شيء في لباسه الأساسي دون دخلٍ ،
ودون مدح أو قدحٍ ، ودون زيادةٍ أو نقصانٍ ، ودون حبٍ
أو بغضٍ ...

وحينئذ يكون ما يقدمه الباحث للأجيال أو للمجامع العلمية ، أو
للأنديسة الثقافية . أو لأساتذة الجامعات !! محل الاكبار والإجلال .
ومحل التقدير والاعجاب . ومحل التنافس والمودات ..
وبذلك يثب إلى قمة الخلود العليا أو يتصدر سدة الجلال المثلى .

مأني الأحكام العامة الجاهلة

مأني الأحكام العامة الجاهلة ، هو عدم العلم بما يندرج تحت الحكم ، وبما لا يندرج .

أما قيل : كل الأديان تدعو إلى الإنكالية والحمول ، والسبب أن ميراث دين المتكلم مجموعة من التقاليد وهي تُقرر في أصول نصوصها الإنكالية . فظن ، أن كل دين مثل دينه ، أفيناً تُخدر أرائاً حائلاً دون ممارسة الأعمال الحرة المجدة ...

ومثل هذا الحكم العام محال أن يصدر عن عالم يفهم مسؤولية ما يصدره من أحكام تجاه الأجيال الحديثة المناضلة . لإزاحة أستار الجهل عن حقائق العلم .

لأنه جهل محض ولن يعلنه إلا جاهل ساذج عديم الإطلاع . وجهله وعدم إطلاعه ، يُسقط عنه المسؤولية العلمية . وعقوباتها الصارمة . ولو كان مُصدره أدنى إطلاع على وحي الله المعجز المتحدي (القرآن المجيد) لما أعلن في محاضراته مثل هذا الحكم العام الأرعن الجاهل الذي يجني على واقع العلم اليقيني الجنابة المميتة .

واني هنا ، أريد أن أعرض نصين من آلاف النصوص ، التي

تحدّث عنها أشرار المثقفين الرعن . الذين لا ينجلون . من أن يقدموا
الجهل باسم العلم ، والباطل باسم الحق ، والكذب باسم الصدق . وأن
يبدسّوا مدلولات سخيفة في صميم آيات الله ، ومقصودهم منها أن يشوشوا
مدلولاتها العلمية اليقينية ظلماً وعدواناً ، وخبثاً ولؤماً . ولولا تتابع دفع
نور القمر على معارفنا . لخفي دسهم على المطالعين .

النص الأول

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ
قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٧ - ٣٢)

ولعنة الله والعل على الجاهلين ، أو المتجاهلين ، الذين شوهوا هذا
النص المعجز الصريح المدلول .

يا ليت شعري ، هل يرضى الله أن يكتفي المؤمنون ، بأن تكون
طيّبات الرزق ، ورغد العيش ، وزينة الحياة الخالدة : من رفاهية
أمتعة ، وفنّنة رياش ، وفخامة قصور ، وبهجة حدائق ، وحفاوة
حشم ، خالصة لهم يوم القيامة .

ولهم في هذه الحياة الدنيا الشقاوة والحрман ، والقاة والذلة ، والداء
والجهل ، والسحق والمحق ، وسوء الطالع ، وبلايا الفواجع ...

لا لا ، إن اكتفاء المؤمنين بخلوص سعادة الآخرة لهم ، مجاف
لمدلول الآية ، الطالب منهم أن يناضلوا ويجهدوا ويسهروا ويعملوا ليكون
لهم طيبُ العيش خالصاً في الحياة الدنيا أيضاً ..

أجل إن الآية تؤكد ذلك . حيث ينبغي للمؤمنين أن يعملوا ليكون طيب العيش خالصاً لهم . وإن كان الواقع . أن سعادة الحياة الدنيا ونضرتها و بهجتها للذين يعملون لنيلها بعلم وذكاء . ووعي ونشاط . ونصب وتضحية .. سواء أكانوا من المؤمنين . أو كانوا من الكافرين . ومن أجل ذلك جاء لفظ خالصاً ليوم القيامة .

وهذا عين يقين الواقع المشاهد . أما قال الله جل وعز في محكم وحيه في نص آخر :

وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى .
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى . (٥٣ - ٣٩ و ٤٠ و ٤١)

انتبه ... قال للإنسان ، ولم يقل للمؤمن . وقال في نص ثالث :

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ، وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (٦٧ - ١٥)

والمشي للرزق يقوم له جميع الناس . ولكن أعامهم به ، وأذكاهم . وأوسعهم حيلةً ونشاطاً وأمانة وأجلدهم ، أحرزهم له وأسعدهم به . وكم من لعنة واجرام ممزق طاغ في بلبلة الملاحدة للدلول هذه الآيات البينات ، وزعمهم أنها تدل على الإتكالية والحمول ، والرضا من العيش بالدون ..

وهم لذلك يدسون من خبث أنفسهم مدلولات تؤيدها ما أنزل الله بها من سلطان . وأحسبهم يجهلون ، أن داعي الإسلام الأول ، خاتم رسل الله محمد صلوات الله وسلامه عليه ، كان في شبابه تاجراً ، وكذلك جل صحبه الأبطال .

ويا ليتهم تلوا قول الله عز وجل :

لَا يَلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا
رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ
خَوْفٍ (٤ — ١٠٦)

أجل ، أطعمهم من جوع بنشاطهم التجاري الفد ، وآمنهم من
خوف ، بشجاعتهم وتآلفهم وموادعتهم للقبائل الأخرى ، وبحسن سياستهم
للتفاهم والسلام ، وجميل تصرفهم لاكتساب القلوب ..

ويكفي زجراً للمفترين الكفرة الفجرة ، أن تذكر لهم قول رسول الله ،
ﷺ ، في صرامته في طلب العمل ، مهما كانت الظروف قاسية ، لأن
الفقر ومد اليد بالتسول أقسى من ذلك ألف مرة ...

وفي ذلك يقول : لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيأتي بحزمة الحطب على
ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خيرٌ له من أن يسأل الناس
أعطوه أو منعه .

والآن أريد أن يفهم الذين يسمعون لغو المحرفين نصوص الأديان
الذين يخلطون أحاديثهم عنها ، وأحكامهم عليها بالزور والبهتان ، والزيادة
والنقصان ، وفصائح الجهل .

أريد أن يفهمهم ، أنهم ليسوا أمناء ، على كشف حقائق العلم
اليقيني ، فيما يتحدثون به اليهم ، لأن حقائق العلم اليقيني ، ليست هي
شهوات ، حتى يلاقوا بها هؤلاء بلونٍ وأولئك بلونٍ آخر ..

يا لله ، ما أقسى ظلم الإنسان لحقائق العلم . وما أجرأه على العبث
بها ، وتحريفها ، إنه لعنة اللعنات ، وخُبثُ الخبائثِ وهولُ الأهوالِ ،
إنه يهدم حياته يديه ، وهو يخالُ أنه يعمرها .

النص الثاني

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٩ — ١٩)

قال محاضر سطحي . بعد أن تلا هذه الآية الكريمة المعجزة ، إن
الرؤية هنا بصرية ، فضحك المستمعون وقال : كيف يستطيع الإنسان ،
أن يرى ببصره كيفية بدء الخلق وأطواره التي يمرُّ بها ، من البداية إلى
النهاية . وبصره محدود ولا ينفذ إلى ما وراء المادة المشاهدة ، فبالاك
برؤية كيفية بداية الخلق . وبداية الخلق لا تبصر إلا بمنظار العلم .

قال المحاضر : الكلام في الآية على حذف مضاف . أي ألم يروا
كيف يبدئ الله تمام الخلق ؟!!

هنا ازداد المستمعون ضحكاً وقالوا بهزء واستخفاف :

هل كيفية بدء هذا التمام للخلق يرى بالعين المجردة . أم لا بدّ
لرؤيته من عين العلم ذات المراقب والمجاهر ؟...

وهنا صرخوا في وجهه : ويحك . هل يمكن لأعيننا ، أن ترى
كيفية تمام ابتداء خلق الأجنة ، في عالمي الحيوان والنبات ، وخلق
السدُم .. وخلق سائر التكوينات المطردة ، سواء ما اكتشفها العلم ورآها
أو لم يكتشفها ولم يرها ...

... وما اكترث لصرخة المستمعين الناقدين ، بل أصر أن في الآية
مضافاً إليه محذوفاً هو (تمام) . وزاد مؤكداً لإصراره : هذا رأيي ،
وأنا حرٌّ في رأيي .

فتهتف بنا أحد المستمعين :

لا تعجبوا ، فهناك من انكروا مجيء المسيح عليه السلام . ويقين
مجيئه ملءُ الأسماع والأبصار ...

وخبثاء البشر ، ما أكثر دسهم ، فقد كنا مرة فريقاً من الطلاب
نستطلع عجائب عمار الأهرام . فقال رجلٌ وكان بجانبنا يتعمقه نظراً ،
وأحسبه صهيونياً مستخفياً : ما هذا عماراً : هذا جبل منحوت نحتاً ...

والقاء الريب ، في حقائق الأديان الموثوق بها وسواها ، صناعة
صهيونية مزمنة ، فكم من دينٍ خربوا ؟ وكَم من علم أفسدوا ؟ وكَم
من خلق هدموا ؟..

فهم يرون أن البشر حيوانات « كويم » يقادون بايقاظ غرائزهم ،
لا بايقاظ عقولهم وضمائرهم ، أما قال أفاكُ أثيمٌ منهم . في آية
(يونس عليه السلام) :

قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا تُغْنِي
وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠ - ١٠١)

إن مدلول النظر هنا نظر البصر ، لا النظر العلمي ، لأن العرب - في
زعمه - كانوا يجهلون النظر العلمي . ومراده أن يحجز مدلولات آيات القرآن
المجيد : بمدى ما كان يملك عرب الجاهلية ، من ثقافة عنصرية ضيقة ،
إبطالاً لأعجاز القرآن الذي ما انزل الا ليخرج الانسانية جمعاء ، من
الثقافة العنصرية ، التقليدية المحدودة ، إلى الثقافة الانسانية الواسعة
المنطلقة ، وإلا ليخرج الناس من جهل الوهم والظن والأسطورة ، إلى
علم الحقيقة والواقعية في كل شيء .

فيا ويله كم في قوله من افتراءٍ وظلمٍ ، وهدم للواقع العلمي اليقيني
الصارخ في إعجاز الآية :

« قُلْ اَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ »

هب أننا نزلنا إلى تأويله وقلنا مثله : المراد من قوله تعالى : انظروا هو نظر العين المجردة ...

فإن هذا المراد يعرض علينا أن نصعد إلى أسطحه السموات ، المتناثرة في أبعاد الفضاء ، وننظرها بأعيننا المجردة كما ننظر سطح الأرض من سطح القمر الآن ..

ويمكان ذلك . لا بدَّ له من علم تقني كبير كبير ، وهائل هائل لكي يُتحقق لأنظارنا المجردة . أن تبصر ماذا في السموات والأرض . فنجد في الحالين : أن المقصود هو النظر العلمي .

وهلّا علمَ أمثالُ هذا المحاضر المجرم ، المحرف لحقائق العلم اليقيني عامداً ، أن مسئولية تحريف العلم عن واقعه اليقيني في أي شيءٍ إجرامٌ إجرام ، وهدم للحضارة الإنسانية في الدنيا . والمسئولية في الآخرة أعنفُ ، والعذابُ أكبر .

ولا بد للدارس العلمي أن يستفيد من قوله تعالى :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (١٧ -- ٣٦)

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٢ -- ٧٥)

... مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (٤ - ٤٦)

ومنها يكن فوجي الله محال أن يكون حوله الضباب والظلام بل هو واضح واضح هو نور مبین للناس أجمعين .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (٣ - ١٧٤)

ادرسوا القرآن المجيد كما تدرسوا البرهان العلمي اليقيني واطلبوه في كل آياته تجدوه مشاهداً محسوساً .

عالم النعيم والعذاب وحقائقها

كنت منذ عقدين ، أحاضر في مدرسة الإناث الثانوية ، طالبات الصفوف المنتهية ، في حقائق عالمي النعيم والعذاب .

وكنت قد بسطت لهن ، يقين العلم والوحي معاً ، من الوجهة الإسلامية ، بطريقة مختصرة سهلة تسعها عقولهن .

وانتهت الحصة ، وقد ظل للحديث بقية ،... فأخذت أتمه في حصة اليوم التالي .. وإذا بطالبة ترفع إصبعها ، قائلة : ذكرت أمس ، أن يقين العلم لا ينفي وجود عالمي النعيم والعذاب بين العوالم المتناثرة في ابعاد الفضاء ؟

قلت : نعم .

قالت : ولكن معلمة اللغة الأجنبية ، ذكرت ، أن العلم ينفي ذلك نفيّاً باتاً .

وأرهفتُ الطالبات أسماعهن انتظار إنتباهٍ للجواب .

... فأجبتهن بما في يقين العلم في هذا الموضوع — وأضفت رعايةً

لمكان المعلمة الفاضلة في أنفسهن : أنها لم تكن على علم بما قرره وحي الله اليقيني من دلائل ، ومكان ذلك في العلم اليقيني ..

والتقيت بالمعلمة الفاضلة ، وقصصت لها محاوراة الطالبات معي ، عن عالمي النعيم والعذاب ، ونفيها هي لها باسم العلم ..

فابتسمت بين أطياف من السخرية والاستخفاف .. وأصرت مؤكدة نفي العلم لها !! ولم أجيبها ، لأن الجرس قد قرع ...

وفي فرصة أخرى ، شاهدتها في الملعب ، فنظرت الي نظرة القائد المنتصر في المعركة الفاصلة ، وبادرني :

العلم ، كل البشر يذعنون لحقائقه . هلا أذعنت أنت !!؟

قلت : بلى ، ولكن نسبة النفي إلى العلم ، جهل بالعلم ..

فاحمر وجهها عناداً وزادت « بل هو العلم والحق والواقع » .

فابتسمتُ ابتسامتها الأولى ، موضحاً برفق ..

« يا معلمتي ، قد يكون نفيك علماً وحقاً وواقعاً ، لو أن علماء الفلك طافوا كل عوالم الفضاء ، المخفية في أبعاده ملايين السنين الضوئية ، ودرسوها واستوعبوها عالماً فعالماً ، ولم يجدوا بينها عالماً مُعداً للنعيم ، وعالماً مُعداً للعذاب » .

هي أنك تعلمين وجود كتاب في مكتبة أحد أقربائك ، وأنت في حاجة ملحة اليه .. فطلبت منه إعارته ، فنفى وجوده ، لأنه يرفض إعارته ، ألا ترين أن أيسر كلمة تقولينها له ، أنت واهم ، ابحث عنه تجده !!؟

فتواترت عن الاجابة ، وهذا في أصول البحث العلمي ، نقطة ضعف وفرار ، وفاجأني بهذا السؤال :

وأنت ما هو برهانك على وجود هذين العالمين ؟
كنت أنتظر منها ، أن تطرحَ هذا السؤال ، لأنه "وجه إلیّ" في
مواقفٍ شبيهةٍ بهذا الموقف من منكري العالم الثاني .. وقلت :
لعلك يا معلمي - تخالين - أنني أتلُقُ بأوهام أسطوريةٍ ، وأهيمُ
بمفاتن تخيلات طائفة !!

لا لا .. إني أتحذّر إليك بالواقع اليقيني ، وأنت بعد ذلك ، لك
حرية الاختيار ، إن شئت صدّقت ، وإن شئت لم تصدّقي :

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ (١٨ - ٢٩)

ولكن حذار ، أن يكون ما تفكرين به هو العلم ، وما تؤمنين
به هو الجهل ، فذلك يكون لك وصمة انحطاط فاضحة مميّنة .

أنظري هذه الدنيا ، ألا تجددين أعمال البشر فيها ، موزعة بين الخير
والشر ، وبين العلم والجهل ، بحريةٍ مبصرةٍ ، وإرادةٍ قادرةٍ على النقد
والتمييز وإثارة العلم الخالص !! وتجددين شرائعها معدة لتنعيم المحسنين ،
ولتعذيب المسيئين .

هذا والدنيا أجلُّ زائلٌ ، فما بالك يكون في الآخرة . والآخرةُ
أبدٌ دائمٌ ، وما دام أهل الدنيا هم الذين ينتقلون جميعهم إلى الآخرة ،
بخيرهم وشرهم ، بإيمانهم وكفرهم ، بصدقهم وكذبهم ، وما داموا
هم الذين يحاسبون على ما قدموا من كل ذلك ، ويجزون عليه الجزاء
العادل ، فبحال أن تخلو الآخرة ، من وجود عالمي النعيم والعذاب .

والذي برهن لنا ، على وجود العالم الثاني ، واشتماله على عالمي النعيم
والعذاب جملة أشياء .

- ١ - وجود الطاقات الروحية العاقلة .
- ٢ - دلائل العلم .
- ٣ - دلائل الوحي .
- ٤ - حقائق عالم النعيم وسننه .
- ٥ - حقائق عالم الجحيم وسننه .

وجود الطاقات الروحية العاقلة

« من الواقع أن دارس العلوم الحديثة ، إذا هو لم يحيطُ علماً بخصائص الذوات المادية ، وبخصائص الذوات الطاقية ، الإحاطة المميزة المتعمقة فإنه محالٌ أن يستوعبَ وجود الطاقات الروحية العاقلة .

« والسببُ أنَّ عوالم المادة ، مكونة من عناصر ، والعنصر مكوّن من ذرات ، والذرة مكونة من كهارب ، تدور حول نواة ثابتة ، والكهرب هو الطاقة التي لم يصل الإنسان إلى إدراك كنهها ، لا بالعقل ولا بالحواس ولا تقسّم .

أما ذات المادة مهما صغرت ، ولو كانت ، الذرة ، فإنها قابلة للرؤية .
« وأما ذات الطاقة — مهما كبرت — ولو كانت طاقة الجاذبية ، الجاذبة والدافعة ، فإنها لا ترى بتاتاً ، ولو تجمعت كل طاقات المراقب الكاشفة في مراصد العالم . في مِرْقَب مرصد واحد لما رآها بتاتاً ، سمّه مِرْقَب المراقب .

هَبْ أن العلماء . اخترعوا مِرْقَب المراقب . الذي يملك كل الطاقات الكاشفة الهائلة . وهب أنك وجهته لكشف طاقة الروح لدى انفصالها عن جسدها الحي . فانك لا ترى شيئاً ..

والمجامع العلمية لم تتعمق بعد في كشف عوالم الطاقات الروحية وسواها حتى تستطيع أن تخترع (مرواحاً) تبصر به كيان ذوات الطاقات^١ .

أتلُ واخشع وتدبر وتفكر في قول الله جل جلاله :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (١٧ — ٨٥)

وتنسق الطاقة الحية — الروح — للكائن الحي — أياً كان ... هو نتيجة تخطيط عليم مريد قادر ، وهل من عليم مريد قادر ، سوى الله رب العالمين جميعاً .

وبرهان جحود الطاقة الروحية الخالدة في الكائن الحي ، على أن المادة والطاقة متلازمتان ، هو برهان ظني واهٍ ، لا أساس له من الصحة . لأمرين :

١ — التلازم لا ينفي وجود الأرواح ، لأن للتلازم كفيات شتى ، لما يحيط بها العلم اليقيني كافة .

٢ — إن زعم التلازم في العوالم قاطبة ، ما اكتشف منها ، وما لم يكتشف هو تحكم ظني ورعونة جهل .

ولا يصر على حتمية التلازم ، بين المادة والطاقة ، في كل كائن ، إلا مثقف بدائي غير موزون . أو من المثقفين المهووسين ، الذين يخالون التظاهر المادي في المعرفة ، واستقلالها عن الروح ، هو الذي يجعلهم من زمرة العلماء المتعمقين الذين ينادى بهم لدى كل أذان .

١ المرواح وجمعه مروايح وهو آلة تكشف به ذوات الطاقات الروحية وسواها وهو لم يخترع بعد . وكيف يخترع وهم أبعد ما يكونون عن أسرار الروح .

والحقيقة أن العلماء المتعمقين في دراسة خفايا الطبيعة يدركون أن
وجود هؤلاء المثقفين المهووسين ، لعوالم الأرواح وبقاءهما ، ما هو
إلا ستار يخفون وراءه ضعفهم العلمي ، ولا يستحون حين يزعمون ،
أنهم فوق أعلام العلماء الذين يؤمنون بالله وعوالم الأرواح واليوم الآخر .
وانك تجد هؤلاء المثقفين المهووسين المغالين في حب الظهور ، لهم
أغراض غير علمية شريفة .

حسبهم انتكاساً وخبثاً وسوء نية . أنهم لا يهتمون بكشف الواقع
العلمي اليقيني ، في أي شيء .. وأنهم ينسبون كل دراسة متصلة بالله
جل جلاله ، وبعوالم الطاقات الروحية العاقلة كالأرواح والملائكة والجان ،
إلى الأساطير والترهات .

وهناك بعض العلماء المتعمقين يعلمون وجود الطاقات الروحية العاقلة
المستقلة . وحقائق الإيمان بالله الخالق العظيم جل وعز .. ولكنهم
يعلنون أنهم ملاحدة ، بدافع من انانياتهم العنصرية المجرمة المتخلفة .
نزوعاً إلى بلبلة الأوساط العلمية . وإفساد عقائد الناشئة .. وجلهم من
الصهيانية . إقرأ كتاب (هكذا قال زرادشت) تلمس هذه الحقيقة ...

ولدينا قردة الشرق البدائيون . الذين لم يعرفوا ، من حقائق العلوم
الحديثة ، وحضارتها إلا مفاتن المغريات الجنسية . والاباحية المطلقة .
والتظاهر بالفحش والاحساد . ووجود الخالق العظيم ، والتنكر لعوالم
الطاقات الروحية . ألا تجددهم يمثلون حياة الانسان بحياة النبات في نظرهم
المعكوس فيزعمون أن الإنسان . إذا مات تفرقت ذراته في الأرض .
وتطايرت طاقة حياته الروحية شعاعاً إلى غير عودة ، كالنبات تماماً .

وهم يجهلون كائنات الطاقات الروحية المحضة . لأنهم يريدون أن
يشاهدوا ذواتها بوسائل كشف حقائق الذوات المادية .

وهذا جهل بيّن . لأن التعرف الى عوالم الطاقات الروحية . له وسائله وأسبابه الروحية . وإنما يكون التعرف اليها بآثارها .

ألا ترى أن الأصوات والصور المختلفة . وهي طاقات مخفية . تحملها الأمواج الكهربائية ، من إقليم الى إقليم . ومن بلد الى بلد ، وهي حين تسمعها أو تراها إنما يكون ذلك بوساطة الآلات المخصصة من أجل ذلك ، ولكن حقائقها لا ترى .

وقل مثل ذلك في الطاقات الروحية العاقلة . فإن أعيننا المجردة لا تراها ، إلا إذا اتخذت هي لباساً من الذرات المادية .

ومن هنا فإن الملاك جبريل عليه السلام ، حين جاء الى مجلس رسول الله ﷺ ، في صورة أعرابي . رآه جميع من كان في المجلس ، ولكن لو جاء في حقيقته الروحية ، فلنهم لا يرونه .

ومن أجل ذلك كان رسول الله ﷺ يراه بصفاء بصيرته وقوة روحه ، وجلاء نفسه . ويتحدث اليه ، ويسمع منه ، ومعه أناس لا يسمعونه ولا يرونه .

وإذا علمنا أن بعض الأفراد غير رسل الله ، رأوا الملائكة ، أو الجن ، أو الأرواح وتحدثوا اليها كأم موسى وسيدتنا مريم العذراء ، وسواهما ، فمن جاء ذكرهم في كتاب الله والسنة الثابتة الصحيحة ، فإن ذلك يكون بوساطة الذرات المادية التي يتشكلون بها .

لذلك قال العلماء في حق الملائكة ، هم أجساد نورانية لطيفة تتشكل بأشكال حسنة ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

أما قال الله تعالى حين بشر السيدة مريم بالسيد المسيح :

فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا

الاتصال بعوالم الطاقات العاقلة

عرفنا أن أهم الطاقات العاقلة ، المعروفة هي الملائكة والأرواح والجن ، وعرفنا أن كل ما نشاهده ، من عالم الانسان ، من نور وظلام ، وطهارة وقذارة ، وإيمان وكفر ، وخير وشر ، واتصال وانفصال ، نجد أكثر منه في عوالم الطاقات الروحية العاقلة .

لذلك نجد عوالم الأرواح العاقلة تنقسم إلى قسمين: "خيرة" نورانية ، وشريرة ظلمانية .

وانك تلمس أثر النور والخير والهداية ، في أختيار المتصلين بها ، وتلمس أثر الظلام والشر والضلال ، في أشرار المتصلين بها .

١ - الاتصال الخير

ألا ترى الاتصال الخير ، هو إتصال الرسل الكرام ، الذين أعدهم الله لإعداداً فطرياً خيراً ، وطهرهم تطهيراً ، وعصمهم من الذنوب كلها ، قبل الرسالة وبعدها ، أما قال الله عز وجل :

يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ
أُنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (١٦ — ٢)
وقال تعالى أيضاً :

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ.
(٢ — ٢٥٣)

وقال تعالى :

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ .
(٢٦ — ١٩٣ و ١٩٤)

وصلة نبي الله سليمان عليه السلام بالجن وتسخيره لهم بإذن الله معروفة
في وحي الله .

... وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ (٣٤ — ١٢)

أجل إن الرسالة السماوية ، التي تقتضي الاتصال ، بعالم الأرواح ،
والتعرف إليها ، وتلقي الوحي ، تدل عليها دلالة صريحة ، الآيات التي
مر ذكرها .

وإن من الاتصال الخبير لغير الرسل الكرام ، لاتصال الأبرار الطاهرين
من الرجال والنساء ، طهروا أنفسهم ، وحفظوها من التلوّث بالآثام ،
وأقبلوا على الله بقلوبهم وعقولهم وكل إمكانياتهم ، متبعين ما أنزل الله
من وحي ، ومستقيمين كل الاستقامة ، كالسيدة مريم ، الطاهرة

البتول ، التي لازمت محراب اعتكافها وعبادتها الخالصة لله عز وجل .
ونداء الملائكة لها .

قال الله تعالى :

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٣ — ٤٢)

وكذلك والدة رسول الله سيدنا موسى عليه السلام ، فقد اتصل بها
وحي الله ، لطمانية قلبها ، على ولدها سيدنا موسى ، وإزالة خوفها
عليه ، وأنه عائد إليها حتماً ، وهذا الاتصال بوحي الله غير اتصال
النبوة والرسالة .

قال الله تعالى :

وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ، فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ
فِي أَلَيْمٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ (٢٧ — ٧)

هذا هو الاتصال ، الذي تلمس أضواءه وسبحاته وضراعه ، وكبير
نفعه للبشر في أعمالهم .

ومهما يكن ، فأهل التقوى الأبرار ، الذين جاء ذكر اتصالهم بعوالم
الأرواح الطاهرة ، في الكتاب والسنة الصحيحة ، هم دعاة إيمان
وهداية ، يأمررون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، لأنفسهم وأهلهم
وللناس جميعاً .

٢ - الاتصال الشرير

هو اتصال أهل الفسوق المنافقين ، الذين يبطنون الكفر ، ويظهرون الإيمان . والاتصال الشرير لا يكون إلا بالأرواح الخبيثة ، من الجن والشياطين .

والعامة المغفلون ، واشطار المثقفين ، لا يميزون بين الاتصال بعوالم الروح الخيرة ، وعوالم الروح الشريرة ، ولا بين الأعمال والكلمات التي تصدر منهم ..

والمسألة لا تحتاج إلى علم غزير ، ولا إلى عقل كبير !!

فإن كان المتكلم من الأشرار ، كانت رائحة الشر تفوح في كلامه ، وتظهر في مراقبة عمله، وإن كان من الأخيار، كذلك، فمن أخبرك بما غاب عنك ، من أعمالك وأخبارك ، فقد يكون متلقياً ما أخبرك به ، من عالم الروح الأشرار ، وقد يكون من عالم الروح الأخيار ، حسب العمل والبلاغ . فان أخبرك عن حب وغرام ، ومهد لك طريق الوصول إلى المحبوب ، فهو شرير قطعاً ، وشيطان مخادع نهاب سلاب ، وإن منعك عن مزاولة الشر ، وارتكاب الفواحش ، وقصرك على الحلال الطاهر من كل شيء ، فهو خير قطعاً .

وليس في كل ذلك ولاية مجتنباة ، إلا ما كان من طريق الله جل وعزّ ، مباشرة ، كالمعجزات التي أظهرها الله على يد رسله الكرام تصديقاً لهم ، وكالكرامات التي أجراها الله على يد صاحب سيدنا موسى عليه السلام :
الخضر^١ .

١ اطلاق لقب خضر على صاحب موسى عليه السلام اصطلاح بين المفسرين للتدليل عليه .
راجع سورة الكهف وتعيينه ١٨ - ٦٠ إلى ٨٢ .

إذن فما تراه من عجائب عبّاد الأصنام ، والحیوانات وسواها من المخلوقات ، مصدره عوالم الأرواح غیر المؤمنة بالله الخالق العظيم وحده دون شريك وند ...

ومن أجل ذلك ، قالوا يوجد في عوالم الجن ، من النحل والملل والترعات والترغات ، مثل ما في عوالم الإنس وزيادة .

فظهر العجائب المزعومة ، لا تدل على صحة الإيمان ، الوثني والشركي ، الذي يجعل الإنسان ، يعبد إلهاً مثله ، متخذاً من أفراد الكائنات .

لا يصح بالدلائل العلمية اليقينية بحال ، أن يكون هو الخالق للعوالم ، والواضع لها سننها ، والمهيمن عليها ، والمنصرف فيها ، وجوداً وعدمًا وبقاءً ، وأن تكون العوالم كلها مستمدة منه ، بقاؤها وتديرها ومسيرتنا في الوجود العام والخاص .

والخلاصة ، أن ما يحسبه أشطار المثقفين والعامّة ، أنه عجائب ما هو بعجائب ، إن هو إلا نتيجة الأسباب المختلفة ، في أعمال الكائنات وتباين سننها .

وهي لا تدل على صحة الحقيقة العلمية اليقينية ، والوحي اليقيني . ومن تجاوز العلم اليقيني والوحي اليقيني ، فإنه يهوي الى الخرافات والأساطير والترهات ، وتلبسه النحل الوثنية أو المشركة .

وبما أن القرآن المجيد ، وصل إلينا من طريق التواتر العلمي الجماعي بالتلقي والاستظهار .

وبما أن البشرية ، تملك قسمًا كبيراً ، من العلم اليقيني المحرر من الفرضيات والظنيات .

فن هذين النبوعين العظيمين الخالدين ، تستقي البشرية حقائق الإيمان

العلمي اليقيني ، ومسائله ومثله العليا .

وعلى كل حال ، فالصلة بالأرواح ، لا تدل على أن الملة صحيحة في نظر يقين العلم ، وإن أخبرك المتصل بها بألف ألف خبر غيبي عنك ، وإن حمل اليك جبال الألب ، وطار بك في الهواء . لأن الذي يدل على مصدر حقائق العقيدة ، إن كانت سماوية موحاة ، أو أسطورية موضوعة ، هو العلم اليقيني وحده .

ولولا براهين المعارف الحديثة الصحيحة ، التي أعلنت فساد نحل الوثنية والشركية ، وكشفت خفاياها المهرائية ، وبواطنها الخيالية الأسطورية لما نهض البشر كافة هذه النهضة المحررة ، ولما كان للقرآن المجيد ، كل هذه الدراسات المحررة ، التي كشفت كثيراً من أسرار الطاقات العاقلة ، التي كادت تبدد المعرفة بها ، بين الخرافات الوثنية ، وبير ترهات الشرك .
والآن ، أتُلُ معي هذه الآيات الكريمة ، لتعلم بكل الحقيقة في هذا البحث :

هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . (٢٦ - ٢٢١ و ٢٢٢)

... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (٦ - ٢١)

وأكثر هؤلاء الذين يتصلون بالجن ، ويأخذون عنهم ، ويبلغونه لأتباعهم وللناس ، ويؤثرون فيهم ويخرجونهم عن وحي الله الحق ، هم من الذين اتخذوا الجن آلهة لهم ، يضرعون إليهم ، ويتوسلون بهم ، لدى الملمات والحوادث . أتُل معي قوله تعالى :

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ

الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٣٤ — ٤١)

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ

بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (٦ — ١٠٠)

التمييز بين عوالم الطاقة والمادة

يجهل بعضهم التمييز بين خصائص الذوات المادية ، وخصائص الذوات الطاقية ، وبالبحري ذوات الطاقات الحية (الأرواح) التي زودها الله جل جلاله ، بمخططات تكوين الأجساد ، الحيوانية والنباتية ، المسيرة بقدرته ، وإرادته ، وعلمه جل وعز .

وقد أفضى بهم هذا الجهل ، إلى جحود عوالم الأرواح ، ويضاف أيضاً ، سبب جحودهم ، أنهم بنوا حكمهم ، على مظهر تلازم الطاقة والمادة ، هذا التلازم الذي حكموا به جهلاً ، أنه محقق في كل الكائنات .

وهذا الحكم أشبه بحكم اليونان ، على أن العناصر المكونة منها الكائنات أربعة ، وفي عصرنا تجاوزت المئة والعقد . مع أن معارفنا اليقينية ، لا تصاح لإصدار حكم عام ، على كل عوالم الكائنات ، لأنها لا تزال تحجب ، في أصغر زاوية من زوايا مجموعتنا الشمسية ، التابعة للمجرة الأولى ، ولا يعلم عدد المجرات وكواكبها ، إلا الذي خلقها ، سبحانه جل وعز ، وكل الذي يتحدث به رواد الفضاء ، والراصدون من العلماء ، هو أهوال ، وأهوال مما يتراءى لهم ، من عوالم المجرات ، وما وراءها ووراءها .

وفي النهاية ، إن الإحاطة بكل الكائنات ، المادية وسواها ، المترامية في أبعاد الفضاء السحيقة ، هي لله عز وجل ، وما يحيط علم البشر منها قليل قليل :

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ (٢ - ٢٥٥)

إذن ، فدعوى التلازم ، بين الطاقة والمادة ، في كل كائنات الوجود ، هو زعم باطل .

والذي يدلنا على أن الطاقة تكوينها كان قبل المادة ، هو انحلال المادة اليها وذلك صريح في قوله تعالى :

وُسِّيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٧٨ - ٢٠)

والسراب ، هو انعكاس الضوء . والضوء وانعكاسه ، هو من الطاقات غير العاقلة ، والله عز وجل يقول في آية أخرى :

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (٢١ - ١٠٤)

فالكائنات المادية ، كما بدأها الله جل جلاله ، من الطاقة ، التي أبدعها بقدرته وعلمه ، فإنه يعيدها بعد تفكك ذراتها إلى طاقات ، بتكوين جديد ، نزلة أخرى ، ملائم لسنن العالم الثاني :

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٤ - ٤٨)

وهذا التبديل يكون يوم القيامة .

والخلاصة ، أن لا تلازم بين المادة والطاقة ، في كل مكان بالذات ، بحيث لا يوجد أحدهما مجرداً عن الآخر . ومهما يكن ، فإن هذه الأكوان ، التي أبصرها العلماء ، من الطاقة والمادة ، وتلك التي لما يبصروها حتى الساعة ، إن هي إلا آيات بينات ، وحجج قاطعات ، وشواهد دالات ، على جلال الخالق العظيم ، الذي له الخلق والأمر .

قال الله تعالى :

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٢٠ - ٥٠)

إذن ، فالذين ينفون ، أن يكون بين ذوات الكائنات المادية ، ذوات طاقات روحية عاقلة ، إن هم إلا أطفال أغرار ، بدائيون في دراسة العلوم الحديثة . وفي دراسة وحي الله اليقيني ، المنزل على خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم :

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤١ - ٤٢)

دلائل العلم على وجود الطاقات العاقلة

أكرهُ النخاسين الذين لا يملكون ما يعرضونه في أسواق المعرفة ،
إلا العبيد والدواب .

أكرههم ، وأكرهُ من يتسم بسماتهم من المشبوهين ، أشطار المثقفين ،
أو المنتهزين السلابين .
ألا ترون ...!!

كم من إرهاب !! وكم من أذى انصب على خاتم رسل الله ، صلوات
الله وسلامه عليه ، لما نفر نفير وحي الله ، وتحتم عليه أن ينهض
بالإنسانية كافة إلى حرية العقيدة ، وحرية الدعوة :

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (١٠٩-٦)

ولكن كَبُرَ على المشركين ذلك ، وقتلوه وقتلهم ، وفي النهاية ،
انتصرت حرية العقيدة ، وحرية الدعوة ، انتصارهما في كل معركة ..

وتقرر المثل الأعلى - حرية العقيدة ، وحرية الدعوة - !! ورفع
الإكراه والضغطُ والمحاسبة ، من مِلَّة على مِلَّة ، في المجال الإنساني

العالي إلا على مستوى الحرية الراضية ، والبرهان العلمي اليقيني المقنع !!
وأصبح حتى الأخذ بذات وحي الله اليقيني ، هو رهن حرية الإرادة
المختارة :

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ (١٨ - ٢٩)
لا إكراه في الدين ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٢ - ٢٥٦)
واجلت عقوبة الانحراف ، عن مثل وحي الله العليسا ، إلى يوم
الحساب :

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٨٨ - ٢٥ و ٢٦)
وسما أرباب العقائد المختلفة ، وعلموا أن ليس بين أمهم وشعوبهم ،
إلا مساعي التعارف الخير ، ومودات التعايش السلمي الكريم .
أي أن ما يحبه الفرد للفرد ، والجماعة للجماعة ، هو ما يحبه ويحبونه
لأنفسهم ، أعمالاً ونيات ، من استقامة وسعادة ، وهداية وإيمان .
وتعجب ، لِمَ أكره النخاسين !!! وقد سمعت واحداً منهم يعرض
بضاعة نخاسته ، على زمرة من الشبيبة الشاذية ، باسم العلم !! وقد
زيفه بأباطيل الاحاد ، سمعته :

« أنا لا أصدق بوجود الكائنات ، الطاقية العاقلة ، في عالم الواقع
العلمي اليقيني في الخارج ، ولا أكذب بوجودهما في عالم الإبداع والخيال
الباطني » ..

هذا هو العلم ، وليس وراءه إلا الجهل . ولماذا نملك عقولاً مفكرة ،
إن كنا نصر الجهل وأباطيله ، بالإيمان والتأييد ... وإن كنا نخذل العلم
وحقائقه ، بالكفر والتبديد ..

أجل حرام أن نحمل موارِيث الملل والنَّحْل الأسطورية ، فنؤمن بالله والطاقت الروحية العاقلة ، وعالمي النعيم والعذاب ، ونشهدُ ونجهدُ ، ونضحى ، دون أن يكون لدينا براهين علمٍ يقيني ، تدل أنها غير خرافات ، ألسِنَةُ العرافين والسدنة لآكتها ، في ظلمات العصور الحجرية ، وتندس في العلم ، باسم الوحي الإلهي ، وتصبح بحكم التوارث الممتد في القدم ، ذات انطباعات راسخة ، في أعماق نفوسنا ، مستحكمة في أعصابنا ، مستقرة صورها ، الحلوة والمرّة في مخيلاتنا ، هذا ما كان . ولقد أصبح التخلص مما كان صعباً كل الصعوبة ، ومفتقراً إلى تطورات حضارية محررة ، على مدى حقبةٍ متطاولة !! .

ولم يعلم هذا النخاس الجاهل ، أن الوجود كما يشتمل على الكائنات المادية ، يشتمل على الكائنات الطاقية :

١ - من جاذبية وحرارة وصوت .

٢ - ومن أرواح وملائكة وجن ، وسواهما مما هو كثير وكثير ، ومما هو مكتشف وغير مكتشف .. وما درى أن العلماء أنواع ...

أ - نوع متخصص لدراسة العلوم المادية . وكل ما يتصل بالإنسان من مادة ..

ب - ونوع متخصص لدراسة العلوم الطاقية ، كالضوء ، والحرارة ، والصوت ، والملائكة ، والأرواح ، وكل ما يتصل بالإنسان من روح ...

وكم لهؤلاء وأولئك العلماء ، من مؤلفات قيمة نافعة .

وجهل نخاسنا بما دونوا من معارف . وبما كشفوا من حقائق ، هو الذي جعله ، يهرف بما لا يعرف .

وأحسبه أنه قرأ لبعض الماديين ، الاستخفاف بعلوم الطاقات الروحية

العاقلة ، وبعلمائها ، فخال ذلك جحوداً ، وما هو بجحود ، إن هو إلا اعتداد بما هو متخصص به من علوم مادية ، كشأن أقزام المعرفة المادية في الغرب تجدهم يفخرون بجحود عوالم الطاقة العاقلة ، وبالله الخالق العظيم ، إشعاراً للجاهل ، أنهم في شموخ عمالقة علمائها . وذريعتهم ، أن أساطير عالم الروح ، أدخلت عليهم من دونهم ، وأن شموخهم العلمي ، هوى في زعمهم . وتجاهلوا أنهم أقزام ، في كشف واقع المعرفة . وأنهم لا يصالحون أن يكونوا غباراً عالقاً بأحذيتهم .

أو كشأن أطفال الثقافة لدينا ، تراهم يزعمون التجدد على غير علم ، فيأخذون في الطعن على الدين وعلمائه ، ظانين أن ذلك هو التجدد .

وجهلوا ، أن التجدد ، ابتكار في الآداب ، وتفوق على الأجيال ، وصعود الى المعارف الحديثة ، وإنمائها ، وتصفيتها من صغار النفوس ، وأحقادها ، وظنونها ، وأوهامها ، ومفترياتها ، وبلايا إلحادها .

وآية ذلك ، انك ترى عباقرة علماء المادة المتشددين ، يعترفون بالإيمان بالخالق العظيم ، وكائنات عوالم الطاقة^١ ويعترفون بعوالم الآخرة ، ويعترفون بالعلم اليقيني المشاهد ، وبالوحي اليقيني المنزل .

ومهما يكن ، فإن هذه الأكوان ، التي أبصرها العلماء ، من الطاقة ، ومن المادة ، بمراقبتهم الكاشفة ، وتلك التي لم يبصروها بها ... إن هي إلا آيات بينات ، وحُجج قاطعات ، وشواهد دالات ، على جلال الخالق العظيم ، الذي له الخلق والأمر .

١ راجع الوحي المحمدي ، للسيد محمد رشيد رضا . وكتاب المثل الأعلى في الأنبياء الذي ترجمه أمين محمود الشريف . وكتاب تحت أطلال المادة لمؤلفه فريد وجدي . وكتاب على حافة العالم الأثيري الذي ترجمه أحمد فهمي أبو الخير . وكتاب إعلام الموقعين لابن الجوزي . وكتاب الله يتجل في عصر العلم . وكتاب العلوم الطبيعية في القرآن تأليف يوسف مروة . وكتاب الطريق إلى مكة تأليف محمد أسد ترجمة عفيف البعلبكي .

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٢٠-٥٠)

إذن ، فالذين ينفون أن يكون ، بين هذه العوالم ، المترامية في أبعاد الفضاء ، كائنات طاقة عاقلة ، إن هم إلا أطفال أغرار بدائيون ، في دراسة العلوم الحديثة ، وإن هم ، إلا أطفال أغرار بدائيون في دراسة وحي الله اليقيني (القرآن المجيد) الذي :

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤١-٤٢)

وفي دراسة الأديان السماوية السابقة .

وجحود حقائق الأشياء ، باسم العلم كارثة . لأن أكثر السامعين .
ليس لديهم الملكات العلمية الكاشفة ، المحررة ، القادرة ، على تمييز
العلم من الجهل ، والحق من الباطل ، والصدق من الكذب .

تعريفات وبيان بعوالم الطاقات العاقلة

عرفنا أن الطاقة هي التي لا ترى بالعين المجردة ، ولا بواسطة المراقب والمجاهر ، بل لا ترى ولو اخترعوا مرقب المراقب .
والسبب أن الطاقة ليست مكونة من ذرات .

نعم قد ترى الطاقة ، إذا لبست لباساً من الذرات ، نخذ مثلاً طاقة الضوء ، فانها تبدو إذا اتصلت بذرات المادة .

أما المادة — وإن صغرت ذراتها ، واختفت عن العين المجردة ، فانها ترى بالمراقب والمجاهر ، وما استعصى عن الرؤية اليوم — فغداً يُرى ، ما دامت صناعة المراقب الحديثة والمجاهر ، والأشعة الكاشفة آخذة في سبق الاطراد ، وجسدة الابتكار . إلى نهاية الامكان العلمي الانساني المتطور ...

وقد تقدمت البحوث المطردة حول دلائل الطاقات الروحية ، المركزة في مناهج تكوين الكائنات المدهشة المحيرة في أعماها .

وما اكتشفه علماء الحضارة من يقين علومها قليل جداً ، وما لم يكشفوه كثيرٌ وكثير .

وما أعمق كلمة قالها « ماكس بلانك » العالم الطبيعي الذي فتح الطريق إلى أسرار الذرة .

« إن الدين والعلوم الطبيعية يقانلان معاً ، في معركة مشتركة ضد الشك والجحود والخرافة ، ولقد كانت الجامعة في الحرب ، وسوف تكون دائماً إلى الله »^١ .

وكلمة (وولتر اوسكار لندبرج) :

« ولا يزال الانسان في مهد العلم والمعرفة ، وهو يدرك أن الكون بأرضه وسماواته وما بينهما فسيح إلى أقصى الحدود ... وهو يكاد يلمس أحياناً أن هناك صوراً أخرى من المادة والطاقة والأبعاد وغير ذلك من العوالم التي يجهلها في الوقت الحاضر كل الجهل »^٢ .

وأعمق من الكلمتين ، كلمة رسول الله ﷺ :

« ما يزال الانسان عالماً ما دام يطلب العلم ، فاذا ظن أنه علم ، فقد جهل » ..

.. والقصد أن الذين يواصلون كشف معارف الوجود بنشاط واطراد، دون كلل أو ملل ، هم علماء ، لأنهم يعلمون جهلهم الأعظمي بمعظمها .

وهذا هو الذي يجعلهم علماء ، لأن أشتار المثقفين ، يحسبون العلم الحديث ، قد كشف كل معارف الوجود ، والحق أن معارف الوجود المخفية في حنادس جهل الانسان بها هي الأكثر .

وكلمة رسول الله ﷺ ذات شقين عظيمين :

١ راجع مقال صفات الله ، ص ١٥٦ من كتاب الله يتجلى في عصر العلم .

٢ في كلمته استخدام الأسلوب العلمي . ص ٣٥ عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم .

الأول : أن معارف الوجود المختفية ، كثيرة كثرة هائلة . ينتهي الوجود ولا ينتهي كشفها .

الثاني : أن العلماء حقاً هم الذين يعلمون جهلهم بمعظم معارف الوجود ... فيدأبون بشوق وسهَد ولذة من أجل كشفها ... ذلك لأن الأكوان هي كلمات الله ، وكلمات الله لا تحصيها الأرقام الحادثة المحدودة ، وأنى تحصيها ، والله عز وجل يقول :

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

(٣١ — ٢٧)

وما أحاط به علماء البشر ، من معارف كلمات الله ، وما أحصوه من آثارها لا يزيدُ عن شطر فنجان القهوة من لجج المحيطات .

والهدى العملي ، الذي يظل مستفاداً من كلمة رسول الله ﷺ ، على تداول الحضارات ، هو أن الباحثين المكتشفين من البشر ، هم علماء ، ما داموا يحسون بجهلهم اللهي إلى كشف المزيد ، من علوم التكوين التي لم تكتشف ، فإذا ظنوا أنهم علموها قاطبة فقد جهلوا .

هب أن كسل الكائنين العاقلين الموجودين في السموات والأرض وما بينهما ، ظلوا يدرسون ويبحثون ويدونون المعارف التي يصلون إليها ، فإنها لم تأخذ من علم الله مثقال ذرة .

وبشر كافة تنتهي حياتهم من هذا العالم الفاني ، وينتقلون الى عالم الخلد ... والعلوم الكونية التي اكتشفها حضاراتهم الصاعدة المتتابعة تظل أقل من العلوم التي لم تكتشف بمراحل هائلة .

ولمّني أصابح أن ليس المجهول لعلماء الحضارة ، كنه عوالم الطاقات ،
العاقلة وغير العاقلة ، بل هنالك في مجاهل أبعاد الفضاء ، عوالم مادية
محجوبة لا تزال مجهولة أيضاً .

ومن أجل ذلك ، من نفى وجود عالمي النعيم والعذاب باسم العلم
اليقيني ، فإنه يكون كاذباً . ومن الجهل الفاضح ، أنك تجد أقطار
الدارسين لعلم النفس يبحدون علم الأرواح ، والذين يدرسون علم الأرواح
يبحدون علم النفس . والباعث على الجحود من كلا الفريقين هي الثقافة
السطرية التي تربك جانباً من الواقع اليقيني ، وتسدل على جوانب أخرى
ظلام الجهل ، ومن كان كذلك فكيف يصلح أن يعطي للعلم حكماً
صادقاً لا يجافي الواقع اليقيني الكوني .

ولمّني قبل أن أدع هذه الكامة ، أريد أن أنبه ، أنني رأيت العلماء
المتقدمين ، حين رأوا الشكوك تغزو المجتمعات العلمية الإسلامية ، في
العصر العباسي ، من دخول فلسفة الإغريق ومعارفهم ، نهضوا يفتندونها ،
بحقائق وحي الله اليقيني ، في مؤلفات ضخمة قيمة على أسلوب منطقهم
وأصول معارفهم .

والآن وقد بطلت الفلسفة الإغريقية ، التي كانت تحسب من العلم
اليقيني ، لا من تخيلاته وفروضة وظنونه في جُل اتجاهاتها ، لظهور
المعارف الغربية المادية وفلسفاتها ، واتجاهات مذاهبها الإيمانية والإلحادية
والتطورات التي دخلت على كل من الإلحاد والإيمان .

وبما أن الاتجاه العلمي اليقيني ، سواء في الماديات أو في الطاقات
أصبح بيباً ، وله علماءه المتخصصون ، الذين يزدادون يوماً فيوماً ، في
الغرب خصوصاً علوم الطاقات الروحية العاقلة .

فكان لزاماً على علمائنا المحدثين الأعلام في الشرق ، أن ينقدوا

بواعث المذاهب الالحادية في الغرب ، من الوجهة العلمية اليقينية التي لا تقبل الريب بحال . وان يقيموا على أسلوبهم البراهين العلمية اليقينية لبطلائها . فليس في العالم الانساني قاطبة علماء ، إذا ظهرت لهم حقائق العلم اليقيني يتذكرون لها ، ما داموا علماء ، يقصدون الوصول إلى اليقين العلمي في كل شيء ...

ولما رأيت الثقافة الغربية تعم كل معاهد الشرق ، حتى المعاهد الخاصة ، بدراسة الأديان . ورأيت الالحاد المبني على ظنونها ، وفروضها العلمية ، يتطايّر في غبارها الخالك ، ويتسرب إلى تثقيف الشبان الشادين ، ويستحكم في ضمائرهم ويتفاقم في عقولهم وأعمالهم ، شعرت أن الواجب أن أخاطبهم بما درسوا من علوم الطبيعة وسواها ، وأن أبرهن لهم ببراهينها المؤكدة لدى علمائها المتعمقين .

فإن لجأنا إلى دلائل منطق الاغريق . ودلائل معارفهم . سخروا منا في أنفسهم . وأعرضوا ، أو جاملوا وسكتوا ... وهم يروننا عبّدان تقاليد الجهل ، ويرون أنفسهم أحراراً يقين العلم . وأنا متخلفون منطبعون بموارث نظريات الإغريق ، وأنهم صاعدون متقلّبون في أضواء المعارف اليقينية الحديثة .

هكذا تصور لهم الدراسة الطفلية الطائفة .

نعم ، دخلت الفلسفة الاغريقية وجل معارفها في متاحف عادات الظنون والأوهام والفروض ...

ودخل معها ما نفي عليها من الأحكام والنظريات . وظل وحي الله اليقيني (القرآن المجيد) ترفرف أعلام معجزاته العلمية اليقينية ، فوق منائر الجامعات العلمية والمجامع ، وشتى مختبرات البحوث .

وأقبلت الحضارة الحديثة ، وهي تحمل أعلام العلوم المادية . وفلسفاتها

الاحادية ، ومذاهبها الجاحدة ، وانطبت بألوانها ومذاهبها وإلحادها
الأجيال الغربية ، وتسربت إلى شبان الشرق ، الذين تثقفوا في معاهدها ،
وتأثروا بها ، ونقلوها إلى الشرق ، حتى انطبت بها معاهدهم وثقافتهم
ومؤلفاتهم ، وآدابهم وامتزجت بها مجموعاتهم النفسية .

حتى اضطر علماء عصرنا ، أن يفسروا للشباب الالتباسات التي جعلت
الغريبيين يلحدون ، ويرفضون موارثهم الروحية وسواها ، ولا أثر لها في
خاتم الوحي اليقيني (القرآن المجيد) .

ومن أنعم نظره في ما كتبه الرافي ، والسيد رشيد رضا ، وأحمد
أمين ، والعقاد ، ومنصور فهمي ، والأمير شكيب أرسلان ، وفريد
وجدي ، والخضر حسين ، ويوسف مروة ، والسيد أمير علي ،
وأبو الحسن علي الحسيني الندوي ، وغيرهم كثير .

ولا يزال درس الحضارة الحديثة ومعارفها ومذاهبها الفلسفية ، في
نطاق المقارنة والنقد والبحث والدرس ، لدى علماء الإسلام الناشئين ،
وهم كثيرون جداً ، في كل قطر عربي ، وفي كل بلاد اسلامية .

ولهم في ما كتبوا وألفوا دفعوا بلاءً ساحقاً من الإلحاد ، عن
صفوف شبان الشرق وجانب من شبان الغرب .

نعم ستنهي الحضارة المادية الحديثة ، وتأتي حضارة الطاقات الروحية
العاقلة وسواها ، ويظل (القرآن المجيد) كما هو الآن ، المنار الساطع ،
الموجه إلى الحقائق العلمية اليقينية ، والكاشف لخفاياها وأسرارها .

والقرآن المجيد ، هو موجه الأجيال إلى الحقائق العلمية اليقينية
الخالدة في الماضي والحاضر والمستقبل إلى أبد الآبدين .

عالم النعيم والعذاب

في نصوص وحي الله اليقيني

• كل أتباع وحي الله ورسله الكرام - صلوات الله وسلامه عليهم - هم مؤمنون بوجود عالمي النعيم والعذاب .

• وعالم النعيم والعذاب هما ، من جملة عوالم الآخرة التي لا تزول أبداً .

• أما عوالم السماوات والأرض وما بينهما فإن لها أجلاً تنتهي إليه ، وتبديل فيه ، وذلك في يوم القيامة ..

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ
الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ (١٤ - ٤٨)

وهذا التبديل في تكوين الأرض والسماوات ، هو من مقتضيات إحياء البشر كافة عليها ، وانتقالهم منها إلى عوالم الآخرة .

والبشر أنفسهم ، حين يستعيدون تكوين أجسادهم بواسطة ذرة الحياة ،

من تراب الأرض ، كالنبات يوم القيامة ، يخلقون خلقاً جديداً ، مناسباً
لسنن العوالم التي ينتقلون اليها ، وكيفيات العيش فيها .

وهذا منصوص عليه في قوله تعالى:

فَنَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ
أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٥٦ - ٦٠ و ٦١ و ٦٢)

أجل قدر الله الموت في هذه الحياة على البشر جميعاً ، لأجل انتقالهم
إلى عوالم الآخرة ، ولم يسبق أحد المولى في هذا التقدير:

١ - فَنَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ

ولما كان الله خلقنا على أمثال وهيات وكيفيات وصور وفق متطلبات
هذا العالم الذي نعيش فيه ، كذلك حين يبعثنا فانه يخلقنا خلقاً موائماً
للعوالم التي سوف تنتقل اليها ، فيبدل أمثالنا أي كيفياتنا إلى كيفيات
وصور توافق نوااميس العالم الثاني وأوضاعه ، نحن نجهلها الآن :

٢ - عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ

ولكن إذا رجعنا إلى علمنا بالنشأة الانسانية الاولى - التي نحن عليها
الآن - وتذكرنا أنها موافقة لسنن عالمنا هذا الذي نحن نعيش فيه ،
وكيف هي في أحسن تقويم ، عرفنا أن النشأة الآتية ، ستكون أيضاً
موافقة لسنن العوالم التي سننتقل اليها تماماً ، وستكون في تقويم أحسن ،
وأحسن مما عرفنا الآن ، بمراحل .

٣ - وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

ولولا ، هذه، أداة تنبيه وتحضيض ، معناها هلا تذكرون .

بيان نعيم الآخرة

ومن أجل ذلك ، نجد أن الله بين لنا أن نعيم الآخرة غير نعيم الدنيا .
بينه في جملة من نصوص وحيه اليقيني - القرآن المجيد - :

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (٣٢-١٧)

فالنعيم المخفي الذي ستقر به أعين المؤمنين الصادقين في العالم الثاني ،
جزاء أعمالهم الصالحة ، واستقامتهم على دعوة الإيمان في دنياهم ، لا تعلم
به أنفسهم ، وهم في عالمهم المحدود الزائل .

وكيف لا تجهل الأنفس حقائق نعم الآخرة التي وصفها الله بقوله :

وَفِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
(٤٣-٧١)

وقوله تعالى :

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ
مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ

مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ .
(٤٧ - ١٥)

وهذا أيضاً من نواميس عالم النعيم الخاص ، وليس من نواميس عالمنا أن يجري اللبن والحمر والعسل أنهاراً ، كما أن حقائق هذه الأشياء أعلى وأرفع وأشهى من حقائقها في دنيانا الفانية .. ولكن التشابه في الشكل موجود ، وإن كانت الحقائق مختلفة . استظهر هذا النص القرآني لاعلان هذه الحقيقة :

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَوْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢ - ٢٥)

وأكبر نعم الآخرة ، وأروعها وأعلاها وأسعدها على الإطلاق ، هي نعمة رضوانه تعالى المتجلية في كل شيء بين أيديهم ، ويستمتعون به ويتلذذون ، المتجلية في قوله تعالى :

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩ - ٧٢)

واليك الحديث القدسي الذي رواه مسلم ، فإنه يوضح هذه الحقيقة

توضيحاً صريحاً، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال قال الله عز وجل :
 «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر
 على قلب بشر » .

ونحن نعلم أن المادة الكثيفة المكون بها الجسد الانساني في عالمنا هذا
 المادي ، لا نستطيع أن نرى بسببه الملائكة الكرام بأبصارنا ، إلا بتصريف
 إلهي ، كروية الأنبياء للملائكة . بخلاف تكويننا الجديد ، الذي نكون
 عليه في عالمنا الثاني ، فإنه لا يحول دون مشاهدة الملائكة الكرام، وسماع
 أصواتهم ، تأمل قوله تعالى :

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
 وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (١٣ - ٢٣ و ٢٤)
 وقوله تعالى :

لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي
 كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٢ - ١٠٣)

وعالم الآخرة لا يخالطه حزن ولا نصب ولا تعب .
 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
 شَكُورٌ . الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا
 نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥ - ٣٤ و ٣٥)

وإذا أردنا أن نستقصي كل كائنات عالم النعيم ، وما هي عليه حقائقها
التي لا مثيل لها في عالمنا هذا ، لطال بنا القول واستغرق مجلداً .

وعالم النعيم لا شمس فيه ولا حر ، ولا قمر فيه ولا برد . وهذا
صريحٌ في قوله تعالى :

وَجَزَاءُهمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ . مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى
الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً (٧٦-١٢ و ١٣)

والزمهرير البرد ويطلق على القمر .

سطحية في النظر

تجد أقطار المثقفين والعامة ، الذين لا يعلمون ان سنن العوالم ، التي
يتقلب فيها الانسان تختلف ، ألا ترى أن الانسان في عالم الرحم يحيا
حياة تختلف كل الاختلاف عن حياته في هذه الأرض ، وكذلك حياته
في هذه الأرض ، تختلف عن حياته في عالم النعيم وعالم العذاب .

وكم من أسئلة ، ترد من أقطار المثقفين والعامة ، حول الحياة في
عالم النعيم ، نستدل منها ، أنهم لم يطلعوا على نصوص الوحي اليقيني ،
التي عينت الخلاف الأكيد بين العالمين ، وذكرنا جانباً منها هنا ، و
أنهم اطلعوا أو علموا أو درسوا أو فهموا لما سألوا تلك الأسئلة السخيفة ،
التي تدل على سوء فهمهم ، وشرطية علمهم ، وسذاجة تفكيرهم ، كأن
تسمع من أحدهم يقول : إن حقائق العالم الثاني عند المسلمين فيه خمر
ونساء وولدان كاللؤلؤ المنشور ، ولو علموا أن حقائق العالم الثاني هي
واحدة ولا يمكن أن تختلف ، وانما الخلاف الذي نراه في نصوص الكتب
الدينية منشأه اختلاف اللغات ووضع التأويلات واختلاف العقليات والبيئات

والثقافات ، من كل ذلك وجدت الحُلُفة لا من نصوص وحي الله حاشا أن يكون بينها خلاف .

وما أدق نظر « غوستاف لوبون » المستشرق الافرسي الذي يقول في كتابه « حضارة العرب » : إن عالم النعيم واحدٌ في كل الأديان ، وإنما العبارات التي تقرّبه إلى الأذهان هي التي تختلف مدلولاتها ، وسبب الاختلاف هو أنك تستعمل ألفاظاً لأشياء وحقائق مختلفة عن حقائق عالمنا الزائل .

وكم أتمنى ، أن يفهم أسطوار المثقفين ، الفهم الصحيح العلمي ، المقصود في وحي الله ، كما فهمه هذا المستشرق الكبير . وحسبنا أن نختم هذه الكلمة بالآية الكريمة التي مر ذكرها ، لتكون صفة في وجه الذي يهرف بما لا يعرف :

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٢ — ١٧)

بيان عذاب الآخرة

سبق بحثُ عالمي النعيم والعذاب في العلم اليقيني . وفي هذه الكلمة أبجثهما من وجهةِ الوحي اليقيني ... وظاهر أن النعيم والعذاب حقيقتان موجودتان في كل عالم مشتمل على كائنات حرة مختارة ، فيه الخير والشر ، والحق والباطل ، والإيمان والكفر .

ولكن عين هذا الواقع يختلف في كل عالمٍ عن العالم الآخر . لأن كل

عالم له خصائص تكوينية ، وكيفية كائناته وفق سننه وأسبابه ومناسباته .
والنصوص اليقينية التي وردت في عذاب الآخرة ، وأنه سوى عذاب
الدنيا كثيرة جداً .

انظر مدلولات هذه الألفاظ : النار : اللظى ، الجحيم ، السعير ،
جهنم ، تجدها مخالفة لمدلولاتها المتواضع عليها لغةً ، وهذا وحده برهان،
أن عوالم الآخرة سوى عوالم الدنيا .

١ - استظهر الآيات الآتية وتعمق معناهما . تلمس المبينة ..

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا . إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا (٤ -- ١٦٨ و ١٦٩)

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٣٣ -- ٦٤ و ٦٥)

المبينة ظاهرة ، فالعذاب بالنار في الدنيا ، لا يستغرق سوى بضع
دقائق ، حتى يقضى على المعذب .

أما عذاب النار في الآخرة ، فانه لا يقضى فيه على المعذبين بالموت ..
وفي ذلك يقول الله عز وجل :

.. لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٥ -- ٣٦)

إذن فنار الآخرة ، وجحيمها ، وسعيرها ، ولظاها ، وجهنها

أبدية ولا تमित ، لأن حقيقتي النارين مختلفتان .
أوقد شعلة الفكر ، وتعمق مدلول الآية الآتية تبصر صورة أخرى
من صور المباشرة بين عذاب عالمي الدنيا والآخرة .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كَلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (٤ - ٥٦)

٢ - وما دام أهل نار الآخرة يعيشون فيها ، ولا يموتون ، فلا بد
من الطعام والشراب ، لأن الحياة الجسدية تقتضي ذلك ، وفي الوقت
نفسه يكون طعامهم وشرابهم لوناً من ألوان العذاب .

أتل الآيات الآتية يتضح لك ذلك :

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ
الْمُسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غَسِيلِينِ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٦٩ - ٣٧)

وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)

مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦)
يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ
بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٤ - ١٧)

٣ - ولكم تكون حشرات ظمأ أهل النار إلى الماء الذي يستمتع به
أهل الجنة ويفيض عليهم أنهاراً تجري ، إنها شعلات من الندم والتمني ،
تحس ذلك في ندائهم الموجه :

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَهُ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٧ - ٥٠)

والآن يستطيع الدارسون أن يتبينوا من نصوص الوحي اليقينية التي
أدليت بها ، أن عذاب الآخرة غير عذاب الدنيا من كل وجه .

وفي ذلك كفاية لأهل الإيمان ، ولا حاجة بهم إلى ادخال التأويلات
الفلسفية ، ولا إلى الآراء الشاطحة . التي تبعد عن حقائق مدلولات
الآيات الكريمة .

والذين يلجأون إلى التأويلات الفلسفية ، أو إلى الآراء الشاطحة ،
الأسطورية ، هم جماعة يحسبون أن سنن عوالم الآخرة ، هي نفس سنن
عوالم الدنيا ، ولو علموا يقيناً أنها سواها ، لما سمعت منهم من يقول :
إن هذه النصوص ، يقصد منها الارهاب فقط ، لكي يتجنب الأشرار
ارتكاب الشرور ، والمنحرفون الزيف والافساد .

ولا سمعت من يقول ، إن عذاب الآخرة كعذاب الحرب الذي يجعل
صاحبه يمزق جلده بأظافره ، ويسيل منه الدم ، وهو ملئ بذلك .

أقوال مؤولى نصوص عذاب الآخرة

عرفنا من نصوص وحي الله اليقيني التي سبقت ، أن عذاب الآخرة
غير عذاب الدنيا من كل الأوجه ...

وعرفنا أن مدلولاتها صريحة جداً ، ومعلنة أن المغايرة مدعمة بأصح
البراهين وزيادة ..

وهذه المغايرة القطعية ، تجعل كل أقاويل المبطلين ، وسخافاتهم عن

الآخرة ساقطة من نفسها ، وتجعل مدلولات نصوصها القطعية ، غير مفقودة إلى التأويلات الفلسفية ، من جهة أناس ، لما يدخل الإيمان في قلوبهم ... بل ظل عالماً بعقولهم ، وموزوناً بموازين علوم الكون ، وجهلوا أن المكتشف من علوم الكون قليل قليل .

والعلم القليل محال أن يزن الحقائق الصحيحة عن عوالم الكون ، ويكشف أعيانها لطايي يقين المعرفة .

ألا نجد كل تأويلاتهم الفلسفية مبنية على اعتبار ، أن سنن عوالم الآخرة وتكوينها ، كسنن كوننا الأرضية وتكوينها ..

فكل تأويلاتهم مبنية على هذا الاعتبار ، أنظر مثلاً كيف أولوا قوله تعالى :

وَجُودُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٧٥ — ٢٢ و ٢٣)

أي إلى نعيم ربها ، محكمين سنن هذا العالم على سنن عالم الآخرة ، قائلين الرؤيا تقتضي الحصر في مكان المواجهة والبداية والنهاية . وكل ذلك يستحيل على الذات الإلهية الموجدة كل العوالم ، والمحيط بها .

ولو علموا أن العالمين مختلفان في حقائقهما ، لأدركوا أن تأويلهم لا لزوم له على جميع الاحتمالات .

وهذا شأن تأويل النصوص القطعية كافة ، وشبهتها كشبهة القصة المنسوبة إلى جحا ، أنه زرع قرون خراف في قطعة أرض بور له ، لتنبت خرافاً ، ذلك لأنه رأى أناساً ، يزرعون عيدان كرملة لتخرج كروماً . ولم يفتن إلى ما بينهما من خلاف وتباين . وهذه القصة الموضوعة تكشف الفارق الكبير ما بين قرون الخراف وعيدان الكروم المشتملة على سر الحياة النباتية .

يا غُفَل : تفكروا إن كنتم من أهل الفكر ، واعلموا إن كنتم من أهل العلم هذا القمر وما بيننا وبينه من بُعد إلا ما بين الأذن والأنف ، ومع ذلك فإن نواميسه تخالف نواميس أرضنا كل المخالفة .

حتى إن الانسان ، لما اراد أن يصعد اليه ، أعد لنفسه كل الوسائل العلمية التي تجعلها توائم سنته ، لكي يستطيع البقاء على ظهره حياً .

ومن أجل ذلك ، أفهمنا الله في آيات وحيه اليقيني عن عالمي النعيم والعذاب ، أن لها تكوينها الخاص بهما ، وإن إعادة خلق الانسان سيكون على كفاءات وسنن صالحة لحياة الانسان فيها .

فهل يتخيل هؤلاء المغرورون بمعارف العصر ، أن الانسان يعلم ما لا يعلمه الله مكوّن الأكوان والمقدر لها نواميسها ، ويلهم .

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (٦٧ — ١٤)

وهل استبعد أهل الجاهلية الأولى ، المكابرون المجادلون انتقال البشرية الى عالمي النعيم والعذاب ، إلا لأن هذه الحقائق العلمية كانت مجهولة لهم ، فأخذوا بظنونهم وأساطيرهم :

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٤٥ — ٢٤)

أجل لو كان مشركو الجاهلية ، الكافرون بنشأة الحياة الثانية ، على إلمام بعلوم الطبيعة ، المكتشفة في عصرنا ، وطفقوا يتفكرون في نظام تكوينهم الموائم لنواميس نشأتهم على ظهر الكرة الأرضية ، لعلموا بالضرورة أنّ نشأتهم الثانية في العالم الثاني ستم على تكوين مناسب لسنته المخصصة لبقائهم الأبدي فيه .

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٥٦ - ٦٢)

إذن فما تسمع من شبهات أشطار المثقفين هؤلاء وتأويلاتهم وتفسيراتهم التي لا تمت الى حقائق العلم بصلة ، هي ساقطة من نفسها .

ألا تسمع أقوالهم .. إسمع واضحك :

١ - « إن كان السمك في البحر ، يتألم من وجوده في الماء ، يتألم المجرمون من وجودهم في النار » .

٢ - « لن يحس أهل جهنم بنارها ، إلا ما يحسه الأجر ، حين يحك جلده بأظافره وينهشها نهشاً ، ودماؤه تسيل ، وهو متلذذ بذلك . »

٣ - « إن المادة تغطي الطاقة الروحية في جسد الانسان في الدنيا ، وفي الآخرة الطاقة الروحية تغطي جسد الانسان ، وحقائق الطاقة الروحية سوى حقائق الجسد المادي ... »

٤ - « إن حياة العالم الثاني حياة روحية صرفة ، ولا بعث ولا حشر لمادة الجسد . »

هذه الكلمات وأمثالها تسمعها من أشطار المثقفين ، أو من غير المؤمنين بالوحي الإلهي ، أو تسمعها من المستغرقين في نزف دمائهم بشهواتهم ، ولا يصبحون ولا يمسون إلا في رموس حاناتها ومواخيرها .. أو تسمعها من المنافقين الملاحدة ، الذين لا ضمير لهم ولا ذمام ولا انسانية ولا كرامة .

ومها يكن فنصوص وحي الله اليقيني ، تطرح كلماتهم المهلهلة بالظنون والأوهام ، تحت نعال العلماء ، تطرحها بأصليين أساسيين : الوحي ، والعلم .

١ - الوحي يدل أن عوالم الآخرة سوى عوالم الدنيا ، في تكوينها ومواطنها وسنتها فقياس عوالم الدنيا عليها رعونة وجهل ، وقد مر توضيح ذلك .

٢ - العلم أثبت أن عوالم الفضاء هائلة جداً ، وكثيرة ومختلفة في أبعادها ، ولا يعلم نهايتها وإحصاءها إلا الذي خلقها .
ونفي وجود عوالم الآخرة ان تكون وراء أبعادها شراسة من الظلم ، وانتكاس من التخلف ، وعتو من الكفر ، بما أوحى الله جلّ وعزّ .
كما أن طلب معرفة كنه عوالم الآخرة ، سذاجة ما بعدها سذاجة ، ونفاق ، ولا نفاق أخبث منه .

اعلموا أننا نعيش الآن في هذه الأرض ، ونحن نجهل كنه ما هو مائل بين أيدينا من عوالم الطاقات ، كالجاذبية ، ونجهل ما هو قريب منها من عوالم المجرة ، التي منها مجموعتنا الشمسية .

ولا ندري عن كنه عناصرها المكونة منها إلا القليل القليل .
وإذا كان المريخ ، وهو قريب من الأرض كما نعلم ، ومع ذلك يعلن العلماء ، الذين يطوفون حوله بصواريخهم ، أنهم يجهلون إن كان مشتملاً على حياة جسدية مادية أم لا .

فما بالك بعوالم الآخرة ، التي هي في أبعد أبعاد الفضاء ، أي وراء عوالم الكواكب والسموات السبع .

لذلك يجب علينا أن نقف تجاه نصوص وحي الله اليقينية بكل أدب وخشوع ، وأن نقيد بما تحمله من معان صريحة ومدلولات أكيدة ، لا لبس فيها ولا إبهام ، مفوضين الأمر إليه جلّ وعزّ ، فهو أعلم بما خلق ويخلق ، وكيف ينعم من يستحق التنعيم !!؟ ويعذب من يستحق التعذيب !!؟

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (٦٧ - ١٤)

البعث

بعض الناس :

يعيشون في هذا العالم ، ويشاهدون عجائب التكوين والأكوان ،
وغرائب الخلق والمخلوقات ، ومدهشات الوجود والموجودات ، ويزدادون
من يوم إلى يوم معرفةً بها ، بوسائل صواريخهم ، ومحطاتهم الفضائية ،
ومراسدهم ومراقبيهم ، ومختبراتهم .

أجل يزدادون معرفةً بها حتى يلمسوا بحواسهم الخمس ، آيات مكنون
الأكوان الناطقة في كل ذرة من ذراته ، وفي كل خلية من خلياته بجلاله
وكبير قدرته ، ويتحتم وجوده في نفوسهم جل وعز ، ويأمسون أنه
أبدع الأكوان بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، وهؤلاء سوى الذين
يبحلون بالله كل الجحود وينسبون عجائب خلق الوجود إلى الصدفة
والطبيعة .

ولكن ذلك البعض المؤمن أيضاً لا يؤمنون بقدرته تعالى ، على إعادة
تكوين الخلق بعد انتهائه من هذه الحياة ، وعدم إيمانهم بناجمٌ عن أمورٍ
أساسية هي ...

الأمر الأول : هزال الإيمان

إن إيمانهم بالله الخالق العظيم ، لم يبلغ في عقولهم المستوى الذي هو عليه جل وعز ، من جليل الصفات ، وكبير الاقتدار ، ونفوذ الإرادة ، وواسع العلم الشامل ، لكل ما كان ويكون ، إلى أبد الآبدين . بل إن أحاسيس إيمانهم بالله الخالق العظيم ، لا تزال في دور الطفولة الحسية ، الملونة بألوان الاشرار ، والمبوءة بأوبئة الوثنية . من أجل ذلك تجد الخالق العظيم صغيراً في إيمانهم إلى النهاية ، حتى تصوره طاقة روحية حالة في وثني ، أو بقرة ، أو شمس ، أو قمرٍ وهلم جرا ..

ومن كان هذا علم عقيدتهم بالله الخالق العظيم ، فكيف تصدق عقولهم ، أو تطمئن قلوبهم ، أنه يستطيع أن يعيد خلق السموات والأرض ، وأن يعيد خلقهم بعد أن ينتهي أجلهم ، وتبلى أجسادهم ، وينقلهم إلى عوالم أخرى كونها للأبد لا للزوال ، كعوالمنا هذه ...

أجل محال أن تصدق عقولهم ، أو تطمئن قلوبهم أن آلهتهم التي عبدها في جرم الشمس ، أو الكواكب ، أو الحيوانات ، أو الأحجار ... وتخليوها طاقات روحية أزلية تحل في ذات الجرم المؤله المعبود لهم .. تستطيع مجتمعة أو متفرقة ، إعادة تكوين الانسان والسموات والأرض ، وتبديها تبديلاً رائعاً جديداً ، بعد تداعيها وتصدعها ..

فمن تخيلهم هذا الطفلي الصغير ، لله الخالق العظيم ، انطلق كفرهم بعوالم الآخرة ، وجحدوا قدرته ، على إعادة خلق الانسان بعد فناءه .

فإن أردنا أن يعلموا واقع النشأة الأخرى ، ويؤمنوا بها إيماناً صحيحاً ناجماً عن علم يقيني ، فأول ما يجدر بنا ، أن نصلح لهم عقيدتهم بالله الخالق العظيم .

وإصلاحها يكون ببيان ما يجب له تعالى ، من كبير الصفات ، التي

تليق بجلاله ، وبيان ما يستحيل عليه من حقير الصفات ، التي لا تليق بجلاله ، وكبير سلطانه ، وحيثئذ يفهمون قول الله عز وجل ، في حقيقة البعث :

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعُثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ .
(٢٨ — ٣١)

وفهمون قوله تعالى :

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)
فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .
(٨٣ — ٣٦)

فعقيدته المضطربة ، في الله الخالق العظيم ، هي من أسباب جحودهم ، لحقيقة العالم الثاني ، وبعثهم إليه .

وبالحري بعد أن تتقفوا بالعلوم الحديثة ، الثقيف المدخول ، الشطري المجافي للإيمان بالله الخالق العظيم .

ولو أنهم تتقفوا الثقافة الكاملة ، التي تجعلهم يميزون بين يقين العلم . وبين ظنونه وأوهامه ، لما جحدوا بتاتا ، ولكن يصدق عليهم قول الله عز وجل :

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٥٣ — ٣٠)

الأمر الثاني : قلة العلم

إن معارف العلماء الماديين ، المحيطة بحقائق العوالم ، المترامية خلف المجرات والسموات وسواها ظنية فرضية ، ولم تبلغ درجة اليقين العلمي الصحيح ، بل هي غارقة في وحول الظن المحقق الشامل لعوالم المجرات ذاتها ، التي كثر الحديث عنها . بعد إقامة المحطات المختلفة ، في أبعاد الأجواء ، ومواصلة رواد الفضاء لرحلاتهم الى القمر وسواه من الكواكب القريبة لأرضنا .

إذن فما وصلنا إليه من معارف الكائنات المادية ، التي لا تزال وراء أبعاد الفضاء . هي بمثابة خيط دقيق ينفذ من كوة ضيقة جداً ، الى أهل سجن مظلم ولدوا فيه ونشأوا فيه ولا يعلمون عن الوجود شيئاً .

فقل هذا الخيط الدقيق من أشعة الشمس محال أن يعطيهم معرفة يقينية قاطعة . هي المجموعة الشمسية ، وعن كل ما للشمس من أشعة ، وعن العوالم التي تتصل بها ، وتفيد منها ، كالحياة على أرضنا ، ماءها . وهواءها . وحيوانها . ونباتها .

وهذا شأن علمهم بالنسبة لعلوم الأكوان المخفية وراء أبعاد الوجود ، فما علموه منها — إن هو إلا خيط ضئيل جداً — من العلم ، لا يجعلهم قادرين أن يتصوروا ، إمكان خلق البشر نزلة أخرى ، ونقلهم الى عوالم معدة في هذا الفضاء لهذا الغرض ..

وكيف يقدرّون أن يتصوروا تحقيق ذلك ، والوجود كل الوجود في نظرهم هو ما يشاهدونه من الشمس والقمر ، وهذه النجوم المتناثرة حولها .. وما يتجلى من المراصد الفلكية ، أو من محطات الفضاء .

فهذه المعارف المحدودة بالنسبة لعوالم الفضاء الهائلة لا تجعل المطلع

عليها يدرك : أن ثمة عوالم معدة لحياة إنسانية أخرى ، فالعلم القليل لا يكشف الحقيقة أبداً ، وهذا مصداق قوله تعالى :

يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ .

الأمر الثالث : جهل بوجود الروح

اعتقادهم الوهمي أن الإنسان كالشجرة ، إذا مات ، مات معه كل شيء يمكن أن يستعيد به الحياة ...

... فكما أن ذرات عناصر الجسد تتفكك وتنتقل في عناصر الأرض ، وتنتقل إلى كائنات أخرى - حيوانية أو نباتية أو سواها . فكذلك طاقة الروح التي عليها قوام الجسد وحياته ، تتبدد هي الأخرى وتنتقل حتى لا يبقى لها بقية تؤذن بإعادة خلق الانسان مرة ثانية .

• هذا الاعتقاد الوهمي المبني على نفي بقاء الطاقة الروحية للانسان بعد مفارقة الجسد .

• وعلى نفي بقاء ذرة الحياة المستكنة في خلية عجب الذنب .
• هذا الاعتقاد هو الذي جعلهم يمحذون البعث إلى العالم الثاني .
بعد نهاية هذا العالم .

ولو علموا أن ذرة الحياة المستكنة في عجب الذنب لا تفنى فيها الحياة ، وإن فنيت كل خلايا الجسد بعد الموت !!

ولو علموا أن سكون الحياة في ذرة نواة الخلية وهودها فيها حقاً طويلة ، مشاهد في الأمكنة ، التي انحسر عنها الجليد ، وانبثق في أثربتها الأحياء الحيوانية والنباتية ، لما حشرجت في أنفسهم صور بعث الخلائق إلى درجة الجحود .

• ولماذا نذهب إلى ملايين الملايين من الحقب ، ونحن نشاهد بين أيدينا كثيراً من الأحياء الحيوانية والنباتية ، تموت في فصل الشتاء ، فإذا انتهى ، وتنسم الربيع ، تنسمت معه تلك الأحياء الهامدة نسماً عودة الحياة إليها . وفي دودة القز التي تستعيد الحياة من بقاياها ، بعد هودها مثل مشاهد لنا .

• ألا يكفي كل ذلك ، لنعلم أن ذرة الحياة ، المستكنة في خلية نواة عجب الذنب ، تظل هامدة ، حتى يأتي ربيعها في الأرض التي بعدها الخالق العظيم للحياة الثانية، ومن هذا البيان نفهم سر قوله تعالى :

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٧ — ٢٥)

وهذه الحياة ، كشفها لنا خاتم رسل الله ﷺ في قوله كما رواه للنسائي : « كل بني آدم يأكله التراب إلا عَجَبَ الذنب منه خلق وفيه يركب » .

أجل إن الجسد الإنساني كله يتبدد ويفنى ، وتظل ذرة الحياة في خليتها هامدة في عجب الذنب ، لا تكاد ترى لصغرها ، ولدى البعث تستجد فيها الحياة ويعود الجسد الإنساني إلى شأنه أول مرة ، حتى الغافة المزالة بالظهور تعود إليه ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم :

« يحشر الناس حفاة عراة غرلاً قد أجمهم العرق ، وبلغ شحوم الآذان . فقالت السيدة عائشة أو يبصر بعضنا بعضاً قال : قد سُغِلَ الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » .

وأما بعد مفارقة الروح للجسد ، فإنها تنتقل إلى عالم الأرواح ، وتظل هناك الى يوم البعث الموقوت ، فإنها تعود إلى جسدها بالذات ، بعد

نباته في « الساهرة » أي أرض البعث التي تبدل بها هذه الأرض .
وتجمع فيها كل ذرات أجساد الأموات وتظل هامة حتى تحيي حياتها
النباتية وتعود إليها أرواحها الخاصة .

وبقاء الأرواح الثابت في علم الأرواح الحديث إن لم يكن للبعث ،
فإنه يكون ضرباً من العيب ، وخلق الأكوان يدل يقيناً ، أنه لا عيب
فيه ، فالجهل بكل ذلك هو من أسباب جهود خلود الأرواح والبعث
إلى العالم الثاني ، وهذا الذي جعلهم يحسبون أنهم خلقوا عبثاً لا بقاء لهم
ولا غاية من وجودهم وفي ذلك ورد النص الكريم :

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ .

(٢٣ — ١٢٥)

الأمر الرابع : اختلاط الأمر عليهم بفصل العلوم عن الفلسفة

لا ريب أن اهتمام العلماء ونشاطهم ، في مواصلة فصل العلوم عن
الفلسفة وفروضها وظنونها . قد أدى بأشطار المثقفين ، وأغبياء المطالعين ،
إلى الاعتقاد ، بأن علم الأرواح خارج عن نطاق العلوم التي انفصلت
عن الفلسفة ، أو التي يعمل العلماء لفصلها ، لذلك جهدوا علم الأرواح
وعوالم البعث كل الجهد ، جاهلين أن علوماً كثيرة ستكتشف وتفصل
عن الفلسفة ، لأن هذا الوجود وما يشتمل عليه من كائنات ، ليس
هو فقط هذه العناصر المكونة من الذرات المادية ، وما اكتشف منها من
علوم ، بل هناك علوم كثيرة ستكتشف ، من الطاقات العاقلة وسواها
لا تزال في بداية البحث .

إذن فقول أشطار المثقفين ومن هم دونهم من المطالعين : « إن

علم الطاقات الروحية العاقلة ، لا يزال في نطاق الفلسفة ، ولما انفصل عنها ، حتى يكون علماً موثقاً به . هو قولٌ هراء باعته سطحية المعرفة . والواقع أن هناك علماء يجمعون مسائل حقائق الروح ، ويعملون على فصلها عن الفلسفة ، على أن كل عالم بعلم ما ، ومتخصص فيه ، إذا سأله عن مسائل علم من العلوم التي لم يطلع عليها ، قال لك : « لا أدري » . وهو لا يقصد بذلك جحوده ونفيه ، وإنما يقصد أنه هو لم يحط به علماً ..

ولعل منكري علم الأرواح هؤلاء ، رأوا علماء الفيزياء ، أو علماء النفس ، لا يتحدثون عن مسائل علم الأرواح ، وإذا سألوهم عنها قالوا لهم : « لا ندري » . فتخلوا ذلك منهم نفيًا لعلم الأرواح ، وما هو إلا انصاف لواقع العلم اليقيني الذي يجهلونه .

ومن أجل ذلك قال القدماء : « نصف العلم لا أدري » ، على أن سؤالهم لعلماء الكيمياء أو الفيزياء عن حقائق الروح هو جهل محض ، إذ لا ينبغي أن يُسأل صاحب علم إلا عن عامه المتخصص فيه والمذكور به بين الناس .

لذلك ، إذا سألت عالماً عن علم غير متخصص فيه ، قال لك : لا أدري .

« وهذا عين يقين العلم . لأننا إذا نظرنا إلى علوم الوجود التي لا تزال مختفية في مجاهل أبعاد الكائنات ، وما علمه الإنسان منها ، لا تزيد عن شطر الواحد من المليار ، فتكون - لا أدري - هي كل العلم إلا التزر القليل المتكشف .

وإذا كنا نحن سكان هذه الكرة الأرضية ، قد امتلأت مكتباتنا العامة والخاصة بآلاف آلاف المجلدات ، وكل هذه المجلدات ، لما تستوعب الواحد من المليار .

فكيف يكون من يقين العلم نفي هؤلاء الأطفال الحمقى لعوالم الآخرة .
وحشر البشر إليها .

من هذا البيان الموجز ، تدرك أن كلمة لا أدري ، التي ينطق بها علماء الطبيعة ، أو علماء النفس ، إذا سألتهم عن مسائل علم الروح الناشئ ، لا يقصدون بها جحودها علمياً ، هذا هو الحق ، وهل بعد الحق إلا الضلال ؟ على أن البحث عن حقيقة كنه الروح غير مستطاع ككل الطاقات ، لذلك كان حديث علم الأرواح عن مظاهرها وآثارها فقط .

الأمر الخامس : تظاهر اشطار المثقفين بعمق العلم

من أسباب الكفر بالله واليوم الآخر ، هو حب صغار المثقفين أن يظهرُوا بمظهر التعمق في العلم والتفوق في الأدب ، وإلى جانب ذلك ، يزعمون التفكير الحر المنطلق الذي يرفض الاذعان لأساطير الأجيال المتخلفة .
وحب الظهور بالتفوق العلمي الكبير ، والزعم بالعقريّة الأدبيّة المجدّدة ليس له من برهان يدلون به تجاه أترايهم وفي الأنديّة إلا أن يسخروا بالإيمان بالله واليوم الآخر ، والخطأ من قدر فحول العلماء والأدباء .

فهذا التظاهر الغبي الأحق الهازيء هو كل برهانهم الذي يملكونه ، وليس لهم من برهان سواه .

الأمر السادس : عدم إيمانهم بالله الخالق العظيم جل جلاله

• لن يجتمع إلحادٌ بالله جلّ وعزّ ، وإيمان باليوم الآخر ، في نفس واحدة .

« لذلك تجدد الإلحاد بالله الخالق العظيم هو سبب رئيسي للكفر
باليوم الآخر .

لأن الذي لا يؤمن بالله الخالق العظيم ، فكيف يؤمن بأحياء الموتى ،
وانتقلهم إلى عوالم الآخرة ، وكل ذلك لا يتم إلا بقدرة الله وعلمه
وارادته .

اذن فلا تنتظر من ملحد بالله . ايماناً باليوم الآخر ...

الأمر السابع : جهلهم بتأجيل عذاب الكفر

هو نسيانهم أن الله يمهّل ولا يمهّل . وهذا النسيان هو الذي جعل
جحودهم بالله واليوم الآخر يتفاقم يوماً فيوماً . وجعلهم يقولون لو أن
الله موجود حقاً وقادر حقاً ، هذه القدرة التي تتحدث عنها كتب
الأديان ، وأن علمه شامل لما كان ويكون أزلاً وأبداً لعاقبتنا على جحودنا
للبعث والسخرية به .

أجل هذا النسيان ، هو الذي جعلهم يجرؤون على مثل هاتيك الأقوال
الجاحدة وارتكاب الفواحش في السر والعلانية .

والحق أن مصدر هذا النسيان ، هو الجهل المطبق ، بحقائق العلم
والوحي القطعيين معاً .

لأن العلم القطعي الكوني ، لا يتغير إلا بقدرة خالقه جلّ وعزّ ،
سواء آمن أهل السموات والأرض أو كفروا ، وقد أكّد ذلك الوحي
اليقيني ، إذ يقول الله عز وجل ، في جزاء الكافرين :

قَهْلَ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٢٥ — ٤٣)

وهل سنة الأولين إلا عدم إهمال المؤاخذة منها طال الأمد .
فالملحدون منها ألدوا ، والفاجرون منها فجروا ، فإن ذلك لا يعد
إهمالاً من الله لهم ، إن أُرِخِي لهم الأرسان ، بل هو إهمال من الله
لهم ، إذ يقول الله عز وجل :

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ
دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٣٥ — ٤٥)

ولو عجل الله العذاب لهم لما كان أي معنى لحرية الإرادة ، وهذا
صريح في قوله تعالى :

قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ، مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ
بِهِ ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)
قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٦ — ٥٨)

اذن فالجهل والسطحية والغباوة ، هي التي تجعلهم يقولون : هؤلاء
العصاة ، يعصون ويفجرون وهم سالمون ، ما أجهلهم وما أغباهم بما

ذكر هنا وما لم يذكر كثير وكثير ، وفي النهاية ما أبعدهم عن معرفة يقين العلم والوحي معاً .

هذه الأمور السبعة هي التي ركزت جهود البحث لدى اشطار المثقفين ، ولدى فئة من شبان العامة ، وجعلتهم إذا ذكر لديهم الإيمان بالله واليوم الآخر صفروا وصفقوا ، وهذا التصفير والتصفيق ليس مصدره العلم اليقيني والبراهين القطعية كما رأيت ، بل مصدره قلة العلم لدى فئة ، والجهل المطبق لدى آخرين .

ثمررة الإيمان بالله واليوم الآخر

تعلو الثمرة بعلو قيمتها الدائمة ، ولا ثمرة أعلى قيمة من ثمرة الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر .

وما كلُّ إيمان يشمر ثمرات الأجداد العالية الخالدة .

وإنما يشمرها الإيمان العملي المسيطر على المجموعة النفسية ، المدعّمُ بالعقل والعلم ، يشمرها في سمو الحضارة الصاعدة ، وفي سعادة الحرية العالية وفي عزة الخلق الكريم ، وفي التفوق العلمي الكبير .

أجل إن هذا الإيمان العملي المثالي ، إذا تحقق في الالتزام بمثل وحي الله العليا المنزلة على خاتم رسل الله ﷺ دون ما تفريط أو تساهل أو مخالفة أو زيادة أو نقصان ، فإنه يعطيك أجداد الخلود ، وسمو المكانة ، وصفاء السريرة ، ودماثة الخلق ، واكتشاف المعارف ، وتجدد الآداب والصنائع ، وثقة الناس العالية .

حسبه أن يعطيك صدق الاقتداء برسول الإنسانية الأكبر وخاتمها ، فيربط مسيرة حياتك بمسيرة حياته ، فتكون في الدنيا عجباً ، وفي الآخرة أعجب .

ولمّا لا تكون كذلك ؟!! وقد أوثقت أعمالك بأفق الأجداد الأعلى ،

وشموخ صروحه الخالدة ، وعزمات هممه النافذة ، التي مجدها (حسان ابن ثابت) عن عيانٍ بقوله فيه ﷺ :

له هم لا منتهى لكبارها وهمة الصغرى أجلّ من الدهر
اذن فأجداد المؤمن العملي الصادق ستكون حتماً قبيساً من أجداد رسول
الله ﷺ ومن كبار هممه وسمو شمائله .

وكم من شرف ، وجلال ، وخلود ، ورفعة ، في صدق هذا
الإيمان ، برسول الانسانية الأكبر ، وما أنزل عليه من وحي معجز متحدٍ .
فإن رأيت جاهلاً أو غيباً أو واهن الخلق حقير الآمال محروماً لا يحسن
النطق الصحيح ، ولا يستطيع أن يحقق للإنسانية ولأمته وللغة مجداً من
أجداد العلم والقلم والحضارة فاعلم أنه واهن الإيمان برسالة الأسوة الأعظم
صلوات الله وسلامه عليه ، محروم من الإستمسك الجدي بروح ما أوحى
الله عليه من وحي .

أما ثمرة الإيمان بخلود الأرواح ، وبعثها ليوم الحساب ، الذي لا يغادر
صغيرة أو كبيرة من خير أو من شر ، إلا وهي محصية فيه ، ولها
موازينها ، ولها مثوباتها وعقوبتها :

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ (٩٩ — ٧ و ٨)

فإنها شعل من الإرادات المؤمنة بتحقيق الخير والهدى والاستقامة في
الأرض ، وإنها تمام لمكارم الأخلاق ، وتحقيق التضحيات في سبيل الأعمال
البارّة الشريفة .

وهي وقاية أكيدة من الخيانة ، ولغو القول ، وقتل الوقت في الفسوق

والعصيان ، ورفعة عن الانحطاط والتواكل ..

وأنت تستطيع أن تأمن المؤمنين العاملين الصادقين بالله ووحيه ورسله
واليوم الآخر .. باطمئنان وأمان على مالك ونفسك وأهلك ووطنك وأمتك ،
ولكنك لا تستطيع أن تأمن الجاحدين ، أو ضعفاء الإيمان ، المستهترين
بكل ذلك ، لأنهم يستبيحون حرمة الإيمان ، ويخونون حفظ شريعة
البلاد ، ويسلبون وينهبون ، ويرون ذلك ذكاء ووعياً وعبقريه ، وانتهازاً
للفرص ، وانفلاتاً من ربة الحرمان . وقبل نهاية هذه الكلمة أود أن
تدمن نظرك وذاكرتك في قوله تعالى :

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ ، إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ،
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

وفي قوله تعالى :

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْنًا (١٨ — ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥)

المَوْضُوعُ الثَّانِي
سَبِيلُ لِفْهَمِ سُورَةِ يَاسِينَ

الأعلام والصوى

إذا كنت تطلب مدينةً أو عاصمةً لأول مرة ... لكي تستمتع بما
تشتمل عليه من جامعات كبرى ، ومكاتب عامة ، ومستشفيات راقية ،
وحداثق غناء ، وميادين فسيحة ، وشوارع واسعة ، ومتاجر أنيقة ،
وزينات ومباهج وأفراح ، وأمن ضافٍ ، وخير عميم .

... ولكي تستأنس بأهلها ، وبما يتمتعون به من غزارة في المعرفة ،
وفصاحة في اللسان ، وسمو في الخلق ، واستقامة في الدين ، وصدق في
المعاملة ، ونبالة في الأصل ، وحرية في العقيدة ، وتسامح في مبادلة
الرأي ، وكرم في الطبع ، ولطف في العشرة ، فتعرف أولاً إلى أعلامها
الهادية ، وصوؤها المنصوبة في طريقها المستقيم .

ومن لم يسترشد بأعلامها وصوؤها ، فانه لن يهتدي منها أبداً إلى
عين ما يطلب ... بل يضل في شعب الطرق ، وفي مهاوي الأودية ،
وفي متاهات الفياقي .

هذا الضلال هو الواقع المشاهد في موارث البشر العقائدية ، وتقاليدها
وأسفارها وتواريخها وآدابها إلا ما ندر .

ومن أجل تحرير المعرفة الانسانية ، من زيوف الموارث ، ومن

دسائس رزاياها، ومن خباثت مزاعمها الملفقة ... يؤلف المؤلفون المتعمقون .
ويكتب الكاتبون الأصحاء ، ويحاضر المحاضرون الانسانيون .

ومؤلفي هذا أعددته بوسع معارف العصر ، لكي يلمس المطالعون
المتقنون المثل العليا ، والمعجزات المتحدية ، التي تضمها بين جانحيها
سورة ياسين ... وتحذوهم اليها ريادة الفكر ، ومسيرة العلم ... يا الله ،
ما أجلها .. إنها مدينة الأسرار والعجائب ، مدينة المعجزات .

المدينة التي يرتادها الرواد العلماء الراسخون آلاف المرات على تداول
الأجيال .. وهي لم تزل بكرراً في معالمها وآثارها ومقدساتها ، وأعرافها ..
وبكرراً في ذخائرها وكنوزها ، وحرمتها وأدلائها ، بكرراً في أسرارها
وأنوارها ومحاريبها ، تلك هي مدينة سورة ياسين ، ومن أجل إرشاد
المشوفين إلى الطريق الحق المستقيم المفضي اليها .

ومن أجل افساح المجال ، لاستمتاعهم بما تحويه من جبال ، وكهال ،
ومعارف صاعدة ، وتوجيهات عالية فذة ، وحقائق يقينية كونية ،
أقت لهم المعالم المرقومة ، والصوى المنيرة الكاشفة لوصولهم اليها
بسلام ، وليفيدوا من التعمق في فهم موضوعاتها ، وادمان النظر في
تأويل آياتها .

ولا ريب أن الذي يقبل لكشف كنوزها ، وما أكثرها ، وخفايا
معجزاتها ، وما أجلتها ، فانه يلمس السماء أمواجاً من النور ، ويمجد
الحقائق ماثلة بين يديه ، وناطقةً بجلائل المعجزات ، وما بينه وبينها من
حجاب ، كما يصبح منارة خير وهداية : وقفة حق وعلم ، وصرح
سعادة ، ومودة ، واخلاصٍ للناس جميعاً .

والآن يسعدني أن أقدم جانباً من المعالم والصوى التي تكشف جانباً
من معجزات سورة ياسين .

وقد تعددت أن أسهب القول ، عن حقائق العالم الثاني ، وخلود الأرواح للبعث ، لأنني رأيت الآيات وفيرة جداً ، حول هذا الموضوع في (القرآن المجيد) ووفرته تدل بيقين ، أن الله عزّ وجلّ ، ما أكثر من ذكرها في خاتم كتب السماء (القرآن المجيد) ، إلا لمجيء أزمان ، ينصرف فيه الناس ، إما عن الاهتمام بأمرها ، إذا كانوا من ضعفاء الإيمان المنافقين ، وإما لجحودها ، إذا كانوا من الجاحدين الملحدّين ، ظناً منهم أن الإيمان بها يصرفهم عن عمار الأرض ، والصعود بالمعارف الانسانية ، إلى نهاية مثلها العليا .

وها نحن ذا ، وصلنا إلى هذا الزمان ، ولمسنا اعجاز القرآن ملء عقولنا وقلوبنا ، وبالبحري حين شرعت في متابعة درس معجزات سورة ياسين ، منذ ثلاثين عاماً تقريباً ، وقد تبينت أنها مشتملة على آيات كثيرة في هذا الموضوع ، واليك النصوص التي وردت في سورة ياسين فقط ، حول البعث وحديث الأرواح وعالمي النعيم والعذاب .

النصوص

وهذه هي الأرقام المتعلقة بعوالم الأرواح ، وبعث الموتى ، وعالمي النعيم والعذاب ، تجدها مفصلة في القسم الرابع في « تأويل آيات سورة ياسين » .

إحياء الموتى ٣٦ - ١٢

حديث شهيد الدعوة ٣٦ - ٢٦ و ٢٧

الأجيال التي تنتقل من الدنيا لا ترجع إليها ، وانما تحضر بين يدي ربها يوم القيامة ٣٦ - ٣١ و ٣٢

نفخ الصور للبعث ، وحضور الموتى للحساب ، وما يكون من
أحوال من أجل ذلك . من آية ٥١ إلى آية ٦٦

الدليل العلمي اليقيني على حقيقة البعث ، وحتمية حدوثه ، من آية
٧٧ إلى نهاية السورة .

فيكون مجموع الآيات الواردة في سورة ياسين وحدها ، التي
جاءت في هذا الموضوع الجليل ، عددها ٢٧ آية من مجموع ٨٣ آية
الخاصة بسورة ياسين .

وقد نجد تفصيلاً لذلك في الموضوعات الآتية .

معجزة البعث وحقائق العالم الثاني

لا ريب أن معجزة البعث ، براهينها في مجال العلم اليقيني ، وفي مجال الوحي اليقيني كثيرة جداً ، وعالية جداً .

واني في هذه الكلمة لا أستقصي الدلائل كلها الواردة في خاتم كتب السماء (القرآن المجيد) وإنما أذكر ما كشفه الله لي ، من دلائل البعث وحقائق العالم الثاني ، في سورة ياسين ، التي أحاول ذكرها إن شاء الله في كتابي هذا ، مضافاً إليه بعض ما جاء في العلم في هذا الضدد .

الآيات الواردة في سورة ياسين حول البعث

إن استقصاء جميع النصوص ، الواردة في القرآن المجيد ، حول البعث وحقائق العالم الثاني ، وشرحها من الوجهة العلمية اليقينية ، تقتضي مجلداً ضخماً ، لذلك اقتصر في هذه الكلمة ، على الآيات الواردة في سورة ياسين وحقائق العالم الثاني ، إذ نحن في صدد بسط معجزاتها ، واني أعرضها على المطالعين آية آية ، مشتملة على ما تدل عليه من حقائق البعث وعوالمه ، واليك هي مرتبة حسب ورودها في سورة ياسين .

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (٣٦-١٢)

فإحياء الموتى أمره عظيم ، وشأنه كبير ، وهو لدى إنعام النظر في
حقائقه ، وفي حقائق صفات الله سهل جداً .

ولكن الذي جعله مستحيلاً ، في نظر أكثر القدامى من مشركي
العرب ، وسواهم ، هو أنهم كانوا متخذين آلهة ، من أفراد الكائنات ،
ليس في مقدورها إحياء نعمة ، لذلك كان غابدوها ينكرون قدرتها على
تحقيق البعث . والذين استصغروا تلك الآلهة المتخذة من أفراد الكائنات ،
ووجدوها غير خليقة بالعبادة ، ألحدوا جملة واحدة ، وأولئك وهؤلاء
أنكروا البعث ، وهذا ظاهر في آيات القرآن الكريم ، أما الأولون فالله
عز وجل يقول فيهم :

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ .
(٤٧-٥٦)

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (١٧-٩٨)

وأما الآخرون ، فإن الله عز وجل ، نص علينا أقوالهم الباطلة :
أَبَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ .
هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تَوَعَّدُونَ .

إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ .
(٢٣ - ٣٥ و ٣٦ و ٣٧)

تفصيل ما أجمل

إنك تجد معجزة البعث ، وحقائق عوالم الطاقات العاقلة - الأرواح
والملائكة والجان - مستفيضة في خاتم الوحي الإلهي ، استفاضة تدل على
أمر ثلاث ..

الأمر الأول : حول استبعاد أهل الجاهلية للبعث

يدل على أن معظم الأميين من عرب الجاهلية كانوا يستبعدون البعث ،
ويسخرون ممن يؤمن به ، والقرآن المجيد أشار إلى ذلك في عدة آيات
كقوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمُ إِذَا مُرِّقَتْ
كُلٌّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٣٤ - ٧)

إِيعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ .
هَٰئِهِتَ هَٰئِهِتَ لِمَا تَوَعَّدُونَ . إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٣ - ٣٥ و ٣٦ و ٣٧)

وكان الذين يؤمنون بالبعث أفراداً قلائل من عرب الجاهلية ، كزهير
ابن أبي سلمى الذي يقول :

فلا تَكْتُمَنَّ اللهَ ما في نفوسكم ليخفى ومبها يُكْتَمُ اللهَ يَعْلَمُ
يُؤَخِّرُ فيوضَعُ في كتابٍ فيدخرُ ليومِ الحسابِ أو يُعَجِّلُ فيُنْقِمَ

وقس بن ساعدة الأيادي ، وورقة بن نوفل ، وسواهم ..

وكان جمود أهل الجاهلية ، المتفاقم لحقائق البعث ، من الأسباب
الوجيهة ، التي اقتضت إفاضة وحي الله في ذلك ودعمه ، بالبراهين التي
تطمئن بها يقظات عقولهم ، ولمحات قلوبهم ، وهي لا تتجاوز المحسوسات
إلا قليلاً .

إذا لم تكن قد نزلت حقائق الوحي الإلهي اليقيني الذي ذكر كثيراً
من عوالم الفضاء الهائلة المختلفة في أبعاده السحيقة ، العوالم التي أخذ أهل
العلم الحديث يتعرفون إليها شيئاً فشيئاً ، وبالحرى — بعد صعودهم إلى
القمر ومعالجتهم للوصول إلى المريخ وإلى كواكب آخر — وبعد اقامتهم
للمحطات الفضائية ، وصنعهم للمراقب المقربة للأبعاد السحيقة حتى
أوشكوا أن يلمسوا عوالمها ، وهم في محطاتهم .

من أجل ذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون في خاتم الوحي
الإلهي الآيات الوفيرة التي تتحدث عن حقائق البعث وعوالمه ، بالأسلوب
الحسي القريب ، خذ مثلاً هذه الآية الكريمة :

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ
تُخْرِجُونَ (٤٣ - ١١)

فالماء الذي ينزل على الأرض الميتة فيحيي بقدره الله نباتها المحسوس
لهم المشاهد هو صورة محسوسة لإخراجهم أحياء من تراب الأرض .
وخذ مثلاً آخر وهو قوله تعالى :

نَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَنَعْدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (٢١ — ١٠٤)

ولا ريب أن خلق الانسان يشاهدونه كل يوم آلاف المرات ، وكما
بدأ خلقه أول مرة ، بقدرته تعالى ، وارادته وعلمه ، كذلك يعيده
نزلة أخرى .

أجل هم يرون ذلك مراراً وتكراراً .
أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٩ — ١٩)

فهذا أيضاً دليل حسي يمكن أن يدركه أهل الجاهلية بسهولة ، ولكن
آية رقم ٢٠ التي تليها موضوعة لعصر العلم ، لأننا لا نرى كيفية بدء
الخلق إلا بعين العلم .

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ
يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(٢٩ — ٢٠)

ورؤية كيفية بدء الخلق بعين العلم هي آية علمية لإعادته ، ولكن
حقائقها لا تدرك إلا بنظر العلم الخالص وأدواته المعدة لذلك .

وإذا كان الإنسان الجاهلي يريد أن يشاهد الإله المعبود الذي خلق

١ تقدم بحث هذه الآية الكريمة وهي من دلائل البعث العلمية .

الكائنات التي ما أحصاها علم الانسان الحديث في عصرنا على تقديمه الخارق ، فما بالك بعلم الانسان الجاهلي على اختلاطه وقلته ، ومن أجل ذلك كان يأبى الإيمان بالإله المعبود إلا حين يراه ماثلاً بين يديه في جماد ، أو حيوان ، أو نبات ، ليحسه ويلمسه ويتمسح به وإذا غضب منه حطمه وشتمه وإذا كان يؤكل أكاه كإله التمر الذي نصبته بنو حنيفة معبوداً لهم حتى قال الشاعر فيهم :

« أكلت حنيفة ربها عام المجاعة »^١ .

ولعل هذه القصة من وضع الشعراء الهجائين ، وما نحن بحاجة إلى اختراع رب من التمر ليأكله عابده إذا جاعوا لنبرهن على بطلان الآلهة المتخذة من أشياء الكائنات ، وهذه الأحجار الصم المنصوبة للعبادة لدى كل قبيلة فيها كل برهان البطلان لمن طلبه .

هذا حال أهل الجاهلية في عبادة الأنصاب التي كانت تحتشد في منازلهم ، وحالهم في جحود البعث ، ومن جراء ذلك استفاضت آيات القرآن المجيد المترلة لاثبات البعث بالتجربة والملاحظة المحسوسة في صميم الحياة .

الأمر الثاني : تفاقم الغرور العلمي في عصرنا

يتبينُ التالون المتعمقون في نصوص آيات القرآن المجيد ، الدالة على وقوع حقيقة البعث ، بأدلة علمية يقينية ، يلمسونها لمس اليد في العلوم المكتشفة حديثاً ، والتي سوف تكتشف ، ذلك لأننا نجد أن الله جلّت

١ . والإنسان إذا غضب وحقد تجد دونه الوحوش الكاسرة يبطش ويفتك ويكذب ويخترع ألواناً من الذم يعجز عن اختراع مثلاً الشيطان فلم لا تكون هذه القصة من مصادر حقد الإنسان لأخيه الإنسان ، وإلا فالتمر إذا نصب إلهاً معبوداً فسد من نفسه وأكلته الحشرات كما هو معروف .

قدرته ، ذكرها بروح الأسلوب العلمي اليقيني الخالد ، الذي يستحيل أن يخالطه أدنى ريب ، يكفي أن نقول هو أسلوب اعجاز القرآن العلمي اليقيني ، المدخر لعصر كشف حقائق العلم اليقيني .

كما يدل على أن هذا العصر ، يتفاهم فيه كشف ظاهر المعرفة المادية ، وكشفها يفضي إلى الغرور العلمي ، الذي يتفشى بسببه الاتحاد الأرعن الطائش .

أجل في هذا العصر كثرة الذين كفروا بعوالم الأرواح العاقلة . ونفذوا منها إلى الكفر بوقوع البعث ، وقد تسرب هذا الكفر المتفاهم من أشطار المثقفين إلى العامة .. وكثرة أعدادهم تكشف لنا الحكمة ، في كثرة آيات الوحي المشتملة على البراهين العلمية اليقينية ...

من أجل ذلك لا تجد سورة مذكورة فيها عوالم الطاقات العاقلة والبعث ، إلا وفيها البراهين العلمية اليقينية ، وعرضها كافة هنا غير ممكن ، إذ يستوعب مجلداً ضخماً ...

وإذا أذن لي ربي وأعاني أخرجته للناس تحت عنوان « دلائل البعث في العلم والوحي اليقينيين » .

ولاني في هذا المؤلف أكتفي بذكر الآيات التي وردت في سورة ياسين ، مع ذكر قليل جداً من الآيات التي وردت في هذا الشأن - وقد أرجأت ذكر ذلك في جملة معجزات سورة ياسين في القسم الخامس .

الأمر الثالث : رفع الإنسانية إلى السلوك السامي بإيمانها بالبعث

إن كثرة النصوص الواردة في خاتم الوحي الإلهي ، عن عوالم الطاقات العاقلة ، وعن عالمي النعيم والعذاب ، ترفع الإنسان عن الاسفاف ،

وتنقذه من مبادل السلوك المنحط . وتمنحه الضمير الحي المسؤول الذي يجعله يتذوق طعم الإنسانية العالية ، ومحبة الله ورساله وكتبه في جملة أشياء .

أ - في يقظة المجموعة النفسية الإنسانية الدالة إلى اعتناق الخير والهداية التي أوحاها الله عز وجل ، وأي خير ونفع وسعادة للإنسانية أكبر من ذلك .

ب - في توطيد الإيمان العلمي الصادق . من أجل نيل سعادة الدنيا والآخرة ، ومن أجل النهوض بالإنسانية إلى بلوغ حقائق العلم الكاشفة .

ج - تُشعل عزائم الأجداد الخالدة النافعة بارادات البطولة المعجمة الصاعدة بكل أفراد الأمة ، الى طهر الملائكة الكرام ، لتكون خير أمة أخرجت للناس بحق .

د - تهذيب إنسانية الإنسان الحر ، بصفاء اليقين ، باستقامة السلوك ، بصيانة الأعراض عن الدنس والانتهاك ، بوقد الفكر ، بغزارة العلم ...

وهذه جملة الفوائد التي يلمسها المتأملون ، في كثرة النصوص الواردة في شئون العالم الثاني .

أنواع الأسئلة التي ترد حول الآخرة

الأسئلة التي ترد حول عوالم الآخرة من فئات ثلاث :

١ - فئة تسأل لكشف المعرفة اليقينية المتعلقة بمسائل العالم الثاني ، وليس لها من غرض في النفي أو الإثبات ، إلا ما يثبت العلم أو ينفيه .

فما أثبتته العلم من مسائل الآخرة أخذت به . وقبلته . وما نفاه العلم تركته وأعرضت عنه .

وهي مؤمنة على بصيرة وعلم ويقين ، وهي خير فئات السائلين . عن عوالم الآخرة .

٢ - وفئة تسأل بتعنت وتعجيز وسخرية ، وهي ملحدة خبيثة الطوية ، تقصد بأسئلتها التشكيك والتعجيز والتشويش ، ولا تقصد الوصول الى كشف واقع المعرفة .

ومن أجل ذلك لا يرجي منها الإيمان ، بعوالم الآخرة ، لأنها غير مؤمنة بالله الخالق العظيم ، ومن لا يؤمن بالله الخالق العظيم ، فكيف يرجي منه أن يؤمن بعوالم الآخرة !!؟ ولو تنادت بذلك كل براهين العلم اليقيني ، وهي شر الفئات الثلاث التي تسأل عن عوالم الآخرة ..

٣ - وفئة تسأل عن جهل وسذاجة ، وهي عامية مؤمنة ، وهي كظماء الصحراء المحرقة ، تعباً ما يقدم لها من ماء باندفاع ولهفة أياً كان الماء المقدم المعبوب ، وهي فئة المسلمين الراضين بكل ما يذكر لهم من الدلائل ، وإن كانت ملفقة منهاقة .. وهذه أوهى الفئات السائلة عن عوالم الآخرة .

ومن هنا تجد لكل فئة من الفئات الثلاث لوناً خاصاً من الأسئلة . وإليك أمثلة من أسئلة الفئات الثلاث :

١ - فن أمثلة الطائفة الأولى التي تسأل للوصول إلى كشف واقع العلم اليقيني فقط وموضوع السؤال هو :

أن المشاهد أن جسد الإنسان ينبوعاً من القاذورات ، أنى واجهته .

« فن عينيه يخرج الغمص ، ومن فمه يخرج البصاق والبلغم والقيء .. واللعب ، ومن أنفه المخاط ، ومن أذنيه وأبطيه وعانته يخرج ما يستقذر

ويفوح بالصنان ؛ ومن سائر مسام جسده العرق البغيض الكريه ، ومن السبيلين تخرج عفونة البراز القاتلة وروائح البول الفادحة » .

هذا هو الموضوع ، والسؤال عنه هو :

س - كيف يكون هذا الجسد الذي هو ينبوع كل هذه القاذورات في عالم النعيم ، الذي لا ينبغي أن توجد فيه قاذورات ، ولن توجد...

ج - والجواب ظاهر في يقين العلم وفي يقين الوحي .

١ - يقين العلم في مشاهدته وتجربته لمس يقيناً ، أن الانتقال من عالم إلى عالم ، يخالف في سنته ومقضياتها العالم الذي انتقل منه ، فما بالك بعوالم الآخرة ، المترامية وراء عوالم السموات ، بالنسبة لعوالم الدنيا ، والحق أن تكون تلك العوالم وأهلها هي على حال تناسبها حتماً من الطهارة والصفاء .

٢ - ويقين الوحي منصوص عليه في قوله تعالى :

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٢ - ١٧)

وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي ، الذي رواه مسلم : أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

هذا بالنسبة للمكان الذي ينتقلون اليه ، واما بالنسبة لتكوينهم الخاص ، فإنه سيكون على حالٍ توائم حياتهم الأبدية فيه ، وفي ذلك يقول الله عز وجل :

عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ .
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (آية ٦١-٦٢)

٢ - ومن أمثله أسئلة الطائفة الثانية ، التي تسأل للسخرية والتعجيز
واذاعة الاحاد ، وليس لها من غرض إلا طمس معالم المعرفة اليقينية !!
هذا السؤال :

س : أين العلم الذي يثبت لنا بالتجربة والملاحظة - أن أجسادنا
يوجد فيها طاقات روحية عاقلة تبقى بعد الموت ليوم البعث والنشور .
وإذا شرعت تجيب من الوجهة العلمية اليقينية الملاحظة تشمئز نفوسهم ،
ويتنكرون للجواب ، ويلغون فيه ، لأنهم ليسوا رواد علم وطلاب حق ،
بل هم رواد فتنة ، وتدعيم للباطل !!..
ووحى الله حذرنا منهم لنحث طويتهم في قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٤١ - ٢٦)

والجواب العلمي اليقيني الم شاهد ، لهذا السؤال مر مفصلاً في أبواب
عدة ، وإذا كانت العودة اليها تعسر عليك فسأجمل الجواب هنا ...
وأقول الحق إن الذي يسأل هذا السؤال هو ممن يتصورون أن سير
عمل طاقة الحياة الروحية - الروح - في تكوين الجسد الانساني عضواً
عضواً من البداية إلى النهاية ، خلل من العلم .
وعلى ذلك فيكون عمل تكوين الجسد الانساني يتم بالجهل حسب
تخريصهم .

واسناد عمل العلم إلى تخريص الجهل هو سخرية القدر بالمسندين ،
ومثلهم في ذلك كمثل من يسند صنع التلفزيون إلى صانع أباريق الفخار ،
أو صنع الانسان الالكتروني إلى لا شيء ، وقد يسترون بالصدفة فراراً
من السخرية ، ونسوا أن نسبة حقائق العلوم اليقينية الماثلة في تكوين

الكائنات إلى الصدفة ، هو نسبتها إلى عين الجهل ، ألا يرون لو نسب
أحدنا صنع الانسان الالكتروني الى الصدفة الا يدل ذلك على جهله ،
لأن الصدفة ، لن تكون إلا رميسة من غير رام ، وهي لا تتكرر ،
لأجل صنع شيءٍ ما ، فان تكررت كانت سنة من سنن التكوين ،
والسنة تقوم على العلم الدقيق ، كسير الشمس في الفلك ، ومن أجل
ذلك ، نراها تتكرر بصورة دائمة ، من أجل تكوين الكائن واتمامه
واستمرار بقائه . ومن أجل قيامه بوظائفه .

وهذا هو الفارق بين عمل الصدفة وعمل السنة .

إذن فالسنة طاقة مخططة بعلم لغاية يتم بمقتضاها تكوين الكائنات ،
وهذا شأن سنة تكوين الروح للجسد الإنساني .

والسنن لا تفنى ولا تبدل أعمالها ولا تحول ، لأن الله الخالق العظيم
الذي ابتدعها هو الذي يهيمن عليها، ويتصرف فيها بعلمه وقدرته وإرادته.

لذلك تجدها تعمل باستمرار بقدرته تعالى دون تخلف :

سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا .

(١٧ - ٧٧)

وقوام السنن العلم اليقيني ، والعلم اليقيني خالداً لا يفنى ، والأرواح
في الأصل كانت خارجة عن الأجساد المادية ، لأن الأرض كانت ميتة
فحلت الحياة في الأجساد ، وبعد فناء الجسد تعود الأرواح الى مستقرها
حتى يأتي يوم البعث الموعود .

... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ... (٢١ - ١٠٤)

والذين يجهلون حقائق العلم ، وينفون بقاء الأرواح بعد الأجساد ، هم يقصدون من وراء ذلك نفى البعث الموعود .

والخلاصة أن هذا السؤال ، وأمثاله لا يقصد منه الإهتداء إلى واقع العلم اليقيني ، بل يقصد منه إذاعة الإلحاد وتشويش الفكر ، واغلاق القلب عن نور الإيمان ..

٣ - ومن أمثلة الطائفة الثالثة الساذجة المؤمنة تقليدًا ، التي لا تعلم شيئاً وتود أن تعلم كل شيء ، ولو من طريق الأساطير التي تدس على الأديان عادة وتحشر فيها حشراً بأصابع دساسة آثمة لعينة هو قولهم :
إنا نسمع القراء دائماً يتلون قول الله عز وجل :

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (٣ - ١٣٣)

فإذا كانت الجنة عرضها عرض السموات والأرض ، فأين يكون طولها ؟!!.

وتحس حين يطرحون عليك هذا السؤال ، أنهم مشفقون على نص الآية حيث لم يفهموه الفهم الواقعي .

ومثار اشفاقهم هو أنهم يحسبون الوجود هو هذه السموات أي النجوم المتناثرة التي تملأ الفضاء المواجه لهم ، وهم يشاهدونها ، تحبس أنفاسه بازدهامها ، وما دامت هي عرض الجنة ، فأين يكون طولها ؟

أجل هم يرون الفضاء محتشداً بالعوالم التي تحبس أنفاسه حتى لم يبق للجنة مكان بينها فضلاً عن عرضها الذي يماثلها في السعة ، ومن أجل ذلك يتساءلون أين يكون طولها .

وهذا الفريق إذا قلت له إن الله أعلم بالمكان الذي فيه طولها ،
لاقتنعوا وسكتوا ، لأنهم مؤمنون بكل ما يقال لهم عن الله ، إن صدقاً ،
وإن كذباً ..

وبما أنني في هذا المؤلف لا أذكر من مسائل وحي الله إلا اليقيني .
القطعي ، وكذلك من مسائل العلم ، قلت للسائلين :

« يا إخوتي إن هذا الفضاء الذي تشاهدونه أزرق اللون . لا يُحصي
عوالمه المتناثرة فيه ، ولا يعلم بها ولا يستقصي حدودها إلا الله الذي
أوجدها ، وعين لها أماكنها فيه ، وما ترونه أنتم بأعينكم المجردة ،
وما يراه العلماء بمراصدهم ، ومحطاتهم الفضائية ، من الكواكب والنجوم
والمجرات ، التي تعد ببلابين البلايين فإنه لا تزيد بالنسبة لعوالم الله الخالق
العظيم في هذا الفضاء ذي الأهوال في انفساحات أبعاده وما وراءها ،
ووراء ورائها ، لا تزيد عن جملة من السميكات الصغيرة الملونة التي تملأ
إناء زجاجياً قذفت به في البحر بلايين الحيتان أشباه الأعلام .

قل وهذا شأن السموات والأرض ، وما بينهما من عوالم الكواكب
والمجرات بالنسبة لعوالم الآخرة ، واللجنة من ضمنها .

والحق أنه لا يعلم بحدود سعة ملك الله إلا الله جل وعز ، أما ما
يذكره العلماء وإن كان أهوالاً من السعة ، إن هو إلا تخمين من العلم
وتقريب من الوحي :

تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ سَنَةٍ (٧٠ - ٤)

وإذا كان يوم الأرض التي يكون منها البعث بمثل هذا الامتداد الهائل ،
فكيف تكون أبعاد عوالمه .

وهنا لا يسعنا إلا أن نخشع ونقول :

« سبحانك يا مكنون الأكوان ، لا يحصيها أحد سواك ، فأنت وحدك علام الغيوب » .

وإني هنا طرحتُ الأسئلة السخيفة الرعناء التي لا تدل على علم ولا على ذكاء ، ولا على خلق ، ولا على احترام لمقام عظمة هذه العوالم وجلال مبدعها جل وعز .

الحقائق الثلاث

التي بها تكشف حقائق العلم اليقيني

تمهيد

لا بد للدارس المتعمق المحرر أن يستوعب حقائق « مسائل ثلاث » .
كل مسألة تخالف في صميم التكوين ... المسألة الأخرى .

« الأولى » : مسألة مباينة سنن الأكوان بعضها عن بعض ...
« الثانية » : مسألة مباينة سنن عواملنا هذه الفانية ، لسنن عوالم
الآخرة الخالدة ...

« الثالثة » : مسألة مباينة سنن كل العوالم المترامية في شتى أبعاد
الفضاء ، في كل صفاتها وأوضاعها عن صفات خالقها
جل وعز ..

ولا ريب أن تحققك من كل مسألة من هذه المسائل الثلاث، ودرسك
لها ، وتمحيصك إياها يزيح عن معارفك بلابا الفروض والظنون والأوهام
والأساطير ، وأشباه ذلك .

ويزيح عن مجموعتك النفسية ، وعن كل ما تقرأه وتكتبه ، التباس

مدلولات الألفاظ ، وبواعث متناقضاتها في حقائق الوحي الإلهي ، وفي مؤلفات العقائد والفلسفة والآداب ، في القديم والحديث .

ولا ريب أن الأفراد والجماعات ، إذا استوعبوا مدلولات هذه المسائل الثلاث ، وكشفوها كشفاً علمياً خالصاً ، فانهم حتماً يحسمون كل خلافاً للأجيال المتخلفة ، التي تفاقمت على تداول الحقب ، وتحجرت في عقائدهم ، في تقاليدهم ، في معارفهم ، في آدابهم ، في عنصرياتهم ، في كل مرافق حياتهم .

أجل هم يحسمون بها ، كل خلافاً للأجيال ، لدى شتى الأمم ، بصراحة ، بصرامة ، بعلم ، بحق .

وتجعل ما يقدمه المعارضون ، عن توجيهات هذه المسائل الثلاث الصاعدة ، من مؤلفات قلقلة ، ومحاضرات متهافئة ، ودعايات متباينة ، في مكانة السخرية والانزمام الفكري ، والوهن العلمي ، والانحطاط الخلقي .. بل تجعل المعارضين أنفسهم ، أعداء لأنفسهم ، ولأمتهم ، وللإنسانية .

وأحسبك الآن تغمرك حماسة المعرفة ، وتقول وأنت مرهف سمعك .. حدثني حدثني ، عن المسائل الثلاث ، التي هذا شأنها ، واصارحك أنني أودُّ قبل أن أُنحدث عنها ، وأفضلها لك تفصيلاً ضافياً ، أن تعلم ، أنها أجدى وأنفع من فصل العلوم عن الفلسفة ، وانت تعلم ما أفادته الإنسانية ، من صعودٍ علميٍّ ، وحضاريٍّ محرر ، حين فصلت العلوم عن ظنون الفلسفة وفروضها ، والحق أنه من يتدبر حقائق هذه المسائل الثلاث ، ويطبقها في ما يكتب أو يقرأ .. يجدّها صاروخية في تصفية علوم المادة ، وعلوم الطاقة ، عن كل ما علقَ بها ويعلق : من خلط تصورات وحدة نواميس الأكوان ، ومن تحليلات مباينات نظريات

التكوين ، ومن إغراب شطحات التأويلات في نصوص الكتب السماوية
المقلسة ، والعبث فيها بالزيادة والنقصان .

أجل يجدها مفصلة ناطقة في المباينات الثلاث الآتية :

الأولى : مباينة سنن الأكوان بعضها عن بعض

ومن لم يعقل مباينة السنن التكوينية ، ما بين عالم وعالم ، ومن لم
يعلم أن تكوين كل عالم بالذات، له مميزاته وخصائصه . عن العالم الآخر،
فإنه حتماً يتصور أن العوالم كلها تحكمها ، وتهيمن عليها وتتصرف فيها
وتسيرها السنن المفروضة على الكرة الأرضية .

ومن أجل ذلك ، كانت ملكات معارفه ، ومؤلفات أقلامه ، مبنية
على اعتقاد ، أن سنن أرضنا وكائناتنا ، هي التي تهيمن على كل عالم
من العوالم المترامية في أبعاد الفضاء ، سواء ما عُلم منها أو لم يعلم ، ولم
يدر في أفكاره أن سنن الزمان والمكان ، والحرارة والبرودة ، والضوء
والظلام ، ووجود الأحياء وعدم وجودهم ، وأشكالهم وأنواعهم إن
وجدوا ، وما كان ويكون من شتى أنواع التكوين ، الذي لما ينته
حصره في علم الإنسان ، فإن كل ذلك يختلف ويتباين في العوالم وسننها ،
وكذلك يختلف في يقين العلم وأحكامه .

إذن فكل الكتابات والمؤلفات المبنية على تصور وحدة السنن منقوضة،
وتفتقر الى نظر جديد ، وكتابة حديثة .

الثانية : مباينة عوالم الدنيا لعوالم الآخرة

يا لله ، كم جرّ عليهم عدم انتباههم إلى المباينة الحاصلة بين سنن

عوامل الدنيا ونجومها وسماواتها ، وبين سنن عوالم الآخرة ، من أخطاء في أحكامهم ، ومن أرزاء في تأويلاتهم ، ومن انحراف في فلسفاتهم ، ومن قلة أدب في كتاباتهم .

خذ مثلاً ما كتبه علماء الأديان وسواهم ، عن عوالم الآخرة ، وأنعم نظرك في دلائلها ، فانك تجدهم يفرضون سنن عالمهم هذا عليها ، فإذا تحدثوا عن رؤية الله الخالق العظيم ، في عالم النعيم ، تجدهم يخوضون خوفاً ، في وحول القال والقال والقليل ، إلى أذقائهم ، حتى لا يكادوا ينتفسون ، إلا بضيق وعسر ...

فتراهم كأنهم يتحدثون عن رؤيتنا لشخص مثلنا ، خاضع لسنن الزمان والمكان ، المفروضة في أرضنا ، ومن سوء هذا الفهم ، أنكر المعتزلة رؤية الله يوم القيامة ، وأولوا نصوص الوحي التي تثبت الرؤية ، كقوله تعالى :

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٧٥ — ٢٢ و ٢٣)

فقالوا ناظرة الى نعيم ربها، كأن المسألة متعلقة بسوء فهمهم، إن شاءوا نفروا ما أثبتته الله ، وإن شاءوا أثبتوا ما نفاه الله .. بل كأنهم لا يعلمون ، أن الكلام كلام الله ، وأن ما يذكره لهم من أوصاف عوالم الآخرة ، يذكره بما يتفاهمون به ويعلمونه ، وإن كان فوق ما يعلمونه ، فلا يلتفتون إلى هذه الحقيقة ، بل يأخذون الأمر ، كأن أوضاع عوالم الآخرة وسننها وتكويناتها ووسائل العيش فيها ، هو مثل ما في أرضنا هذه ، ومن وهمهم هذا المتحكم في تفكيرهم وعلمهم ، تجدهم يخوضون في نظريات وتأويلات وتناقضات حول ما أنزل الله من وحي ، ما كانوا ليخوضوا فيه .

١ — لو أنهم انتبهوا إلى الفوارق التكوينية الأصلية التي تقدم ذكرها.

٢ - أو لو أنهم وعوا ما قاله علماء السلف : الألفاظ معلومة ،
وكيفيات مدلولاتها مجهولة ، ولما تكتشف بعد ، والله أعلم بمراده . لأن
تعيين حقائق المراد ، الآن غير ممكن ، ونحن نعيش في عوالم سوى تلك
العوالم بالذات .

ومثل هذا الخلط الذي تقرأه ، في مؤلفات أهل الملل والنحل . فإنك
تقرأه في مؤلفات المتفلسفين وبحوثهم ، حول بداية تكوين العوالم ، ونهايتها
ووظائفها ومواطنها ، وخلافاتهم في كل ذلك حول إيمانهم وكفرهم ،
وكلماتهم في كل ذلك هواء في هواء ، لا لزوم لها ، ولا حاجة إليها .

وكم تمنيت أن يقتصرُوا على براهين العلم اليقيني ، والوحي اليقيني ،
ولو أنهم اقتصرُوا على ذلك لما اختلفُوا أبداً في شيء ما ، ولما وجد
بين الناس ، من يشرك بالله واليوم الآخر ، أو يفكر في ذلك . لأن
كل اختلاف لا يكون مصدره إلا جهل الإنسان وظنونه بكتاب الوحي
اليقيني وبكتاب الكون اليقيني :

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا
فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ٤ - آية ٨٢

الثالثة : مباينة العوالم وذواتها وصفاتها لذات الله وصفاته

إن هذه المباينة ، هي قمة المباينات ، وأكثرها شعباً ، وأوسعها
اختلافاً ، وأوفرها مؤلفات ، مما هبّ ودبّ ، وكم سهد لها الساهدون ،
وكم فكر فيها المفكرون ، وكم حاضر لها المحاضرون ، من أهل الأديان
السماوية والوضعية ، وأهل الشرائع والديساتير ، وأهل النحل والفلسفات .
وانك لو ذهبت الى المكتاب العامة ، في كل عواصم الأمم ، وطفقت

تحصي المجلدات الضخام المخصصة لهذا الموضوع ، بشئى اللغات، لوجدتها حقاً وفيرة تعد بالملايين .

تلك المسألة المشتملة على تفصيل حقيقة الحقائق أي ، على سر وجود الخالق العظيم جل وعز : المبدع لكل شيء ، والمهيمن على كل شيء ، والمتصرف في كل شيء ، الأزلي الأبدي ، الذي بيده ملك كل شيء ، وملكوته واليه المرجع والمآب .

وأنت إذا أوتيت عُمرَ نوح ، وصبر أيوب ، وحكمة لقمان ، وأخذت تطوف على هاتيك المجلدات المتكدسة كالجبال ، في شتى مكتبات الأمم : دارساً ناقداً ، منعماً نظرك ، واعياً مقارناً ، فانك تجد نفسك غائصاً في بحران من الاضطراب والقلق والتباين المحيط الشاسع ، ما بين مؤلف من أهل ملة أو نخلة أو الحاد ، كأنك بين يدي مليون ومليون ومليون موضوع ، لا بين يدي موضوع واحد ، وهو حقيقة الايمان بالله واليوم الآخر وحقيقة بدء خلق الكائنات .

وإذا أنت أخذت تتقصى الأسباب والبواعث ، التي أدت بعلماء الأمم ، ومؤلفيهم ، إلى كل هذا الخلف المخيف ، والتباين الهائل ، حول موضوع واحد ، هو أسطع من الشمس في كبد السماء ، فلن تجد سوى سبب واحد لا ندَّ له .

ذلك السبب هو عدم حصر الفكر والعلم ، قبل مباشرة الكتابة في التباين بين صفات كل الكائنات ، وبين صفات الله المكون لها جل جلاله ذلك لأن الحصر هو وصفات المعرفة ، فإذا لم يحصر الفكر والعلم في ذلك ، ظلت الفوضى والاضطراب وشئى الاختلافات، في مكانها الموجه لكل المؤلفين والكاتبين ، إلى ما شاء الله .

ولاني أريد أن أقدم قصة مثل حي ناطق بحقيقة هذا التباين ، ليلمس ويحس بواقع العلم والعقل اليقيني .

قصة المثل الحي

هب أن الله أمدك بألوان من الطاقات الخارقة ، تستطيع بها أن تطوف بين الأكوان المترامية في أبعاد الفضاء السحيقة ، التي لم تكتشف بعد ، وأقدرك أن تعيش فيها ما شئت أن تعيش ، لتدرس وتدقق وتحضي وتكتب ..

وهب أنك وجدت بين هاتيك الأكوان : كوناً عامراً بصنف من المخلوقات المادية ، على وجه من الشبه بالإنسان ، ويدب على سطحه قريباً من ديبب الإنسان على سطح الأرض ، ويتفاهمون بالهام الأرواح ، وبأصوات ناعمة شتى ، كأصوات آلات الموسيقى .

ووجود من يدبون في عالم غير عالمنا الأرضي ، ليس غريباً عن العلم والوحي معاً ، فالصحون الطائرة التي ترى من حين لحين إن لم يكن مصدرها من الأرض فلا بد أن يكون مصدرها من عالم آخر . ووحي الله ينص على وجود من يدبون في عالم غير عالم الأرض ، أي في بعض عوالم السموات . استظهر هذه الآية الكريمة الدالة على ذلك :

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ ،
وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٤٢ — ٢٩)

واستظهر قوله تعالى أيضاً :

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤٥ — ٣ و ٤)

تدبر لفظة فيها ، ولفظة جمعهم ، ولفظة دابة ، تفهم سر الإعجاز في وحي الله تعالى .

وهب أن الله ألهمك ، أسلوب التفاهم . الذي فطر الله عليه أولئك الذين نزلت بينهم ، وألهمك عبقرية إبداع البيان الجذاب ، وسحره المهيمن دون أن تفتقر إلى سهد التفوق ، وجهد التحصيل ، في كل ما تأخذ أو تدع .

بل وهبك الأحسن الفائق في كل ما يتنافسون فيه ويتفاخرون ، حتى أصبحت بينهم منار علم وأدب وعلم نبل وخلق مثل : مكانك بين أهل عالمك .

وبما أنك أصبحت تجمع بين أسلوبين متباينين من التفاهم المتفوق : أسلوب العالم الذي انتقلت إليه ، وأسلوب العالم الذي كنت فيه .. فأنت مضطر أن تصف لهم عالمك الذي كنت فيه بأسلوب تفاهمهم . تصف لهم مكان الكرة الأرضية ، من بين عوالم الفضاء ، وأبعادها عنها ، ثم تصف لهم بُعد عالمهم بالذات عنها ، وتصف لهم تكوينها الجغرافي ، وتكوين الأحياء الحيوانية والنباتية فيها ، ووفرة أنواعها ، وألوان حياتها ، وطريقة استمرارها في سلالتها ، واختلاف مواطنها ، وامتياز حياة الانسان فيها .

وتُسهب في أوصاف جبالها ، وسهولها ، وأوديتها ، وأنهارها ، وحدائقها ، وثمارها ، وفواكهها ، وهوائها ، وبحارها ، وكائنات بحارها ، وعناصر هوائها ، وأثرها في حياة حيوانها ونباتها ومعادتها ، ومصير كل ذلك في حياة سكان أهل الأرض ..

أجل تصف لهم كل ذلك بنفس أسلوبهم ، وطريقة تفاهمهم ، فتأخذ أسماء الكائنات لديهم القريبة الشبه ، في ضروراتها ووسائلها وغاياتها ، من كائنات أرضنا ...

مثلاً إذا رأيت من كائناتهم ، ما يشبه الماء في ضرورته للحياة ، واسمه لديهم مثلاً : « السَّوَاغ » فأنت إذا استعملت لفظة سواغ لديهم

باسم الماء تكون مُصيّاً وجه الشبه من بعض نواحيه ، لأن معظم وضع الكلمات واشتقاقها في اللغات ، أو نقلها ، يلاحظ فيه هذا الوجه من الشبه .

اذن فأنت تسمي لهم (سواغاً) الماء الذي تعرف في عالمك ، وإذا احببت أن تصف السواغ ، قلت : وشاهدت الماء لديهم يجري ، ما بين جبل وجبل ، كأنه الجسر الممدود ، دون أن يكون له حواجز تمسكه من السيلان ، وقل مثل ذلك في كل الألفاظ التي تستعملها .

إذا عرفت الغاية الهادية من هذه القصة ، فانك تستطيع أن تدرك مدلولات الألفاظ ، التي يعبر الله بها لنا ، عن نعم عالم النعيم ، بل يمكنك أن تدرك الفارق الكبير الهائل ، ما بين مدلولات الألفاظ . وحقائق عالم النعيم ، من اطلاق لفظة جنة عليه . والجنة هي البستان . وكم من مليار مليار من المعاني الرائعة الساحرة . التي لا مثل لجمالها وفنتها وحسنها في جنة الآخرة ، ومع ذلك أطلق الله عليها اسم جنة ، لأننا نعيش في عالم ، يفهم أن الجنة محل التنعم ، وفيها أسبابه . وقس على ذلك كل الاطلاقات .

ومن هذه القصة ، تفهم أخطاء المؤلفين والكاتبين ، من أرباب النحل ، والمذاهب والفلسفات ، التي تتناول الصفات ، التي تليق بجلال الله وعظمته ، والصفات التي لا تليق بجلاله وعظمته ، وتتناول بدء خلق العوالم واستمرارها ونهايتها ، وعوالم الخلود التي تبقى .

تتناوله بألفاظنا المقيدة بنواميس أرضنا ودلائلها المحدودة بمحدودها ، دون نظر الى الخلاف الشاسع ، ما بين صفات العوالم كافة ، وبين صفات الله جل وعز .

ولولا استمسакهم بدلائل الألفاظ ، المحدودة في ما لا يحُد ولا يحاط

به علماء ، واعتبارهم لها ، واعتمادهم عليها ، في كل ما يؤمنون ويكتبون ،
لما اختلفوا كل هذا الاختلاف الشاسع ، ولما وقعوا في كل هذا التفاوت
الواسع ، حول وجود الله وصفاته ، وتحديد حدود الأكوان وصفاتها ،
وحول بدء خلق العوالم بقصص وثنية سخيفة مضحكة .

والآن قبل أن أنهى البحث في هذه المسائل ، أرجو من الله عز وجل
أن يلهم مؤلفي الأمم ، في الإيمان بالله والملائكة وعوالم الأرواح ، وما هو
في غيوب الكون أن لا يتسرعوا في إصدار الأحكام ، خشية أن يتقدم
العلم ، فتصبح أحكامهم سخرية الساخرين ، ومهزلة الهازلين ، ويصبحوا
هم وما ألفوا وسهروا من أجله وجهدوا له في محل الإشفاق عليهم
والنقد ، والله ولي الأمر ، واليه المرجع والمآب .

تحريم الايمان بدون برهان

الايمان بدون برهان يحاربه وحي الله اليقيني ، وبلاؤه فوق كل بلاء .
وكم من أمم تبددت ، وكم من جماعات تفرقت ، وكم من أفراد
تحاقت ، بسبب الاعتماد على الظنون والأوهام ، وإهمال البراهين العلمية
اليقينية ، ومن جراء ذلك ، تشعبت بينهم النحلُ والملل والمذاهب
والفرق ، وتفاقت في مؤلفاتهم وخطبهم ومحاضراتهم التأويلات الفاسدة ،
وخبائث الزيادة والنقصان ، ولعنات الدسائس التي دُست على السنة
مؤسسيها الأول وأتباعهم الأبرار الصادقين ، ابتغاء الفتنة والتمزيق والهدم ..
ولولا محاربة وحي الله اليقيني للظنون والأوهام ، ولولا فرض البرهان
العلمي اليقيني على كل دعوة تقدم للجماهير ، لنجح المتنثنون المقترنون ،
والمنحرفون المجرمون ، والدعاة الأسطوريون .

ومهما يكن فالإيمان بغير برهان علمي يقيني ينطق بصدقه ، فإنه يكون
جريمة منكراً ، وفساداً كبيراً بين الناس .

لذلك نجد خاتم وحي الله اليقيني ، يحمل حملات عنيفة ، على الأغبياء
المسخرين الذين يصدقون كل ما يسمعون ، فتراهم يطمثون إلى كل
ما يلقي اليهم من عقائد ومذاهب ، كأنهم القرب التي تقبل أنفاس كل

نافخ ، وتراهم يؤمنون بالأساطير التي تُدس اليهم ، حول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والأرواح والجن والشاطين ، في لفائف من ترهاتٍ خاسرةٍ بلهاء .

والآن عرفت أن الله ما فرض إقامة البرهان العلمي اليقيني المشاهد ، إلا لكي تبني حضارة الإسلام ، على عين الواقع اليقيني المشاهد ، وعلى الذكاء والحذر والبعد عن مثل هذه المواقف المتحاجزة ، إلا ليكون الصعود العلمي قائماً على منطق البرهان اليقيني ، وإلا ليكون التفاهم الانساني مشيداً على احقاق الحق وابطال الباطل ، وجلب كل سعادة وخير للناس جميعاً ، ودفع كل شقاء وشر عن الناس جميعاً .

وحتى لا ترى بين أمتين مسن أم البشر قتالاً ، وحتى لا ترى بين فئتين من أمة واحدة تحاقداً وتربصاً ، وحتى لا ترى بين شخصين من فئة واحدة خصومة .

والآن اسمع نصوص وحي الله اليقيني ، التي وردت في طلب البرهان اليقيني .

وما هي نصوص انسان مثلك ، حتى لا تبالي بها وتظل مسخراً بالظنون والأوهام والدسائس في عقائدك ، بل هي نصوص وحي رب العالمين ، فاحذر المخالفة ، فانها تُردي وتشقي .

ألا ترى أن الله عز وجل ، يفهمنا أن طلب البرهان في اثبات حقائق الأشياء ضروري ، في القديم وفي الحديث :

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فِيمُ مُعْرِضُونَ (٢١ - ٢٤)

.... أَلِلّٰهُ مَعَ اللّٰهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٧—٦٤)
وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ
الْحَقَّ لِلّٰهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨ — ٧٥)

العلم والبرهان أساسان لكل دعوة صادقة

قد رأينا أن الله عز وجل ، أمرنا في صميم وحيه ، بأمرين أساسيين ،
لتصديق كل دعوة ، وقبولها :

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ
بِهِ إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٦—٥٧)
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٢٩ — ٦٨)

يجب أن تكون الدعوة علمية ، وأن تكون مؤيدة بيقين براهين العلم ،
وبراهين يقين العلم هو السلطان البين ، فإذا خلت الدعوة من السلطان
فهي باطلة .

هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ
بَيِّنٍ ، فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٨ — ١٥)

وحينئذ تكون الدعوة قائمة على الظن والهوى والكذب . ومع كل

ذلك فأكثر البشر لا يؤمنون إلا بالظنون والأهواء والكذب :

وَأِنْ تَطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦ - ١١٦)
... وَإِنْ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (٦ - ١١٩)

وواضح أن وحي الله القرآن المجيد هو نفسه برهان علمي قائم بذاته :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً
مُبِيناً (٤ - ١٧٤)

وواضح أن الدعوة إليه جل وعز ، قائمة على العلم ، ولا ظلم أكبر
من دعوة الجاهل الباطلة التي تُنسبُ إلى الله افتراء لإضلال البشر .

... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٦ - ١٤٤)
... قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (٦ - ١٤٨)

والآن فهمنا أن الله جل وعز ، شيد حقائق وحيه على أمور عظيمة :
على حرية العلم وعلى حرية الفكر ، وعلى القوة والذكاء ، ولم يشيده
على الجبر والتقاليد والضعف والغباء ..

لذلك تجد القرآن الكريم ، محتشداً بالبراهين العلمية اليقينية ، المؤيدة صدقه .

فمن تنكر له عن عصبية ، أو عنصرية ، أو جهل به ، أو حقد عليه . أو توهم في الكفر به لمصلحة ، أو السيادة ، أو سوى ذلك من صفات الدنيا ... فحجة قائمة عليه من حقيقي العلم والوحي اليقينيين . ولا أكبر من الحجة التي أودعها الله في يقين وحيه - القرآن المجيد - ولا أصغر من تعطيل حرية الفكر الإرادي الذي وظيفته كشف الحقائق في الأشياء ، ولولا تعطيله بلهو الحياة ومساخرها ، لما كفر أكثر الناس ، واقيمت عليهم الحجة من الله عز وجل :

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٦ - ١٤٩)

والقاعدة أن كل حاجة فيما لا يعلمه المحاجج والمحاجج أولاً يستطيعان أن يديرا الحاجة ، من أجل كشف واقع العلم اليقيني ، فإنها تكون باطلاً في باطل .

فالعلم أولاً والعلم آخرأً قبل المحاجة ، وإلا أصبحت المحاجة ضرباً من المهارات والمحاكة بالظنون والأوهام .

هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ

لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَآللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٣ - ٦٦)

ولما كان القرآن المجيد ، نزل مفصلاً بعلم الله ، كان مؤيداً بالبراهين العلمية اليقينية المثبتة ، أنه كلام الله :

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ (٧ - ٥٢)

وهل من علم أصح وأشمل وأصدق من علم الله بحقائق الأشياء . هذه هي الحقيقة ، وإن جهلها من جهلها من العلماء غير المنصفين ، ولم يشهدوا بها ويعلموها مع علمهم بها :

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ، أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (٤ - ١٦٦)

الإيمان بغير علم وبرهان

الإيمان بغير علم وبرهان ، هو ظن ووهم وخيال ، ومن أجل ذلك ، كان سبب الكفر بالله واليوم الآخر ، هو عدم الاطلاع على وحي الله اليقيني المؤيد بالبراهين الحاسمة ، وعدم الاطلاع على علوم التكوين المكتشفة الثابتة بالدلائل القطعية .

ومن أجل ذلك ، لن ترى عجباً ، في جحود الجاحدين ، وكفر الكافرين ، بالله واليوم الآخر ، وعوالم الطاقات الحية العاقلة ، الأرواح والملائكة والجن ، ما داموا يتخيلون جهلاً ، أن الكائن الحي المدرك في كل العوالم هو الانسان وحده ، وليس من كائن حي مدرك سواه .

وعلى زعمهم هذا يكون خلق الكائنات على عظمتها وجلالها ودقائقها تم بالجهل المطبق ، وظل هذا الجهل المطبق في زعمهم سائداً في كل عوالمها بلايين البلايين من الحقب ، حتى تم تكوين البشر بالجهل المطبق على زعمهم أيضاً . حيثئذ وجد في العوالم من عقل العوالم وعلم بوجودها .

وظل هؤلاء الذين زعموا ذلك يعتقدون أن ليس في الأكوان من

مدركٍ لها وعالم بها سواهم ، ومن أجل ذلك ألّٰهوا أنفسهم وأهواءهم .
وظلّوا يعتقدون أن تكوين الأكوان - حتى الأجنة في بطون أمهاتها -
إنما تم ويتمّ بجهلٍ لا بعلم ، وبصدفةٍ لا بارادة ، وتكوين ذاتي ،
لا بقدره منسقة منظمة وفق منهاج معين .

فعلى هذا يكون ما يسمونه علوماً هو جهلاً منظماً ، وما يسمونه
ارادة مصممة هو نفاذ تكوين أهوج ، وما يسمونه قدرة مبدعة هو
الطبيعة ، هي الحالة المنطبعة عليها تكوين الكائنات ، فيكون على زعمهم
الحالة التي عليها تكوين الكائنات ، هي التي أوجدت الحالة التي عليها
تكوين الكائنات ، كالذي فسّر الماء بالماء .

ولكن لما أنعم الباحثون المنقبون أنظارهم الفاحصة الكاشفة في خلق
الأكوان ومواطنها ووظائفها ، أخذت تظهر لهم العلوم المكونة بمقتضاها
شيئاً فشيئاً ، فعلموا أنها علوم ، وأن وراءها عالماً مريداً قادراً ومهيماً
عليها ومتصرفاً فيها ، فأمنوا به عن علم ومعرفة ..

والخلاصة أن الذين يكفرون بالعلم هم النزر القليل ، الذين ألّٰهوا
أنفسهم وأخذوا يضلّون الناس عن براهين مكون الأكوان المهيمن عليها
والتصرف فيها ، ويرون أن الطبيعة هي كل شيء ، وأن تكوين عوالمها
تم ويتم بالصدفة .

ومن ضل عن برهان مكون الأكوان المهيمن عليها والتصرف فيها
هذا الضلال الكبير ، محال أن يؤمن بعوالم الآخرة التي أعدها سبحانه
وتعالى لتكون جزاء وفاقاً على الإيمان والكفر، وعلى الاستقامة والاعوجاج،
وعلى الخير والشر .

أجل لو علموا ذلك أو بعض ذلك ، لما كفروا بعوالم الآخرة هذا
الكفر الصريح ، وأنكروا البعث اليها كل الانكار .

حتى إذا سمعوا المؤمنين يتأولن نصوص الوحي الیقینی ، الناطقة بحقائق
عولم الآخرة والانتقال إليها ، سخرول سخریة المجانین ، وهزلول
هزل الحشاشین .

ونحن لا نأسف إذا رأیناهم على مثل هذه البشاعة من قلة الأدب ،
لأن الجهل والسطحية تفعل ذلك ، وأكثر من ذلك .

النصوص الدالة أن القرآن الكريم

مشمتمل على تأويل مدخر للمستقبل

يؤكد العلم اليقيني المشاهد ، أن القرآن الكريم ، روح من الله عز وجل ، دال على شمول علم الله ، وتخصيص إرادته ، ونفاذ قدرته . ويؤكد أيضاً ، أن الأكوان كلها مبدعة وفق علم الله ، وتخصيص إرادته ، ونفاذ قدرته .

لذلك نجد أن كل ما في القرآن المجيد ، من آيات التكوين ، هو عين ما اقيمت عليه الأكوان ، من دقائق الصنع ، وكمال الاتساق ، وروعة الابداع ، ووضوح الدلائل .

وكم من معجزات أودعها الله ، في آيات القرآن المجيد ، للأجيال القادمة ، ومن أجل أن يدرسوها ويتحققوا في أنفسهم ، أنها كلام الله المعجز المتحدي .

وكم هي النصوص ، التي تعلن أن القرآن المجيد ، مشتمل على تأويل معجز مدخر للمستقبل ، الممتد إلى قيام الساعة .

والقصد من هذه الآيات ، هو اثبات المعجزات اليقينية الآتية ،

وزجر الحمقى الجاهلين ، الذين يفرضون اهواءهم ، على تأويل الآيات
إن كانوا من ذوي الأهواء ، أو يفرضون غباوتهم التقليدية ، إن كانوا
من الأغبياء المقلدين .

اذن فلدينا موضوعان :

١ - موضوع الآيات التي تنص أن في القرآن ، نصوصاً تأويلها
اليقيني مدخر للمستقبل الممتد .

٢ - وموضوع يشرح الآيات ، التي تحمل المعجزات المدخرة للمستقبل .

وفي هذه الكلمة ، نعرض للدارسين نصوص الوحي ، التي تؤكد من
طريق الواقع اليقيني المشاهد ، أن القرآن المجيد ، مشتمل على تأويل خفي
متشابه مدخر للمستقبل ، واليك قسماً منها :

الأول

أفهمنا الله جل وعز في محكم القرآن المجيد ، أن هناك قسماً من
القرآن المجيد محكماً ، أي الذي تأويله يتن لا يحتمل وجهين ، وأن
هناك قسماً تأويله خفي متشابه يحتمل أوجهاً ، ومن باب هذا الاحتمال
للأوجه يُدخل المفسدون الذين في قلوبهم زيغ التأويل الفاسد الذي
يجافي حقائق القرآن اليقينية والعلم اليقيني ، والحق أن التأويل الصحيح
للمتشابه يعلمه الله عز وجل ، ويعلمه الراسخون في العلم ، الذين يعلمون
صحة التأويل ، وحكمته وواقعه اليقيني ، بما يفيض الله عليهم من نور
العلم والحق والهدى ، وهم الذين يؤمنون بكل من المحكم والمتشابه ،
ويعلمون الحكمة في وجود المتشابه :

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

الْكِتَابِ وَأُخِرُ مُتَشَابِهَاتُ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٣ - ٧)

الثاني

لا ريب أن القرآن المجيد ، هو من رب العالمين ، وإن كان الكافرون
يزعمون أنه افتراء على الله ، لجهلهم بحقائق المعرفة اليقينية ، ولو كانوا
من أهل العلم لأحاطوا بها معرفة ، ولفهموا معجزات التأويل ، إذ في
تأويل القرآن الكريم ما هو مدّخر للمستقبل ، وفيه التحدي المعجز .
أنظر هذه الآيات :

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (٣٧)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)
بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ .

(١٠ - ٣٩)

أجل إن هذه الآيات ، تفهمنا أن القرآن المجيد ، هو كلام الله الحق ، وليس فيه افتراء ، والبراهين العلمية اليقينية المودعة فيه ، تدلُّ أنه كلام رب العالمين ، وهو يتحدى الذين يزعمون أنه مفترى على الله ، بأن يأتوا بسورة مثله مستعينين بمن يؤمنون بقدرهم وألوهيتهم .

والحقيقة العلمية ، تكشف أن تكذيبهم مصدره الجهل ، وليس مصدره العلم ، ولو أنهم أحاطوا بمعجزات القرآن المجيد علماً ، لما جحدوه . على أن القرآن المجيد ، يؤكد لنا أن فيه معجزات مدخرة لأجيال ، لم يأتهم تأويلها بعد ، وعدم الإحاطة بتأويل الآيات التي تحمل المعجزات للمستقبل ، هو الذي حدا بالأقدمين من أهل النحل ، الى التكذيب ، بسبب التأويل الزايغ ، الذي جرهم اليه علمهم القاصر ، عن إدراك تلك المعجزات . على أن القرآن المجيد . ينادي أن فيه آيات مدخرة حقائقها للمستقبل ، حتى لا تقع في بلايا التأويل الفاسد المدسوس ، أو التأويل الأسطوري ، لأن تداول الحضارات . وتقدم العلم اليقيني ، يكشف معجزات الوحي اليقينية بلا ريب :

وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨)

فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٤٣ - ٨٩)

والله يؤكد للكافرين ، الذين أصروا على كفرهم ، أن معجزات آيات القرآن المجيد ، ستظهر في آفاق الأرض ، وتظهر في أنفسهم ، إذا حرروها من أغلال التقاليد ، تظهر أنها كلام الله الحق :

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣ — ٤١)

ولا ريب أن العلم الذي أنزله الله ، ليكشف الحقائق في كل عصر .
وليهدم الوثنية والإلحاد ، هو السلطان المطلق من الله عز وجل :

أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ .
(٣٥ — ٣٠)

ومهما يكن ، فالإحاطة بحقيقة التأويل الدالّ على اعجاز القرآن المجيد ،
هي من شأن العلماء المفكرين ، لا من شأن الجهلة العميان ، الذين
لا يميزون بين الحق والباطل ، والوحي والأسطورة ، والجهل والعلم :

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٣ — ١٩)

والقرآن الكريم منذ مطلع فجره معروف أنه مشتمل على قسم من
الآيات مدخر تأويلها للمستقبل .

انظر هذه الفقرات من الحديث الشريف الذي ورد في حق القرآن
الكريم ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ
قال :

« ان هذا القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة لمن
تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيع فيستعجب ولا يعرج فيقوم ولا تنقضي

عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد ... »^١

وانظر أيضاً في الفقرات الآتية من الحديث الشريف الذي رواه الترمذي في الجزء الثاني صفحة ١٤٩ عن القرآن الكريم :

« فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبارٍ قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . »

فأشار رسول الله ﷺ في قوله : « نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم » إلى اكتشاف آثار الأمم السابقة وأخبارها ، كما حدث في اكتشاف أخبار الفراعنة الأقدمين ، والدول العربية القديمة في اليمن ، كدولة سبأ ، وكما يحدث من الأنبياء والأخبار التي نشاهدها الآن ، وسوف تستمر إلى قيام الساعة وبعد قيام الساعة ، كأخبار يوم القيامة وما بعده . وأشار رسول الله ﷺ بقوله : « لا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه » ، انه سيظل جديداً على تداول الحضارات ، وتظل فيه غرائب المعجزات والمعارف مدخرة ، تظهر شيئاً فشيئاً ، ليكون القرآن الكريم حجة الله القاطعة ، وبرهانه الكبير للعلم والعلماء إلى قيام الساعة .

اسمع ما يقوله الرافعي في هذا الصدد :

« قد ثبت أن رسول الله ﷺ قبُض ، ولم يفسر من القرآن إلا قليلاً جداً » .

وهذا وحده يجعل كل منصف يقول : « أشهد أن محمداً رسول

١ رواه الحاكم من رواية صالح بن عمر عن ابراهيم الهجري عن أبي الأحوص عنه وقال تفرد به صالح بن عمر عنه وهو صحيح . راجع الجزء الثالث من الترغيب والترهيب ص ١٧١ .

الله . إذ لو كان النبي ﷺ فسر للعرب بما يحتمله زمنهم ، وتطبيقه أفهامهم
لحمد القرآن جموداً تهدمه عليه الأزمنة والعصور بآلاتها ووسائلها . فإن
كلام الرسول نصٌ قاطع .

ولكنه ترك تأريخ الانسانية يفسر كتاب الانسانية ، فتأمل حكمة
ذلك السكوت ، فهي اعجازٌ لا يكابر فيه إلا من قلع محبه من
رأسه ... ^١ .

وتأمل ما جاء في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) ص ٥٥ :
« لا شك أن العلوم سوف تكشف في المستقبل عن صحة كثير من
الأمور التي وردت في كتب الوحي ولم يصل إليها علمنا بعد » هذا حق
واستشهد له المترجم بقوله تعالى :

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَآوِرِكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ .
(٢١ - ٣٧)

ومهما يكن منصوص القرآن المجيد ، التي تنص أن القرآن المجيد ،
يحمل أنباء معجزات غيبية مدخرة للمستقبل ستُكشف وتُعلم بعد حين ،
هي كثيرة جداً :

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ .
(٣٨ - ٨٧ و ٨٨)

أجل إن معجزات القرآن الكريم ، ستظهر في كل جيل ظهور الشمس
في وهج الضحى ، والكفر بها مخاطرة إلحادية مخيفة ، لأنها تحتم الإصرار

١ راجع كتاب إعجاز القرآن ص ١١ للرافعي .

على الكفر والالحاد بالجهل المطبق ، وينبغي أن يتذكر الملاحد الجريء ،
هاتين الآيتين الآيتين ، فإن مصيره كمصير الذين كفروا من قبل ،
عذاب في عذاب ، لا نهاية له ، وهلاك مدمر :

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) ١٦-٥٥
أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ .
(٣٠ - ٣٥)

فيجب على الذين يستعجلون بالجهالة والرعونة ، فيلحدون بدون علم
يقيني ، وبدون وحي يقيني ، أن يعلموا أن جحود أي شيء أو اثباته ،
بدون دلائل العلم اليقيني ، والوحي اليقيني ، هو مسئولية ضمير وحرية
وانسانية ، وهذا لا ينبغي أن يصدر من انسان له أثارة من العلم ولمحة
من الفكر ، وحرية في الرأي .

سعة الفضاء وعوالمه

الفضاء

الفضاء أهوالُ أبعاد وراء أهوال أبعاد .. وعوالمه الساحة فيه بالنسبة لسعته ، وأعماق أبعاده ، لا تزيد عن نثارة من صغار الأسماك ، تسبح في لجج المحيطات ، ولا تكاد تبين .

وقد انكشفت هذه السعة وأهوال الأبعاد ، عياناً لرسول الله ﷺ ، ليلة المعراج ، في أحاديثه الصحيحة . وجاء التصريح بهذه الأبعاد في قوله تعالى :

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ سَنَةٍ (٧٠-٤)

وكان من الإعجاز الكبير ، الدال على جلال رسالة خاتم الرسل وصدقه ، صلوات الله وسلامه عليه ، انكشاف جانب من أبعاد هذه السعة ، لعلماء الفلك المحدثين .

إن العوالم المتناثرة في الفضاء ، سواء أكانت النجوم ذوات الأبراج ، أم الكواكب ذوات الأفلاك ، هي قليلة بالنسبة لسعة الفضاء ، وكثيرة كثيرة ذات أهوال بالنسبة لأعدادها ومواطنها ، وأبعاد بعضها عن بعض ، ولا يحيط بها إحاطة تامة كما هي عليه في الواقع اليقيني ، إلا الله عز وجل خالقها العظيم :

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (٤٨-٧)

... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ .. (٧٤ - ٣١)

وجنود الله هي مخلوقاته .

وأقلام الكتّابين لا تحصيها ، ولو كانت الأشجار أقلاماً وبحار البحار مداداً :

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ

سَبْعَةُ آبِحْرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣١-٢٧)

وكلمات الله هي علومه التي أقام الكائنات بمقتضاها :

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٦ - ٨٢)

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ (٢ - ١١٧)

وبدأ الله الكائنات بالطاقة ، التي كون منها الذرات ، ثم العناصر ،
ثم مواد الكائنات ،

ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا
طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (٤١ — ١١)

وتكاثف الذرات تشبه الدخان تماماً .

وفي نهاية الوجود ، تنحل الذرات إلى سراب ، أي طاقة كما كانت
أول مرة :

... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ... ٢١-١٠٤

لأن السراب هو انعكاس ضوء الشمس ، والضوء هو من الطاقات .
وبعد ذلك يخلق الله العوالم خلقاً آخر ، يلائم العالم الثاني ، بنواميسه
وسننه ، وتكون العوالم المخلوقة خلقاً جديداً ، هي بدل العوالم الحالية :

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ
الوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٤ — ٤٨)

والله سبحانه وتعالى ، هو الذي نثر عوالم المادة في أبعاد الفضاء ،
فخلق السموات السبع ، وهي من أكبر العوالم وأعظمها أجراماً وأعمقها
بعداً ، ويليهما عوالم النجوم والكواكب والسُّدم والنيازك .

والحق اليقيني ، أن الأجرام السماوية ، التي دون السموات السبع ،
سواء أكانت النجوم ذوات البروج ، أو الكواكب ذوات الأفلak ، في
كثرة من الأعداد ، وسعة من الأبعاد ، وعمقها وتقديره يُعجز حساب
أعلام الفلكيين .

حتى أن مجموعتنا الشمسية ، في عمق أبعاد كواكبها ، التي لم تستوفها بعد مراصد المحطات الفضائية ، لا تزيد بالنسبة لمجرتنا الأرضية ، عن حبات رمل بين هضاب رمال الربع الخالي في جزيرة العرب . ووحى الله اليقيني ، محال أن يكون مناقضاً للحقائق اليقينية في كائنات هذا الفضاء ، لأنه كلام خالقها ومبدعها من أصغر ذرة بل مما هو أصغر من الذرة بمراحل إلى أكبر الأجرام السماوية ، التي لم يصل علم الانسان بعد إلى كشفها والتعرف إلى أبعادها كافة .

اذن فكلام الله فيه من كشف حقائق العوالم العَجَب العُجاب ، وفيه من الآيات المعجزة الصارخة المتحدية ، ما تجعل علم الانسان على مختلف الحضارات من أقدم الأزمان إلى يوم القيامة ، لا تزيد عن رشفة ماء من السيل العرم ، بالنسبة لما تحويه من معجزات علم الله جل جلاله .

ومنا عليك إلا أن تفتح المصحف الشريف ، وتمعن نظرك بعمق وفكر ، متدبراً آياته ، متأملاً في حقائق مدلولاتها ، فإن الله بلا ريب سيكشف لك من الأسرار والعجائب ، ما لم يبلغه حسابك الآن، وبالخري إذا أضفت إلى تدبر آيات القرآن الكريم النظر في التفسير الصحيحة ، التي كتبها شوامخ علماء الاسلام ، فانك حينئذ تدرك جلال أسرار هذه المخلوقات المترامية في أبعاد الفضاء ، التي لا تنتهي أسرارها ولا تنقضي عجائبها ، ولا يعلم أعدادها غير الله عز وجل ، وإن كان علماء البشر ، لا يزالون يواصلون دراستها في مراصدهم ومحطاتهم الفضائية ومجامعهم وجامعاتهم ، لأن أهوال سعة الفضاء وكثرة عوالمه تدعوهم إلى ذلك .

اذن فهذه العوالم التي أحاط بها علم الانسان ، منا هي إلا ومضة خافتة حيال لجج فوق لجج من الأضواء التي تبهر الأبصار والبصائر .

وإذا كان هذا جلال علم الله ، الذي أودعه في وحيه - القرآن المجيد - فكيف لا يكون فيه في كل عصر من المعجزات العلمية اليقينية

ما يُعمق إيمان العلماء الأحرار ويقويه .

ولم لا يعمقه ؟ وفي كل يوم تنكشف من معارفه اليقينية المودعة فيه ، وفي الوجود ما يقدم العلم ، ويحرر العقل ، وينهض بالإنسانية إلى كشف مثله العليا .

وهذه المعارف تنكشف لأعلام العلماء يوماً فيوماً ، ولن يكون ما بين معارف القرآن المجيد اليقينية وبين معارف الكائنات اليقينية أي تناقض .

لذلك أعلن الله في آياته ، أن علم العلماء بالنسبة للمعارف المدخرة في العوالم قليل جداً ، فإليك بعوالم الطاقات وعوالم السموات السبع وما وراءهن تحوي من المعارف الخفية ما تنحسر دونه العقول . وتعني عن الإحاطة به الأفكار .

تفكر وافهم ، وتحرر من سلطة ثقافتك المحدودة ، الموروثة وتقاليدها العمياء الرعناء ، قبل تلاوة هذه الآية الكريمة المعجزة :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (١٧ — ٨٥)

والعلم القليل لا يحقق شيئاً ، فكيف يتمكن أن يحقق كنه عوالم الروح وسعتها وسننها ونواميسها ، وكيف يستطيع أن يزيح عن أستار معارفها ظلمات الجهل المتكاثفة . وقد استطارت في شتى النحل وتغلغت في أساطيرها وعقائد المتخلفين من أهلها ، وتراكت ثم تراكت حتى أصبحت مثل سور ذي القرنين لا ينتب إلا بقدره الله تعالى . لأن سمكه في القلوب وفي النفوس وفي العقول قد استحكم وتفاقم حتى في المعابد والكتب والصحف ، وفي تقاليد الأمم المتوارثة حتى تصل بهم عصبية الإستمسك بتقاليد الآباء إلى أن يحددوا نور الحق اليقيني ، ولو كان أسطع من نور الشمس :

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ .

(٤٣ — ٢٣)

بل تجدهم يمجّدون الواقع المعين لهم المحسوس ولا يبالون ، تأمل ذلك في قوله تعالى :

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤)
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْبَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥ - ١٥)

أسباب الجرأة على الكفر بوحى الله اليقيني

العلماء المتعمقون في دراسة وحى الله المعجز - القرآن المجيد - يدهشون أشد الدهشة ، من جرأة جاحديه المثقفين .

١ - لأنهم يعلمون أنهم قادرون على البحث والنظر والتمييز بين الحقائق اليقينية في الأديان وفي معارف البشر ، وبين الظنون والأوهام والأساطير السائدة في المجتمعات كلها .

٢ - ولأنهم يعلمون أن الحضارة التي يتمتعون بمخترعاتها الباهرة ، وبمعارفها اليقينية ، هي ثمرة كفاح العلماء وسهرهم المجتهد ، في سبيل تحريرها من الظنون والأوهام ، وبذلهم حياتهم من أجلها ، لتظل صافية صحيحة . وما دام الأمر كذلك ، اذن فلماذا يكفرون بحقائق خاتم الوحي الإلهي - القرآن المجيد - اعتباطاً . بدون أي علم وفكر ، وبدون أي درس ونظر ، وبدون أية حجة وبرهان ، وبدون أية روية وتعمق ، وبدون أي اكتراث ووخز ضمير . قل هذا جهلٌ هذا حق .

أما يحذرون لعنة المسؤولية التاريخية ، ومِحَنَ هدم الحق يوم الدينونة ، وفضيحة العلم اليقيني ، ومقتةُ لهم ، وسخرية الأجيال العالمة الآتية .

وهل من مُتَعِدٍ لأبناء الانسانية عن متابعة الصعود العلمي ، وهل من هادم لصروح حضارتهم الجامعة ، وهل من مقوض لمنابر معارفهم الشائخة . وهل من زارع لأحقاد الأدغال الوحشية بينهم ، سوى الجنة المعرضين الداسين في صميم حقائق الأشياء ومعارفها اليقينية ، ما هبّ ودبّ من الظنون والمفتريات والأوهام والفروض والأساطير .

وهؤلاء هم الذين دسوا ويدسون في يقين خاتم وحي الله القرآن المجيد . التأويلات الفاسدة والمذاهب الهدامة .

ولا يشفي من داء هذا الحقد الأرعن الوحشي ودسائسه سوى معاودة الدرس الحر التزيه العالي المصفي .

وهأنذا أهيب بالشبان المثقفين المفكرين الأحرار في العالم ، الذين يرغبون أن يتبينوا بدلائل البحث العلمي القطعي ، الأسباب الحقيقية التي من أجلها جحد الجاحدون حقائق وحي الله اليقيني ، بسذاجة وجهل ورعونة ، وبدون مبالاة .

أهيب بهم أن ينعموا أنظارهم العميقة الناقدة في الأسباب الآتية :

السبب الأول : دس وساوس الاحاد في عقائد الطلاب

دس وساوس الاحاد في عقائد الطلاب الشادين ، الذين يصدقون كل ما يسمعون ، ويحسبونه عين واقع العلم اليقيني الملموس ، دون أن يخطر ببالهم ، أن الظنون والمفتريات والأساطير ، هي أكثر ما تُدس في عقائدهم ، باسم الحرية والانطلاق والعلم والحضارة الصاعدة .

وان أندر شيء يتلقونه هو يقين العلم في عقائدهم الدينية ، وفي مختلف حقائق المعرفة الاجتماعية .

ولو كان العلم والحق يسير مسيرته التثقيفية الواقعية المحررة الصاعدة في سائر ألوان المعرفة ، لما كان ثمة تخلف إلحادي مهووس متهافت في حقائق الوحي الإلهي اليقيني .

ولا عجب إذا شاهدنا هوس الإلحاد التلقيني وأحقاده وخصوماته وغواياته ومسلّماته الساذجة تستطير متفاقة في أحاديث بعض الشبان الذين لا يميزون بين العلم والظن ، والحق والباطل ، والوحي والأسطورية .

هذا الهوس الساذج الجاهل ، هو الذي جعلهم يسلكون الأديان جميعاً أياً كان مصدرها في سلسلة الأساطير السوداء .

وكيف لا يكون مهووساً ساذجاً جاهلاً ، من تتساوى في نظره المكسوف ، معجزات القرآن المجيد المتحدية ، وترهات أسفار الوثنية المدونة لعبادة الحيوان والنبات والأحجار .

وكم هم الذين يؤثرون الإلحاد ، أو ترهات أسفار الوثنية ، على حقائق المعرفة اليقينية المتحدية في إعجاز القرآن المجيد .

يؤثرونها بجهل التقليد ، بتلقين العصبية ، بدعاية التحرر ، بإثارة حب التظاهر ، بسطوة الاستمرار ، وتماسك حلقاته الروحية المتتابعة في الأجيال .

ومهما يكن فالإلحاد إذا تمكن من المجموعة النفسية الساذجة ، فإن صاحبه لن يؤمن بوحي الله اليقيني ، ولو صعدت به إبراهيم يقين العلم ، إلى علياء السماء في ألف معراج مشعشع بأنوارها الكاشفة .

السبب الثاني : الخوف على المكانة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية

إذا داخل فكر الانسان الخوف على مكانته الاجتماعية أو الاقتصادية أو العلمية فيما لو آمن بوحي الله اليقيني . فانه حينئذ لا يؤمن ،

ولو هتفت به كل هواتف السماء والأرض أنه حق حق ، وأنه علمي علمي ، وأنه إنساني إنساني ، وأنه نافع ومنقذ من كل المهالك ، ومن كل الأهوال المدمرة ..

أجل هو يرفض أن يدين بخاتم وحي الله الحق ، ويرضى أن يدين بالإلحاد ، ولا يبالي ، ولو علم أن إلحاده يورثه مقت الله والعلم ، وعذاب العالم الثاني ، ونقد شوامخ العلماء .

والحق أن أكثر البشر ، لا يبالون بعذاب الآخرة ، بمقدار ما يبالون بنعيم الدنيا .

ذلك لأن إيمانهم أو كفرهم بأي شيء :

• ليس باعته إنعام النظر الناقد الأمين .

• وليس منبعه البحث الحر العميق .

• وليس منبعه طلب يقين العلم والحق الصريح .

ومن كان هذا شأنهم — فكيف يرجى منهم أن يؤمنوا بخاتم كتب السماء ، أو يبصروا أنواره ، وإن تفجرت بها كل مصابيح المعرفة اليقينية . ما دامت عقولهم وقلوبهم وبصائرهم مهووسة متحجرة عمياء .

السبب الثالث : الخوف على السلطان السياسي وسواه

خوف ساسة الأمم وقادتهم على زوال سلطانهم السياسي ، وتداعي سيطرتهم الاقتصادية ، وضعف عددهم الدفاعية ، وذوبان قوميتهم فيما لو آمنوا بمثل وحي الله العليا ، التي أوحاها في القرآن المجيد ، على خاتم رسل الله محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا الخوف مزيف ، ومصدره الأراجيف التي دسها في التاريخ أعداء

مثل وحي الله العليا الظالمون .

هو خوفٌ باطل يهدمه واقع الحق اليقيني .

أما يعلمون أن الأمم التي آمنت بمثل وحي الله العليا ، بعد عدائها له ، وصدودها عنه ، وقتالها له كالعرب والأتراك وسواهما ، قد اعتزت وسادت ، وشادت ، وقادت .

أما كان الأخلق بهم . أن يعودوا إلى حقائق تاريخ الدعوة الإسلامية ، ويفصلوا عنها دسائس الدسائس المجرمين . الذين زيفوا يقين معارفها بخباثت نفسياتهم المنحطّة ، ولوئوها بأوبثتها ، بدلاً من أن يأخذوها قضايا يقينية مسلّمة .

شهد الله لو اطلعوا على تاريخ العرب قبل إيمانهم بوحى الله وبعده . وإلى تاريخ الأتراك ، وسواهم من الأمم ، لما أحجموا عن اعلان الإيمان به ، مهما كانت الظروف .

يا هؤلاء ، هل سمعتم أن الإيمان بوحى الله اليقيني ، يفرض على الأمة التي تؤمن به أن تتنازل عن وحدتها ، وشوكتها ، وسلطانها في الأرض ، لا لا . كل الذي يفرضه وحي الله على الأمة التي تؤمن به ، أن تبذل وسعها في اعداد عدد الدفاع ، للإرهاب ، والسلم . وصد مفاجآت ظلم البشر المتخلفين .

وكل الذي يفرضه وحي الله اليقيني . أن تتخذ الأمة التي تؤمن به ، سلطانها ، ومعارفها . وامكانياتها ، لنصرة الحق ، والحرية ، والعلم ، والإيمان والخير ، ورفع الشرك والوثنية والظلم من الأرض . ودعوة التعارف والتآلف بين الناس ، وإخلاص الصدق في المعاملات كافة . وأن يكون ذلك مثلها الأعلى العملي الذي تدعو اليه الأمم جميعاً ، أفراداً وجماعات .

السبب الرابع : النزوات الشاعلة

النزوات المتفاقة الشاعلة تسحق ارادة الايمان بيقين وحي الله سبحانه ،
وصيحة أعاصيرها في الأعماق تدمرها تدميراً ، حتى تطير بها خنائتها كل
مطار ، وتجعلها لا تستقر على حال كأنها الهباء .

وأنى يكون لثقف مع وقيد النزوات الآثمة المستطيرة ، ارادة "موجهة"
هادية تعصم من طغيان الاحاد بواقع وحي الله اليقيني .

أجل أنى يكون ذلك ، وطبيعة الايمان تفرض استقامة السلوك ،
وتوجب كبت النزوات الآثمة ، وتحطم الآثمين الذين يستبيحون الحرمات ،
والرشي وخيانة الأوطان ، قصد الوصول اليها وعبثاً عبثاً جنونياً .

اذن فتعمد جمهرة الشبان المثقفين في الغرب ، أن يمارسوا الاحاد ،
بوحى الله اليقيني رغم براهنه الواقعية الأكيدة ، سببه نزواتهم الملتهبة
الفاجرة ، ونفوسهم الغاوية العاصية ، وقلوبهم اللهيقة الجاحدة .

ولو علم أولئك الشبان الغربيين ، ومن نشأ على شاكلتهم ، أن
الإسلام ليس هو أغلالاً من الفولاذ ، يفرض سهر الليل : صلاة
وضراعة ، وسبح النهار ، تبتلاً ودعاء ، وإنما هو كمال في الاعتدال
يبيح المتع الفطرية الطاهرة ، التي جعلها الله مصايد لاستمرار الحياة
الكريمة ، وفق دواعي الحضارة الإنسانية العالية ، المتطورة من الصلاح
إلى الأصلاح ، الى المثل الأعلى الممكن . دون أن تتركب الإنسان ، فواح
غرام النزوات الآثمة ، وآفات القاتلة ، من جراء إنفلاتها الحيواني ،
الخاسر ، المتخلف ، السادر على قرنيه إلى تحول حياته الى نزو ، وختل ،
وترصد لفريسة وراء فريسة وراء فريسة سلسلة الموت القصيرة القاصمة .

ومن كانوا من شبيبة المدينة الحديثة ، وكانت هاتيك أعمال أعمارهم ..

فإنهم لا يطبقون الإيمان بمثلاليات - وحي الله - وإن كان حجة العلم اليقيني المتجدد ..

وتجد على لمحة من الخلق ، من لم يتندر بوحي الله وأهله سخرية وعبثاً .

إذن فلا تأمن من هؤلاء وأولئك ، أن يؤمنوا بمثل وحي الله العليا ، ولو قدمت لهم في كؤوس يقين المعرفة ، التي لا خلف فيها بين العلماء ، ما دامت تلك أعمال أعمارهم في الحياة .

السبب الخامس : انطباعات المجموعات النفسية

على مواريث الأدغال

جماهير مجتمعات البشر الراقية ، بله ما دونها ، لا تزال انطباعات مجموعاتها النفسية ، غارقة في خسران مواريث الأدغال . والكهوف ، والغابات .

ولا تزال حيراب أظافرهم ، وبراثن أشداقهم الفاغرة ، الناهضة ، ماثلة بصورة مخيفة مدمرة للأثم والشعوب في قنابلهم الذرية والهيدروجينية ، حتى لو جمعت كل ما فتكت به وحوش الغابات والأدغال والكهوف ، في ألف ألف قرن ، لفتكت بأضعافه في لحظة واحدة ، وحوش مدينتنا الصاعدة على سطح القمر .

ألا ترى هياج المتقاتلين في عصرنا ، كهياج الوحوش الكاسرة ، وترصدهم ترصدها وبغثات ختلهم ووثبهم وبطشهم هي هي .

وجاء اقتدارهم على الصعود على سطح القمر داهية الدواهي . لأنهم امتلكوا القوى التي أضعدهم إليه ، والقادرة على إبادةهم جميعاً .

ومجموعات نفسياتهم هي مجموعات نفسيات وحوش الغاب ، في حركاتها ، وسكناتها ، وفتكاتها ، ولا عبرة بمظاهر المدنية الفتانة ، لأنها تُفرح البصر وتغم البصيرة .

من أجل ذلك لم يستطع فحول علماء الحضارة الانسانيون الأمناء ، الذين اقتنعوا أن خاتم وحى الله اليقيني - القرآن المجيد - هو عين يقين العلم الإلهي ، وأنه حق وصدق ونور وهدى للناس كافة ، لم يستطيعوا أن يعلنوه من وجهة السلوك العملي ، كما أعلنوه من وجهة العلم القطعي .

نعم هم اكتفوا أن يعلنوا قناعتهم به في كتاباتهم الرائعة الكاشفة لخفايا معارفه العالية في آياته الكريمة ، مما لم يصل إلى مثله قدامى علماء الإسلام الذين ورثوه عن قناعة ، وتمحيص ، وتحقيق ، وتدقيق ، ودرس طويل ، ونقد علمي قطعي نزيه .

ولمسا تفوقه الأكيد على كل ما في الدنيا من نحل ومذاهب وفلسفات وأسفار وثنية متوارثة منذ أبعد الأزمان .

ولا ريب أن الذي حال دون اعلان قناعة اولئك العلماء الشوامخ ، بخاتم وحى الله - القرآن المجيد - من الوجهة العملية السلوكية ، شأن المؤمنين في بيئاتهم الراقية ، هو انطباع نفسيات جماهيرهم بمواريث الغاب . وبألوان التفكير البدائي الوثني المتخلف ، وانقيادها لتوجيهاتها الحاقدة الرعناء ، التي تكون عادة في واجهة تمثيل الأمة ، لصدها بالنبال ، والرماح ، والسيوف ، لدى كل صعود حضاري انساني عال .

وإن كانت الأمة تعيش في بيئات راقية صاعدة تقدر حرية العقيدة وتزدود عنها ..

ومع كل ذلك فإنها لا تحتمل اعلان الإيمان الجماعي العملي من فئة رجال الحل والعقد ومن زمرة شوامخ العلماء ورؤساء رجال الدين ، كما فعل

اللورد هُدلي في انكلترا وأمثاله ، ممن أعلنوا إسلامهم ولا تُحصيهم معلمة ..

ولن يكون مثل هذا التسامح الكبير من الجماهير لدى الأمم كافة ، وانطباعات مواريث الأجيال هي العاملة الموجهة لمجموعاتها النفسية .

أجل لن يكون مثل هذا التسامح المقرون بالرضا والمودة والأمن ، إلا بعد حقب وحقب . تتعمق معارفها اليقينية عوالم الطاقات الروحية تعمقها معارف عوالم المادة ، وتُفصل علومها تفصيلها وتغربلها وتطرح منها زوان أساطير الوثنيات ، وترهات الشرك . حينئذ يصبح هدف الجماهير كافة ، واشواقها وتبتلها هو كشف المعارف اليقينية ، في كل عوالم الطاقات العاقلة ، كما هو في العوالم المادية .

ومتى صعدت جماهير الأمم كافة إلى هذا المستوى العلمي العالي ، فحينئذ يصبح الانسان في كل موطنه انساناً حقاً ، ويموت فيه وحش الغاب الفتاك الحقود ، الضيق الفكر ، والنفس ، والعقل ، والعلم ، والعاطفة .

وحينئذ ترى رجال الحل والعقد ، ورجال العلم اليقيني ، ورجال الأديان الذين أعلنوا قناعتهم من الوجهة العلمية ، بخاتم الوحي الإلهي ، والتزموا عقائده وعباداته في خلواتهم ، يعلنون كل ذلك على رؤوس الأشهاد في كل أمة دون حذر ، وخوف ، وتريص . ما داموا وثقوا أنهم يعيشون بين جماهير مهذبة راقية عالمة ، تقدر حرية العقيدة ، قداستها السماوية ، وتذكر أنها سر حقائق المعرفة والحضارة والانسانية . وأنها سر السمو الروحي والتعالي عن صفائر الأنانيات ، والمنازعات ، والمخاتلات ، الوحشية البشعة ، وحينئذ تصرع مواريث الأدغال ، التي لا طائل تحتها ، سوى الانقضااض والوثب والفتك والنهش ، تصرع أبدياً لا رجعة بعدها .

السبب السادس : الدعاية الكاذبة

الدعاية الكاذبة في كل شيء ، ذات تأثير اجرامي كبير ، يجعل الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، وفي الوقت نفسه محطم لوحدة الأمة وممزق لكلمتها ، وملوث لحقائق تاريخها لدى الآخرين .

والشعوب الغربية ، لولا الدعاية الاجرامية الكاذبة ، ضد سيرة خاتم رسل الله ، وما أنزل عليه من وحي معصوم عن الزيادة والنقص ، وتأويلات الدس الأسطوري ، لكانوا أسبق إلى اعتناقه ، وتأيده ممن الشعوب الشرقية ..

وخاتم الوحي الإلهي ، لا تؤخذُ حقائقه من مكاتب الدعاية العالمية ، ولا من الصحف والمجلات ، لأن تلك المكاتب مأجورة ومقيدة ، والصحف والمجلات أبعد ما تكون عن كشف الواقع اليقيني في الأشياء ، إذا كان ذلك يناقض اتجاهاتها ، الملزمة بها من قبل فئات يعيشون في الحياة ، لتخريب كل حقيقة علمية يقينية ، لا تكون وفق أهوائهم .

اذن فكيف تكون أمينة على كشف حقائق وحي الله ، ودعوة الإيمان الحق ، ما دامت هي مؤسسة لغير ذلك .

وشبان الحضارة الحديثة ، المفكرون ، الواعون ، في أشد اللهفة لكشف الحقائق في كل ذلك .

وهم يتوقعون من مثل هذه الدراسة ، الاهتداء إلى وحي الله اليقيني . الذي فيه علاج كل أمراض الجماعات الانسانية وأفرادها ، وفيه توحيدها وسموها وسعادتها وتطهيرها ، من أحقاد الغابات والأدغال والكهوف والموروثة المتغلغلة في اللحم والدم ، وفي عالم المجموعة النفسية .

المَوْضُوعُ الثَّالِثُ
شَرْحُ لَفَوَيَّاتِ سُورَةِ يَاسِّينَ

- (١) آيس : انسان .
- (٢) القرآن : الواو واو القسم والقرآن مقسم به .
- (٣) الحكيم : أي ذو الحكمة المشتمل عليها .
- (٤) الصراط : الطريق .
- (٥) المستقيم : الذي لا عوج فيه .
- (٦) لتندر : لتخوف .
- (٧) غافلون : أي في غفلة عن حقيقة الرسالة .
- (٨) لقد : اللام دالة على قسم محذوف والأصل: والله لقد .
- (٩) حق : وجب عليه .
- (١٠) القول : المنصوص على تعذيب أكثرهم الذين يرفضون الإيمان .
- (١١) أعناقهم : رقابهم .
- (١٢) الأغلال : القيود التي تشد بها الأيدي إلى الأعناق .
- (١٣) مقمchon : غاضون أبصارهم مع رفع رؤوسهم .
- (١٤) الأذقان : مفردها ذقن ، والذقن هو أسفل الوجه .
- (١٥) سداً : البناء الذي يكون حاجزاً فلا يُنفذ منه .
- (١٦) فأغشيناه : فغطيناه .
- (١٧) الذكر : هو القرآن الكريم لأنه ذو الذكر والشرف .

- (١٨) آثارهم : أعمالهم .
- (١٩) أحصيناه : دوناه وسجلناه .
- (٢٠) إمام مبین : اللوح المحفوظ .
- (٢١) القرية : انطاكية .
- (٢٢) فعززنا : فقويناهم بشخص ثالث .
- (٢٣) تطيرنا بكم : تشاءنا بكم .
- (٢٤) البلاغ : التبليغ .
- (٢٥) لئرجمنكم : لنضربنكم بالحجارة .
- (٢٦) ولیمسنكم : من المسّ وهو الوصول إليكم .
- (٢٧) طائرکم : شؤمکم ، والمراد به شؤم الكفر .
- (٢٨) ذكرتم : وعظنكم .
- (٢٩) يسعى : يسرع في مشيه .
- (٣٠) المرسلين : رسل الدعوة الى الله الذين وصلوا مدينة انطاكية .
- (٣١) لا يسألکم أجراً : لا يطالبونكم بأجرة على قيامهم بدعوتكم إلى الهداية .
- (٣٢) فطرني : خلقتني وأوجدني .
- (٣٣) لا تغني عني : لا تدفع عني .
- (٣٤) ينقذون : ينجون .
- (٣٥) ضلال : التحير .
- (٣٦) صيحة : صوتاً مهلكاً .
- (٣٧) خامدون : ميتون .
- (٣٨) يا حسرة : يا ندامة .
- (٣٩) كم : كثير .

- (٤٠) القرون : الأجيال والشعوب .
- (٤١) لا يرجعون : لا يعودون اليهم في الدنيا .
- (٤٢) كل : كل الأجيال والشعوب .
- (٤٣) لدينا محضرون : يوم القيامة يحضرون بين يدي الله .
- (٤٤) وآية لهم : علامة لهم .
- (٤٥) الأرض الميتة : الخالية من الحياة النباتية .
- (٤٦) جنات : بساين .
- (٤٧) وما عملته أيديهم : وما صنعه أيديهم .
- (٤٨) الأزواج : مفردا زوج وهو يطلق على الذكورة والأنوثة وكل شيء من إنسان وحيوان ونبات هو أزواج .
- (٤٩) نسلخ منه النهار : النسلخ هو إخراج الشيء من لباسه ومنه إخراج الحيوان من جلده وهنا إخراج النور الذي يلبس الظلام ويغطيه .
- (٥٠) لمستقر : للمكان المعد لها .
- (٥١) العزيز : القوي .
- (٥٢) العليم : بما كان ويكون .
- (٥٣) منازل : منازل القمر التي يبدو فيها .
- (٥٤) العرجون : هو عذق التمر بعد إزالته عنه .
- (٥٥) القديم : إشارة الى انكماشه وتقوسه .
- (٥٦) الفلّك : الطريق الفضاء الخاص لكل كوكب .
- (٥٧) يسبحون : يسرون في الفضاء مسيرة الفلّك في البحر .
- (٥٨) الفلّك : السفينة .
- (٥٩) المشحون : المحملة .

- (٦٠) ذريتهم : أولادهم .
- (٦١) من مثله : من مثل الفلك .
- (٦٢) فلا صريخ لهم : فلا مغيث لهم .
- (٦٣) ينقذون : يخلصون من الغرق .
- (٦٤) معرضين : منصرفين عنها .
- (٦٥) صيحة واحدة ، نفخة البعث .
- (٦٦) يَخْصِمُونَ : يختصمون .
- (٦٧) فلا يستطيعون : لا يتمكنون من الوصاية .
- (٦٨) يرجعون : يعودون إلى منازلهم .
- (٦٩) الصور : البوق .
- (٧٠) الأجداث : القبور .
- (٧١) ينسلون : يخرجون سراعاً .
- (٧٢) فاكهين : متنعمين .
- (٧٣) الأرائك : السُرر .
- (٧٤) متكئون : جالسون .
- (٧٥) يدعون : يشتهون .
- (٧٦) وامتازوا : انفصلوا .
- (٧٧) المجرمون : العصاة .
- (٧٨) ألم أعهد إليكم : ألم آمركم .
- (٧٩) جِبِلًّا : خلقاً .
- (٨٠) اصلوها : احرقوا بها .
- (٨١) طمسنا : أعميناهم .
- (٨٢) أنى : كيف .

- (٨٣) استبقوا الصراط : ليتخطوه .
- (٨٤) يبصرون : ينظرون .
- (٨٥) المسخ : تحويل الصورة الى ما هو أقبح منها .
- (٨٦) مكانتهم : مكان معاصيهم .
- (٨٧) نعمره : نطيل عمره .
- (٨٨) نكسه : نرجعه إلى ضعفه الأول حين كان طفلاً .
- (٨٩) حياً : حياة الانطلاق من قيود التقاليد المميتة .
- (٩٠) أنعاماً : مواشي وهي الأبل والبقر والأغنام .
- (٩١) ذللناها : أخضعناها لهم .
- (٩٢) آلهة : أرباباً من أفراد الكائنات .
- (٩٣) جند محضرون : عابدو الآلهة هم جنودها الذين ينصرفون ويدافعون عنها .
- (٩٤) خصيم : محاصم ذو بيان .
- (٩٥) ضرب مثلاً : لإنكار البعث .
- (٩٦) رميم : بالية متفتتة .
- (٩٧) انشأها : خلقها .
- (٩٨) الشجر الأخضر : هو الذي يمتص حرارة الشمس ويخترنها .
- (٩٩) العليم : بتكوين ما خلق .
- (١٠٠) سبحان : تترها له من العجز وكل نقص .
- (١٠١) ملكوت : الملك الحقيقي للشيء إيجاداً واعداماً .
- (١٠٢) واليه ترجعون : يوم القيامة .
- انتهى تفسير الكلمات وبيان مدلولاتها ...

المَوْضُوعُ الرَّابِعُ
نُفْسِيرُ سُورَةِ يَاسِيْنَ

يَس (١)

ياسين هي إنسان في بعض اللغات القديمة ، وقد وجدت ذلك في اللغة العربية ، لدى قبيلة طي : كما نُقِلَ ذلك عن ابن عباس ... وهي مؤلفة من أربعة أحرف في النطق ، وهي إذ يُبتدأ بها في هذه السورة المباركة ، التي هي قلبُ القرآن ، يُبتدأ فيها خطأ بحرفين ، مع إشارة مد الياء « يَس » . وقد دلَّت على معنى إنسان ، في تسمية النبي الياس بها في سورة الصافات . كما جاء في قوله تعالى : « سلامٌ على إل ياسين » ، في قراءة حفص . وفي قراءة « على آل ياسين » . وإل هي أداة تعريف : بمعنى هو ، وهذا يوجد في بعض اللغات القديمة والحديثة .

وأطلق الله على خاتم انبيائه سيدنا محمد ﷺ « يس » لأنه هو الإنسان الكامل الذي تجمعت فيه كل صفات الكمال .

وبعض المفسرين يرى أن لفظة يس علم على السورة وبعضهم يراها من قبيل الحروف المشتملة على أسرار خاصة لرسول الله ﷺ .

والقرآن الحكيم (٢)

والواو للقسم ، والقرآن مُقسم به وقد أقسم الله به . فكأن المعنى

أنا الله رب العزة ومنتزلُ القرآن على محمد أقسم بالقرآن أن محمداً من المرسلين .

الحكيم أي المشتمل في كل آياته على الحكمة المحكمة التي هي واقع الحق اليقيني .

إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)

إن حرف تأكيد واللام في لفظة لمن هي أيضاً تفيد التأكيد . فكأن الله عز وجل يقول أقسم بالقرآن وأؤكد وأؤكد إنك يا محمد من المرسلين أي من رسلي الذين أرسلتهم لهداية الخلق إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

على صراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)

الصراطُ - هو الطريق - المستقيم الذي لا عوج فيه ولا تشعب أي يُفضي بالناس إلى الايمان اليقيني بالله عز وجل وإلى ما يصلح حالهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة بدون التواءات وتعرجات تضل ، ولا تهدي .

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)

العزیز هو القوي المهيمن على كل شيء بسلطانه وقهره وهو في الوقت نفسه الرحيم بخلقه . ورحمته وسعت كل شيء . وما إنزال كتب الوحي وارسال الرسل إلا دليل على رحمته الواسعة الشاملة . وآيات هذا القرآن مشتملة على كل ذلك لأن الكلام صفة الموصوف .

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)

الانذار هو الدعوة إلى الإصلاح بالترهيب .

والتبشير هو الدعوة إلى الإصلاح بالترغيب .

ولما كان العرب في الجاهلية بعدوا كل البعد عن أضواء الحنيفية السمحة دين ابراهيم الخليل وركبوا رؤوسهم في ألوان من الوثنية وأنواع من الاشراك والاحاد واتبعوا المظالم والشهوات واختلفوا وتنازوا وتفرقوا (أيدي سبا) ناسب أن تكون الآية فيها الانذار لأن آباءهم الأقربين لم يرسل اليهم رسل لذلك كانوا في غفلة عن اصلاح وحي الله ومثله العليا. فلا بد لهم من الترهيب ليكفوا عما هم فيه ، ويأخذوا بوحي الله المنزل : القرآن الكريم من قريب .

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)

اللام الداخلة على «قد» هي لام «دالة» على قسم محذوف . والقول الذي حق على أكثرهم ووجب هو مؤاخذتهم بسبب اعراضهم واصرارهم على الكفر ، فكان المعنى : والله لقد ثبت ووجب العقاب على أكثرهم الذين أصرروا على الكفر .

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨)

الأغلال هي القيود التي تُشدُّ بها الأيدي الى الأذقان حتى لا يستطيع المشدودون بها المقمحون أن يحركوا رؤوسهم يمينا أو يساراً وهذا هو مثلُ لجمودهم على تقاليدهم الجاهلية وأساطير إشراكها ووثنياتها . والأفاح هو رفع الرأس إلى الأعلى بسبب شدة الأغلال دون استطاعة تحريكه . وهذا هو حالهم لجمودهم على تقاليدهم ...

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ

لَا يُبْصِرُونَ (٩)

وهذا تصوير آخر في منتهى البلاغة والبيان لأنه صور الكافرين

المستمسكين بتقاليدهم كالذين هم في مكان ضيق ، وأمامهم سدٌ ومن خلفهم سدٌ حتى غرقوا في الظلمات فلا يبصرون شيئاً .

وَسِوَالِهِ عَلَيْهِمُ الْأَنْذَرَتُهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)

لأن من كان في مثل هذه الصورة التي ذكرها الله عنهم . فإنه لا أمل في إيمانهم ، سواء خوفهم الداعي من عاقبة الكفر أو لم يخوفهم .

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)

نعم يفيد التحذير بالآيات ذوي العقول الأحرار الذين يتبعون الحق ولا يبالون بتقاليدهم إذا ظهر لهم الحق ويعلمون أن الرحمن ليس هو هذه الآلهة التي تعبد من أحجارٍ وأبقارٍ وبشرٍ وسوى ذلك .. وهؤلاء يؤمنون به بالغيب وهم المبشرون بالغفران والأجر الكريم .

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)

هذه هي صفات الرحمن ، لا آلهتهم تلك . إذ هو يحيي الأموات ويحصى أعمالهم التي باسروها في الدنيا ، وما خلّفوا بعد موتهم من آثار ، وكل ذلك مسجلٌ عليهم في كتابٍ لا غموض فيه ولا إبهام ، وهو الإمام المبين .

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣)

وهذا المثل المضروب لهم الذي تحقق فيهم كما تحقق في أهل انطاكية

من قبل ، هو من إعجاز القرآن الغيبي ، لأن الله وحده هو الذي كان يعلم نهاية أولئك الصناديد من الكفار الذين صرّعوا في غزوة بدر ، ولا يعلم بذلك أحد من قبل بل هم سخرُوا من إنذار هذا المثل لأنهم كانوا في ذروة القوة ، وكان رسول الله ﷺ ومن كانوا معه في مكان من الضعف مشاهد لهم فلا يمكن أن يتصوروا انطباق هذا المثل عليهم .

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْنَكُم مَّرْسَلُونَ (١٤)

وهذه الآية وما بعدها تفصيل للمثل المضروب لهم . والذي يمثل نهايتهم بعد قولهم ، لأن الله أرسل إلى أهل انطاكية اثنين من الرسل فأصروا على تكذيبهما فقواهم بثالث فأعلن الثلاثة أنهم مرسلون إليهم ، فكان جوابهم ما يأتي :

قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَتَزَالِ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِذْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)

فهم أنكروا رسالتهم لا لشيء إلا لأنهم بشر مثلهم ، وهذا أوهن سبب في الإنكار ، ومن أجل ذلك نفوا عن الله إرسالهم ونسبوا إليهم الكذب على الله . فكان ردهم حكماً لطيفاً إذ أكدوا إرسالهم إليهم .

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْنَكُم مَّرْسَلُونَ (١٦)
وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)

وبمقتضى علمهم أن حرية العقيدة ممنوحة من الله ، لكل انسان ،

لذلك تركوا لهم الخيار في إيمانهم ، أو في عدمه ، وأعلنوا أن واجبهم هو تبليغ دعوة الإيمان .

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)

ولكن هؤلاء الكفار لم يفتنوا لحرية الدعوة بالحسنى وجلال أقدارها وكبير منافعتها لهم بل أعلنوا أنهم تطيروا بهم وتشاءموا وهددوهم برميهم بالأحجار وانزال العذاب الأليم بهم ، إن استمروا في دعوتهم هذه .

قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُمْ مُسْرِفُونَ (١٩)

وقد أفهمهم المرسلون أن تشاؤمهم بهم هو منبعث من نفوسهم فهو معهم أينما ذهبوا ، لذلك كان تشاؤمهم من تذكيرهم لهم ونصحهم إياهم هو تجاوز لحدود العلم والحق والوحي . وهذا هو الاسراف .

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمُ أَجْرًا وَهُمْ مُبْتَدَوْنَ (٢١)

أقصى المدينة المقصود به مزارعها البعيدة عن العمران المتصلة بها . والعادة أن هؤلاء الريفيين يؤمنون لدعوة الحق ، وهذا رجل منهم قد بلغه ما أصاب المرسلين من أهل المدينة ، فجاء يجري ناصحاً قوميه باتباع المرسلين ، لأنهم على الحق ، واتباعهم له لا يكلفهم أجراً ومالاً يدفعونه اليهم لأن مقصدهم الوحيد هو الأخذ بالهداية التي يحملونها ويبشرون بها .

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)
 أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي
 شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣)
 إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)

فهذا الرجل الذي جاء إلى القوم الكافرين المتبنكين للرسل أفهمهم
 أن الهداية الحقة هي التي يحملها الرسل اليهم ، وهي عبادة الله وحده الذي
 اليه المرجع والمآب وأفهمهم أنه لن يتخذ من دون الرحمن آلهة لأن المتصرف
 في الوجود هو الله وحده ، وإن الآلهة لا تدفع الضر إذا أراد الله انزاله
 بانسان ولا تنقذه منه . والضلal الواضح الكبير هو الاعتقاد بخلاف ذلك .

إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)

وأفهمهم أنه آمن بالله الذي هو ربهم ورب كل شيء ، وطلب اليهم
 أن يستمعوا لهذا الايمان ويدعنوا له . ويفهم من محاورته لهم وتسفيبه
 لأحلامهم أنهم سخطوا عليه وبطشوا به ، وبذلك نال كرامة الشهادة في
 سبيل الدعوة إلى الايمان الحق وهنا أنعم الله عليه بما ينعمه على الشهداء
 المخلصين من غفرانٍ واکرامٍ وادخالٍ لعالم النعيم .

قِيلَ أَذْخِلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)

بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)

والله عز وجل أهلکهم جزاء تحديهم للايمان ، ومقاومتهم للعقيدة
 الصحيحة التي دعاهم اليها ذلك الرجل المؤمن مشفقاً عليهم ولم يهلكهم

بجنود انزلهم من السماء لاهلاكهم ، ولكن اهلكهم بالصيحة . والصيحة
ما ضربت امة إلا وجعلتها أجساداً هامدة لا حراك بها ولا حياة .

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا
مُنزِلِينَ (٢٨)

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)

وقد وهب الله الانسان حرية الارادة وما ارسل اليه رسله وما أنزل
عليه وحيه الا ليختار طريق النجاة والاستقامة ولكن الانسان في أكثر
أحواله وجل تصرفاته يتزع إلى الاعوجاج والكفر ويستهزئ بالرسل الكرام
مما يدعو إلى الحسرة عليه لما يلاقيه من عذاب في الدنيا والآخرة .

ويا ليت الانسان يعتبر بالأجيال الماضية التي اهلكها الله وأصبحت بعض
أثرية الأرض حتى لا يستطيعوا العودة اليهم في هذه الحياة الدنيا وكفى
بذلك عبرة لو كان الانسان من المعتبرين .

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١)
وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)

ونجد أن الله سبحانه وتعالى سيخرج من أثرية الأرض ذرات حياة
الانسان ونوایاته التي هو مائل فيها وهذا هو بعث الأجساد الانسانية من
أثرية الأرض ثم تصفى وتنقل إلى أرض واسعة صالحة لأن تسع البشر

ويتم فيها منح الحياة لتلك الذرات وهذا مشاهد للانسان في عالم النبات فكما أن الأرض كانت ميتة فأحيها الله بعالم النبات بعد أن كانت قطعة من النار لا حياة فيها ولا نبات وهذا هو مثل اخراج الحياة الانسانية من أتربة الأرض الميتة .

الا نرى ان الله حين أحيا الأرض الميتة بعالم النبات جعل فيها بساتين من النخيل والأعناب وفجر فيها أنواع العيون ليأكل الانسان من الثمار وما عملته يده من أنواعها بمقتضى التزاوج .

وَأَيُّ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ (٣٣)

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ
الْعُيُونِ (٣٤)

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

وهنا في الآية الآتية نجد أن الله كشف لعلم الانسان سر الحياة بل سر الوجود في التكوين من موجب وسالب وافهمهم أن هذا الازدواج هو حاصل في عالم النبات كما هو معروف في عالم الانسان بل افهمهم أن المسألة أعمق وأن الأزواج محققة فيما لا يعلمون من العوالم الأخرى ومن أجل ذلك ابتدأ الآية بالتسبيح والتثنية الذي يلق بجلاله وقدرته وعلمه .

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)

ونجد في الآية الآتية كشفاً علمياً رائعاً حيث أفهمنا أن الظلام والليل هو الأصل في الكائنات وأن النور يأتي من الكواكب والأضواء التي يبثها الله في الوجود فإذا كان ثمة حيوان ذو لحم أسود وجلده أبيض فإذا سلخت الجلد ظهر السواد الذي كان مختفياً ببياض الجلد ، وهذا المثل متمثلٌ في عوالم الفضاء فإذا أزيل عنها النور العارض عليها الذي هو النهار تعود الى الظلام كما لمس ذلك لمس اليد رواد الفضاء .

وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ (٣٧)

كما أن الشمس تجري حول محورها لمكان لها معين هي وما حولها من الكواكب ثم تعود إلى مركزها ذلك هو تقدير الله القوي العليم . ولعل طلوعها من المغرب هو اعلام من الله بنهاية العالم إذ في ذلك تغير لسنن الله التي اقام عليها العوالم المشاهدة والخفية .

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)

ومنازل القمر معروفة لعلماء الفلك الأقدمين والمحدثين وهي أربع وعشرون منزلة وفي كل منزلة يظهر القمر بمظهر يخالف مظهر المنزلة التي قبلها وآخر منزلة هي التي يبدو فيها القمر كعقود التمر القديم فانك تراه مقوساً مصفراً يابساً . وإن كان بعض المفسرين المحدثين يرون منازل القمر في أوجهه الثمانية التي يبدو فيها وبعضهم يراها ثمانية وعشرين منزلة .

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)

ومن الحماقة الظن أن الله الذي أقام الشمس والقمر والكواكب التي تجري في الفضاء بقدرٍ موزون لا يتقدم ولا يتأخر ثانية أو ما دونها عن ما هو مقررٌ لها في علم الله أن يحصل بينها تصادم .. هذا محال ما دامت

العالم مرتبطة بسنن التكوين التي ألزمها الله بها . وهذا شأن الليل السابق على النهار فلا يكون العكس . وقد روي عن عكرمة : لا يجتمع ليلتان ليس بينهما نهار بل تتعاقبان كما قدرهما الله تعالى .

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

وأقام الله آية للعلم الانساني هذه الفلك التي حملت ذراتهم وما يحتاجونه وتنتقل بهم من مكان إلى مكان ، وهناك فلك آخر مثل فلك البحر يحملهم أيضاً من مكان إلى مكان وهو فلك الهواء والذي خلقه الله ليكون لهم آية على اعجاز وحيه الغيبي .

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ (٤١)
وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)

على أن الفلك التي تجري في عرض البحر لولا حفظ الله لها لعرقت بذنوبهم ولا مغيث لصريخهم ولا منقذ إلا الله إذ رحمهم وأنقذهم وجعلهم يتمتعون بالحياة الى زمن معين .

وَأِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣)
إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاناً إِلَى حِينٍ (٤٤)

والبشر متى أصروا على الكفر ومارسوا الإغراض عن مثل وحي الله العليا لا يستجيبون لدعاة الإيمان ولو ذكروهم بالآثم الماضية التي هلكت بسبب إغراضها ولو أخافوهم بعذاب يوم القيامة ، على أن حال أكثرية البشر هو عدم الاهتمام حتى بآيات الله البينات وعدم المبالاة بها ، بل

يصرون على الاعراض ولا يخطر لهم على بال أن يتأملوا عجائب الآيات
ويدرسوا دلائلها العلمية اليقينية المعجزة .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)

والمؤمنون إذا ألحوا على الكافرين في الدعوة إلى الإيمان وطلبوا اليهم
الالتزام بأعماله الكريمة النافعة كانقضاء الطبقة الفقيرة من كوارث الفقر
وذكروهم أن الله رزقهم وأطعمهم ليرزقوا ويطعموا من هم دونهم ممن
في حاجة إلى الاطعام احتجوا عليهم بحجج شيطانية تظهر الهداية وتبطن
الضلال ثم ينسبون الضلال إلى دعاة الإيمان قائلين كان الله قادراً على
إطعامهم لو كانوا أهلاً لذلك .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَلْذِينَ
آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ (٤٧)

ولا يكفي هؤلاء الكافرين أنهم احتجوا بالقضاء والقدر احتجاجاً
مقلوباً بعيداً عن واقعه القطعي بل اضافوا اعلان كفرهم بيوم القيامة
مستبعدين وقوعه ومكذبين لهم في محيئه .

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)

وهنا يفهمهم الله عز وجل أن يوم القيامة لا يأتي إلا بغتة وهم
لا يزالون يتنازعون ويختصمون في شئون الدنيا حتى أنهم لا يتمكنون من
التوصية بل لا يتمكنون من العودة إلى منازلهم وأهلهم .

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)

نحن ندرك أن الجيش العظيم الرابض في مكان بأثقاله وخيامه وعدده إذا نُفِخَ له في البوق اعلاناً بقيامهم وانتقالهم إلى مكان آخر قاموا مسرعين واستجابوا لصوت البوق . هذه الصورة التي نعلمها مما نشاهده في غيحات الجيوش كلما انتقلوا من مكان إلى مكان يضربها الله لنا مثلاً لانتقالنا من عالمنا الذي نحن فيه إلى عالم الآخرة فنخرج من قبورنا أحياء بهذه النفخة المشتملة على سر الأحياء .

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١)

وحينئذ يتنادى المبعوثون قائلين: يا عذابنا ... من بعثنا من مرقدنا . وهنا يتذكرون ما قال لهم المرسلون عن هذا البعث وتحققه عليهم متبينين صدقهم .

قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ

وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)

جهل المرتابون من عرب الجاهلية في حقيقة البعث وكيف يتم وأمم الأرض شتى وأفرادهم لا يحصون عدداً والسبب أن صفات الله الخالق العظيم صغيرة في عقولهم لذلك يرون محالاً أن يتم البعث . ولو انكشفت لهم حقيقة الكائنات الهائلة المترامية في ابعاد الفضاء لأدركوا أن بعثهم وخلقهم لا يزيد عن بعث نفس واحدة ، نداءً واحداً يكفي لبعثهم وحشرهم بين يدي ربهم .

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَنِحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)

في ذلك اليوم توضع موازين العدل الألهي فلا يظلم أحدٌ مثقال ذرة ولا يجزى إلا بما قدم من عمل .

فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)

وهنا أخذ الله سبحانه وتعالى يصف عالمي النعيم والعذاب الذين أعدهم الله للمؤمنين المحسنين والكافرين المسيئين بما نراه بين أيدينا من وسائل النعيم والعذاب المقدر نواമيسه في عالمنا هذا، لنستحضر في أذهاننا حقيقة عالمي العذاب والنعيم المتغير لتواמים عالمنا هذا، إذ بغير ذلك لا يمكن أن نفهم حقائق عوالم الآخرة فذكر لنا أن أصحاب عالم النعيم في ذلك اليوم منصرفون بما هم فيه وفرحون بما يتفكهون به هم وأزواجهم يتقبلون في ظلال على الأسرة المزيّنة بكل جمال وهم متكئون فيها .

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ (٥٥)

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ (٥٦)

وقد أعدَّ الله لهم ما يطلبونه من كل نعيم ولهم فيها من كل أنواع الفاكهة وحسبك أن المولى الكريم في ذلك اليوم يؤمنهم الأمان المطلق الدائم ويسلم عليهم السلام الصادر من ينبوع ربوبيته ورحمته الذي لا ينقطع أبداً .

لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧)

سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨)

وذكر لنا أن أصحاب عالم العذاب يُفضلون في ذلك اليوم عن المؤمنين ويذكروهم المولى العظيم بأنهم يستحقون هذا الفعل لأنهم عبدوا الشيطان وهو عدوهم وانصرفوا عن عبادته على الرغم مما عهد إليهم به من نزول الوحي وطلب الإيمان به وحده مفهمهم أن ذلك هو الصراط المستقيم .

وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أُتِيهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩)
أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)

وهنا وجههم الوجهة الصحيحة التي هي الطريق المستقيم وهي عبادته سبحانه وتعالى وحده .

وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)
وافهمهم سبحانه وتعالى أن الشيطان أضل منهم خلقاً كثيراً فلا ينبغي أن يغيب ذلك عن تفكيرهم .

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)
وأُنذروهم سبحانه وتعالى بعذاب جهنم التي كانوا ينذرون بها وهؤلاء هم في ذلك اليوم يحترقون بها بسبب كفرهم .

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣)
أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)

وفي ذلك اليوم لا سبيل إلى كتمان الأعمال التي أسلفوها في الدنيا لأن الأفواه يتختم عليها والأيدي تتكلم عنها والأرجل تشهد بها .

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)

والله لو لم يمنح البشر حرية الارادة التي بها يستطيعون الكفر والايمان
لأعصى أعين الكفرة فلا يبصرون الطريق ولو تسابقوا اليه . وكذلك لو شاء
لغير صورهم الحسنة إلى صور قبيحة وأبطل قواهم فلا يقدرّون على
الرجوع إلى الوراء ولا الذهاب إلى الأمام ولو كانوا يملكون القدرة
والوجاهة .

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى
يُبْصِرُونَ (٦٦)

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا
يَرْجِعُونَ (٦٧)

وكان ينبغي للبشر أن يتفكروا في نهايتهم حين تطول اعمارهم فينتكسون
من القوة إلى الضعف ومن التماسك إلى الانحلال وكان هذا الأمر فيه
الكفاية إلى الاستقامة والايمان بدار الخلود .

وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)

وهنا أراد الله سبحانه وتعالى أن يفهم اولئك الذين ظنوا في القرآن
شيئاً من الشعر والخيال أن القرآن واقع علم الوجود وهو ذكر " وعظمة"
للمتأملين الدارسين له ، وفيه انذار للذين يملكون حياة حرية الارادة
ويقتلوها بالتقليد وحياة حرية الفكر ويقضون عايتها بالتسليم الأعمى الحالي

من البينة والبرهان العلمي اليقيني وهؤلاء حق عليهم القول بالعذاب .
وَمَا عَآمَنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ
مُبِينٌ (٦٩)

لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)

وهنا أراد الله عز وجل أن يكشف لهم عجائب ما أبدعت قدرته من
المخلوقات كالماشية من الأبقار والأغنام والإبل التي بين أيديهم يملكونها
ويتصرفون فيها كل التصرف وهي مذللة لهم ينتفعون بها في ركوبهم وفي
مآكلهم ومشربهم وسوى ذلك أفلا يجدر بهم بعد ذلك أن يؤمنوا به
ويشكروه وينصرفوا عن اتخاذ الآلهة من أفراد الكائنات التي يرجون منها
النصر والخير ولا خير فيها ولا نصر ولا نفع ولا ضر بل تلك الآلهة التي
اتخذوها من دون الله وعبدوها هم جنودها التي تنتفع بهم ويدفعون عنها
الآضرار .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ (٧١)

وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣)

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤)

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥)

ولا ينبغي لرسول الله أن يحزن عليهم حين يسمع أقوالهم الكافرة بالله

جل وعز التي تشتمل على تكذيب رسالته لأن هذا شأن الكافرين مع الرسل جميعاً وما دام الله يعلم ذلك ازلاً فلا ينبغي أن يستولي عليك الحزن .

فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

وهنا كشف الله لنبيه وللمؤمنين به هو ان الانسان الكافر بوجود الله وقدرته وكيف خلق من نطفة حتى سواه انساناً فاذا هو يشعل الحصومة معلناً لها غير خجلٍ من تفاحتها وسوء أدبه .

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧)

وأي تفاهة أصغر من قولهم من يحيي العظام بعد ان تبلى وتصير رمياً ناسين أو متناسين انهم خلقوا من تراب الأرض أول مرة ولا عظام ولا رميم وكذلك يخلقون ثاني مرة .

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ

رَمِيمٍ (٧٨)

وهنا يرشد الله نبيه إلى البرهان العلمي اليقيني الذي يكشف تفاهة هذه الأقوال الهوائية وكيف انشأ الله كل مخلوق على علم دقيق مكون بمقتضاه . فالعلم الإلهي الذي كُوِّنَ به الانسان أول مرة هو نفسه الذي يُكوِّن به للمرة الثانية .

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)

ثم يعرض الله على رسوله الكريم براهين علمية يقينية مشاهدة تثبت حقيقة البعث اثباتاً لا ريب فيه ... هذا الشجر الأخضر الذي هو مصدر النار كيف يمتص الحرارة من الشمس ويدخرها فيه حتى إذا تحول فحماً حجرياً

مع تعاقب الأجيال أو بترولاً إذا أذابته العوامل الطبيعية في أعماق الأرض مع حيوانه فإنه يكون مصدراً للنار والغاز ، لذلك كان التعبير بالشجر الأخضر بدلاً من الشجر اليابس الذي هو مصدر الفحم والخطب المعلومين قديماً مقصوداً لإثبات البعث علمياً والا فقد يقول الجاهل الغبي ما دخل الشجر الأخضر وناره هنا في ذكر البعث .

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠)

على أن الرجل المفكر المنطلق إذا فكر في خلق السموات والأرض وتكوين العوالم المترامية في أبعاد الفضاء أدرك أن الذي أوجدها قادرٌ على أن يوجد مثاها فما بالك بخلق الانسان الضعيف ، لذلك لا يسع المفكر العالم إلا أن ينادي ويقول بلى إن الذي خلق كل هذه العوالم قادرٌ أن يخلق مثلها كلها ، لا خلق الانسان وحده .

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)

وقدرة الله لا تحيط بكنهها العقول لأنها عظيمةٌ عظيمةٌ ويكفي لكي تدرك مدى عظمتها أن تتلو هذه الآية :

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)

وهنا يجب أن يهتف المؤمنون من أعماق قلوبهم متزهين المولى سبحانه وتعالى عن كل عجزٍ وكل نقص وكل صفةٍ لا تليق بجلاله وهم يعلمون

كل العلم أنه يملك ملكوت كل شيءٍ وان مرجعهم اليه وهو الغفور
الرحيم .

فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

صدق الله العظيم

انتهى تفسير المعاني ومجمل مدلول الآيات .

المَوْضُوعُ الْخَامِسُ
عَرَضُ مُعْجَزَاتِ سُورَةِ يَاسِينَ

توطئة

فهمنا مما تقدم أن القرآن المجيد كله آيات بينات ومعجزات متحديات كل معارف البشر ، ما دام في هذه الأرض بشر يكتشفون من معارف الكائنات ما يكتشفون !!

واني هنا أعرض جانباً من المعجزات المدخرة في سورة ياسين .
المعجزات التي تفضّل الله عليّ بالتعرف إليها في غضون دراساتي .
وفي اعتقادي أن ثمة معجزات أكبر وأعمق سيكشفها الله عز وجل للعلماء الأحرار الأبرار المتعمقين ...

ولن يحبس الله جل وعز فيض علمه عن ذوي النوايا الخيرة الحازمة .
ورأيت من المناسب أن أعرض هذه المعجزات عقب التفسير الأولي للدلولات الآيات لأن هاتيك المدلولات الأولية بمثابة المنار الهادي إلى الشاطئ الآمين السفن النათية .

وسيرى المطالعون أنني على كل حال ألتزم الدلائل اليقينية لدى ذكر المعجزات .

إذ لا يجوز لأحد مهما بلغت به حماسة الإيمان أن يحمل الآيات الكريمة من الأهداف ما هو غريب عن دلالتها اليقينية . ومعجزات القرآن الكريم في غنى عن ذلك ، لأن دلائل المعجزات مدخرة في صميم ألفاظها ، وفيها كفاية الكفايات عن الزيادة والنقصان ، والحق أن كل زيادة ونقصان عن الدلائل الأصلية المستنبطة من صميم ألفاظ الآيات هو افتئاتٌ فاحش على يقين العلم بدلائلها وإن حسب ذلك سنداً لها إذ لا بد أن يكشف اطراد التقدم العلمي في يوم ، بطلانهُ لأن مبناه من الظنون ، وما تبنى الظنون وشيك التداعي . وهذا ما لمسناه في بعض ما ذكره الرازي في تفسيره من معارف القدماء الظنية ، وفي بعض ما ذكره طنطاوي جوهري في تفسيره من معارف المحدثين الظنية .

والحق أن المعارف التي لم تبلغ اليقين العلمي لن تصلح مدلولاتها أن تكون شواهد تأويل لمدلولات الوحي اليقيني . ومتى دخلت فروض العلمي وظنونها وأوهام الأساطير وترهاتها في أية ناحية من نواحي التفسير فإنها تدخل معها التأويلات الشاطحة والفلسفات المتناقضة والاسرائ依ليات الشاردة المتهافة .

وحينئذ يتحول تفسير القرآن المعجز المتحدي إلى مناهات عمياء ، وادغالٍ ملتوية جوفاء تصفر في أنقابها وتسرح وتمرح مرده الجن والانس .

وفراراً من الوقوع في مثل هذه المهاي السحيقة بذلت قصارى جهدي في أن يكون عرض دلائل معجزات الآيات الكريمة قسماً متأقلاً من صميم فحواها .

ورجائي إلى العلماء الراسخين الذين يتعقبون ما يؤلف حول معجزات

القرآن من قريب أو بعيد. !!! ان ينعموا أنظارهم في - مؤلفي هذا -
بعمق ووعي ونزاهة وإخلاص لله والعلم والحق .
ويقيني أنهم إذا التزموا ذلك أرضوا الله عز وجل وأنصفوا يقين
العلم وانتصروا أنور الحق في تقديمهم ...
وهل بعد الحق إلا الضلال .

معجزة الإنسان الكامل في مدلول لفظة آيس

آيس (١)

المتعارف لدى السلف ، أن مدلولات لفظة « آيس » ثلاثة :

- ١ - آيس : إنسان .
 - ٢ - آيس : لفظ مدلوله رمزيّ خاصّ موجه الى رسول الله ﷺ .
 - ٣ - آيس : علم للسورة
- وكون لفظة آيس مشتملة على مدلول رمزيّ خاص برسول الله وهو المدلول الثاني . وكونها علماً للسورة وهو المدلول الثالث لا يناهزان المدلول الأول الذي هو انسان .

وهذه المدلولات الثلاثة المتعارفة هي من قبيل التوسعة اللغوية في المدلولات المسماة بالاشتراك اللفظي .

وهذه التوسعة اللغوية يدور عليها محور التطور التقدمي المطّرد لا في لغة العرب فحسب . بل في كل اللغات . . واطلاق لفظة آيس لمعنى إنسان على رسول الله ﷺ يكشف تحقيق معجزة افاض علماء الحضارة المعاصرون الحديث عنها . تلك المعجزة هي تحقق مجيء الانسان الكامل الذي ينشدونه ويتغنون به .

والانسان الكامل هو الذي يتحقق فيه الكمال الانساني بشطريه المادي والروحي وعلى رأس هؤلاء العلماء « آينشتين » . وقد بدأ نشد (ديوجين) الفيلسوف اليوناني الانسان الكامل حتى بلغ به الأمر فكان يطوف في شوارع أثينا بمصباح يديه من أوجه المارّة، فقال له أصحابه عمّ تبحث؟ فقال لهم أبحث عن إنسان .

إذاً فالبحث عن الانسان الكامل قديمٌ جداً وقد تحقق في رسول الله ﷺ وتحققه فيه هو إحدى معجزات القرآن التي ابتدأ بها هذه السورة يس وهذه أعماله وأمجاده وسيرته وشمائله وآثاره العظيمة الخالدة هي آية تحقق كماله الذي هو المثل الأعلى ...

ولو علم (آينشتين) ما عامه الدارسون المتعمقون في حقائق سيرة رسول الله ﷺ لعلم أنه هو الانسان الكامل الذي ينشده . وأنه هو أسوة الانسانية الحسنة في كل خصال الخير .

ويؤكد ذلك قول الله تعالى في سورة النساء إذ أطلق عليه لفظة الناس في قوله :

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٤ — ٥٤)

وهذا الاطلاق متحقق في سيرته ﷺ مادة ومعنى . ومهما يكن فاتجاه العلماء الى بحث الانسان الكامل واعتقادهم أنه لا بد أن يتحقق وجوده هو آية اعجاز القرآن الذي اطلق الناس على رسول الله تارة والإنسان تارة أخرى .

إذاً فهذه معجزة الانسان الكامل وهذه خصائصها وممكناتها الكمالية قد تحققت في رسول الله ﷺ الذي يقول فيه (حسان بن ثابت) :
له هم لا تنتهى لكبارها وهمة الصغرى أجلّ من الدهر

معجزة القسم بالقرآن الحكيم

على صدق الرسالة

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)

« و » . الواو واو القسم كما يقسم أحدنا بقوله : والله إن سيدنا محمداً رسول الله . ولكن نحن لا يجوز أن نقسم إلا بالله وصفاته لأن القسم به يكشف حقيقة ما أقسمنا له لما في الحث في القسم جل وعز من تجريم ومؤاخذه شديدة . أما الخالق العظيم فإنه يقسم بما يشاء من الكائنات ليلفت أنظارنا إلى ما أودع في الكائن المقسم به من غرائب الخلق الدال على جلاله وإرادته وقدرته كما يقسم بنفسه وصفاته وأفعاله لمثل هذا المراد الكريم .

« القرآن » .

وهنا المقسم به هو كلامه والمراد من هذا القسم واضح إذ هو إلفات نظر الأجيال من العلماء والأدباء والمفكرين إلى ما أودع في القرآن المجيد من المعجزات الدالة على أنه كلامه المتزك . المثبت رسالة سيدنا محمد

ثبوتاً علمياً قطعياً لا شبهة فيه ولا ريباً ۞

وهذا القسم حث للمنكرين الأغبياء والمتحاملين الخبيثاء والجاحدين
المصرين إلى أن يحترموا العلم الواقع بين أيديهم في القرآن المجيد، ويأخذوا
في درسه بتجرد واخلاص وامانةٍ وصدق .

والخلاصة أن هذا القسم بابٌ واسعٌ من التحدي المعجز بالقرآن
المجيد . من أجل تأكيد صدق رسالة سيدنا محمد ، وأبواب التحدي
المعجز بالقرآن المجيد شتى . وهذه بعض نصوص التحدي :

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ
تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢ — ٢٣ و ٢٤)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا
مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١ — ١٣)
قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (١٧ — ٨٨)

وقد زعم بعض المحاضرين أن هذا القسم بالقرآن على إثبات نبوة
سيدنا محمد هو مخاطرة مخيفة . لأنه كان في أول الدعوة ولم يكن القرآنُ

الكريم قد تم نزوله ولا يدري أحدٌ أنتجح الرسالة ام لا . والواقع أن نجاح الرسالة مؤكد من الله عز وجل يقيناً من قبل نزول القسم ومن بعد نزوله .

ومهما يكن فقد يكون هذا القسم مخاطرة كما زعموا لو لم يكن المقسم بالقرآن المجيد هو رب العالمين ، على أن هذا القسم هو تحدٍ معجز لشوامخ العلماء والمفكرين والمثقفين لكي ينظروا في القرآن ، فإن استطاعوا ان يبتلوا اعجاز القسم فليفعلوا لأن الميدان فسيح وباب التحدي واسعٌ وباق إلى يوم القيامة .

وكون رسول الله ﷺ كان يلقي التكذيب والأذى والكيد والمؤامرات من كفار قريش متواترٌ على ألسنة الأجيال ... ولم يقتصرُوا على قولهم لرسول الله ﷺ لست مرسلًا^١ بل كانوا يتبعون جمود القول بجمود العمل لذلك كانت مفاجأتهم بقسم الخالق العظيم بنفس القرآن حدث عظيم وحجة قائمة إلى يوم القيامة ، ما دام هناك جاحدون للقرآن المجيد ولرسالة سيدنا محمد ﷺ ولأجل اظهار افتراء المكذبين سواءً أكانوا من القدماء أو المحدثين ولأجل اعلان انهم جميعاً يأخذون بالظن والوهم والتقليد والأسطورة وانهم يفقدون الحجج العلمية القطعية جاء اثبات رسالة خاتم رسل الله بالتاكيد الصارم .

سورة ٣٦

يَس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . اية ١ - ٢ - ٣

لأن هذا القسم هو بمثابة قول الله عز وجل أوكد أن محمداً هو رسولٌ من جملة المرسلين الذين سبق ارسالهم إلى الخلق وهذا التأكيد الصارم مستندٌ على الحجة القطعية المشاهدة المحسوسة إلى يوم القيامة الذي

١ « ويقول الذين كفروا لست مرسلًا .. » ١٣ - ٤٣ .

هو القرآن المجيد المقسم به . إذ لا فائدة من تأكيد خالٍ من الحجّة القطعية مثل أن يقول قائلٌ اسطوريٌّ أقسم بالله العظيم أن باقلاً لحكيم بليغ كالإمام علي ، إذ مفهوم للجميع أن باقلاً أهوج غبي فناط التأكيد في هذه العبارة سخرية من السخریات لأنه خالٍ من البينة التي تكشف انه الواقع اليقيني .

وهكذا يظل هذا القسمُ معجزة غيبية متحدية كل ريب باطلٍ إلى يوم القيامة .

معجزة الرسالة

على صراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)

نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)

هذه الآية توضح أن القسم بالقرآن الحكيم الذي يُبْنَى عليه صدق رسالة سيدنا محمد أنه حق محض لا ريب فيه وأنه على طريق مُنْتَزِلٍ من الله عز وجل هو طريق العلم والحق والخير وطريق الهداية والمثل العليا والمعجزات الباهرات وان الذي أنزله هو الله القوي العزيز المسبغ رحمته على عباده .

وما أفهمنا الله أن القرآن المجيد الذي يسير على هداية رسول الله ﷺ هو تنزيل من مصدر العزة والرحمة إلا لكي نأخذ في دراسته وانعام النظر في آياته لنعلم انه الحق الذي لا ريب فيه والعلم اليقيني المؤيد بالمعجزات الباهرات ولولا ذلك لما اقسم الله به مراراً :

لِتَنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)

خالَ بعض السطحين ان هذه الآية وأمثالها ، مثل :

• لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ، (٩٢ - ٦)

• وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، (٢٦ - ٢١٤)

• لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، (٩ - ١٢٨)

ان رسالة سيدنا محمد - خاصة بقومه العرب كأن صاحب الرسالة العامة في زعمهم لا ينبغي أن ينذر قومه ولا يُطلب منه ذلك ، فاذا طلب منه ذلك وانذرهم قصرت رسالته عليهم . وهذا القول أشبه بما يتندرون به عن جحا الذي كان يعظ العامة في المسجد فقال له يوماً أحد جيرانه خصّ اهلك ببعض الدروس كما تدرس العامة فانصرف جحا صامتاً ولم يحضر بعد ذلك إلى المسجد لتدريس العامة . ومَرَّتْ الأيام تبعاً فذهب ذلك الرجل اليه وقال اين أنت يا جحا والناس ينتظرونك كل يوم في المسجد لتعظهم؟ فقال اني أعظ أهلي . فضحك الرجل وقال وهل وعظك لأهلك يمنعك من متابعة وعظك للناس؟ فرد عليه جحا بقوله أستطيع ان تحمل بطيختين في يدي واحدة قال الرجل نعم أحملها في زنبيل فاقتنع جحا وعاد إلى تدريس العامة .

ولا أدري هل هؤلاء السطحيون يقتنعون كما اقتنع جحا ويدركون أن انذار رسول الله ﷺ لقومه ودعوتهم الى الإيمان لا يمنع ذلك من انذار الناس كافة ودعوتهم الى الإيمان وأكثر هؤلاء القاصرين رسالة سيدنا محمد ﷺ على قومه العرب هم من الغربيين الذين لم يطلعوا على النصوص القطعية المعلنه انه مرسل الى الانسانية كافة وانه خاتم الأنبياء ، ولو انهم اطلعوا عليها لما امكن ان يقولوا بذلك لأن قولهم حيثذ يكون افتئات على واقع العلم اليقيني وتقول " من أنفسهم " ، انظر الى قوله تعالى :

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا .

(٢٥ - ١)

وقوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّ وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ (٧ - ١٥٨)

أضف إلى ذلك الرسائل التي وجهها رسول الله ﷺ إلى ملوك عصره
طالباً منهم الإيمان برسائله فلو أن رسالته خاصة بقومه العرب لكان عمله
هذا مخالفاً لما أنزل الله إليه من الوحي ومحال أن تكون منه مخالفة ما .

وكم هم الذين يذيعون الجهل باسم العلم ويلبسونه زوراً وبهتاناً أثواب
العلماء وما هم من العلم في شيء . والحق أن هؤلاء القوم ليسوا من الأمناء
على واقع العلم اليقيني وليسوا من سمو الخلق بمكان .

لعلهم كرهوا أن تكون رسالة سيدنا محمد ﷺ عامة ، واشتهوا أن تكون
خاصة بقومه العرب فزعموا أن ذلك هو نصوص الوحي المنزل عليه
ليظهروا جهلهم هذا بمظهر العلم فذكروا النصوص بصورة مشوهة مقلوبة
قاتلهم الله وجنوا على يقين العلم شر جناية وهم ذوو اغراض اجرامية
في حق العلم . والغرض "مرض" نفسي لا علاج له .

ولدى هؤلاء لا يختلف قولهم في قصر الرسالة على العرب سواء
جعلت (ما) في قوله تعالى :

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ٦-٣٦

(نافية أو جعلتها مصدرية أي انذار آبائهم) .

ومهما يكن فجملة الآيات الدالة على عموم رسالة سيدنا محمد هي
إعجاز غيبي مخبرة ضمناً أن سوف يأتي من يزعمون أن رسالته ﷺ
خاصة بقومه العرب .

اصرار أكثرية البشر على الايمان بالظنون والالوهام

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧-٣٦

أكثر البشر يؤمنون بمواريث الآباء وتقاليدهم المبنية على الظنون والالوهام والخرافات ويسجنون أنفسهم في سجونها المظلمة ويمقتون الانطلاق والتفكير في حقائق القضايا اليقينية التي تعرض عليهم .

زد على ذلك أنهم يمقتون الكبت بالمثل العليا التي تحرمهم من الشهوات الآثمة واللذات الشريرة القاتلة لذلك حق على أكثرهم وقوع العقاب .
وفي صميم وحي الله اليقيني نصوص كثيرة تكشف كنه هذا الواقع المرير .

والله يذكر لنا في وحيه أن قوم سيدنا ابراهيم الذين كانوا يعبدون المخلوقات ويتركون عبادة خالقها عز وجل يذكر أنهم كانوا يتعللون بمواريث آبائهم :

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٢١ - ٥٣)
وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَىٰ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٣١ - ٢١)
وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (٥ - ١٠٤)

وعلى كل حال فإعجاز الآيات ظاهر لأن أكثرية البشر يعيشون مقلدين
وليس لهم من دليل يقيني على تقليدهم في كل عصر وقصر .

وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ .
(٤٣ - ٢٣)

إذا فتقع عليهم تبعة المسئولية وقد أدرك علماء الاسلام الأقدمون حقيقة
تأثير التقاليد في أكثرية البشر لذلك اختلفوا في ايمان المقلد في الاسلام
محاربة للتقليد ومقتاً له :

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٢ - ١٠٣)
لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٤٣ - ٧٨)
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٢ - ١٠٦)

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، هَذَا ذِكْرُ
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ
مُغْرَضُونَ (٢١ — ٢٤)

أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُ
لَا يَعْلَمُونَ (٢٧ — ٦١)

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا
إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤ — ٣٧ و ٣٩)

وهذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم هي ثابتة باقية الى يوم
القيامة .

وما أجهل الذين يظنون في الامكان اجـماع البشر على الايمان بالحق
اليقيني الثابت فإذا كانت أكثريتهم لا يمكن أن تجتمع على ذلك فما بالك
بجميع البشر .

معجزة كشف واقع التقاليد واضرارها

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨)
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) ٣٦ (٨-٩)

ان هاتين الآيتين كشفتا السبب الذي يجعل اكثريّة البشر ترفض واقع العلم اليقيني الذي يحمل لهم الايمان الصحيح وتؤثر عليه الظنون والأوهام ومواريث الآباء الباطلة وخرافات العصور الحجرية الجامدة والسبب هو هيمنة سلطان التقاليد على المجموعة النفسية هيمنة تطفئ شعلة الفكر الواعي المتحرك ، وتميت حاسة التمييز بين السيئ والحسن والأحسن .

أجل إن هاتين الآيتين عرضتا علينا وضع المقلدين الذين يكفرون بواقع العلم اليقيني ودلائله القاطعة ويؤمنون بالظنون والأوهام ، عرضناهم في صورتين حسنتين راعيتين لن نجد لهما مثيلاً في البيان الانساني .

١ - ففي الآية الأولى نجد المقلدين قد لُفّت الأغلال بأعناقهم ورفعت حلقاتها أيديهم الى اذقانهم بقوة حتى غدت رؤوسهم مقمحة

لا يستطيعون معها أن يحركوها لا إلى جهة اليمين ولا إلى جهة الشمال
ولا إلى ما بين أيديهم ولا إلى ما خلفهم .

وما هذه الصورة الحسّية الظاهرة الا ظلالٌ للصورة الباطنة التي شدت
مجموعاتهم النفسية شداً محكماً جعلهم جامدين على ما هم عليه من ظلمات
الباطل والأساطير والظنون غير قادرين أن يلتفتوا إلى نور الحق اليقيني .
من أي جهة ظهر وفي أي لون بدا .

٢ - وان هؤلاء المقلدين أنفسهم وهم موثقون بالأغلال قد اقيمت
حولهم سدود التقاليد التي تحول ما بينهم وبين مشاهدة أضواء الحق ،
وكيف يشاهدون أضواء الحق ومن فوق السدود ارسلت عليهم اغشية
صفيقة من تقاليدهم تؤكد منعهم من رؤية أضواء الحق حتى لو نزع
أنفسهم إلى ذلك في يوم من الأيام .

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)
١١-١٠ ٣٦

هذه الآية الكريمة تكشف حال المقلدين في أعماق أنفسهم وهي الجمود
المتحجر الذي لا انفكاك منه فإنذارهم بالبراهين اليقينية وعدم انذارهم
سيان لأنهم لن يؤمنوا بغير ما تحجرت عليه أنفسهم .

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)

إننا نجد هذه الآية الكريمة تبين بعد فقد رجاء إيمان المقلدين الجامدين
ان الرجاء متوفر في صنفين من البشر ... قطعاً هم ليسوا من المقلدين
الجامدين إذ لو كانوا منهم لما آمنوا أبداً انذروا أو لم ينذروا .

١ - الأحرار الذين يحيون حياة فطرة الإيمان اذ هم بمقتضى حريتهم

يطرحون التقاليد الباطلة تحت أقدامهم وبمقتضى حياة فطرة الإيمان في أنفسهم يطلون يبحثون عن الإيمان الصحيح المؤيد بالبراهين القطعية فأنى يجدونه يؤمنون به . وهذا الذي كان منهم ويكون . فأنهم يتبعون القرآن ويخافون الرحمن بالغيب وهم يعلمون انه رب العالمين وخالق الخلق أجمعين .

٢ - الذين نحيا مجموعاتهم النفسية حياة الوعي والعلم والنقد والتمييز بين حقائق الإيمان ، وهذه هي الحياة التي يمتاز بها البشر عن الأموات الذين يحيون حياة الدواب وهذا منصوص عليه في هذه السورة الكريمة بالذات :

لِتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا

وقوله تعالى في سورة الأنفال أيضاً :

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٨ - ٥٥)

وهذان الصنفان من البشر هم الذين يتقبلون الانذار ويستطيعون أن يحطموا اغلال التقاليد واتباعها ويتبعوا القرآن المعجز الحافل بالدلائل اليقينية وهم المبشرون من الحق جل وعز بالمغفرة والرضوان والأجر الجزيل الحسن .

معجزة إحياء الموتى

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢) ٣٦ - ١٢

إن الله عز وجل في هذه الآية الكريمة يؤكد تأكيداً مبرماً انه هو وحده الذي يحيي الموتى لا الآلهة التي جُمِدَ على عبادتها المقلدون المتحجرون الذين تقدم ذكرهم سواء كانت من عوالم الأرواح أو من عوالم المادة لأن تلك الآلهة مخلوقة والمخلوق لا يستطيع ان يمنح الحياة لمخلوق مثله قد عُرِّيَ منها واصبح جماداً لذلك كان تقليدهم المتحجر هو جهل في جهل وكفر في كفر .

لذلك إذا نظرنا الى الجاحدين إحياء الموتى نجد أكثرهم من عبادة الآلهة المتخذة من اشياء الكائنات المخلوقة وهي حملاً أصغر من أن تحيي نملة أو ذبابة ولو انهم احاطوا علماً بسعة الكائنات وكثرتها سواء ما علمه البشر في هذا العصر الحديث بمراقبهم وعرباتهم الفضائية ومحطاتهم أو لم يعلموه بعد وهو الأكثر لأدركوا أن إحياء الموتى مرة ثانية أهون من ابتداء خلقها . على اننا اذا وجدنا بعض المثقفين ينكرون إحياء الموتى

فهم إما ملاحظة لم يعلموا بعد حقائق عوالم الطاقات وما تشتمل عليه من عجائب التكوين وأسرار الخلق في هذا الوجود ، وإما لم يتمكن الايمان العلمي اليقيني في أنفسهم ولم يتبينوا براهينه ودلائله القطعية . فهم ينكرون إحياء الموتى ليظهروا بمظهر العلماء والمفكرين على زعمهم أمام بسطاء البشر وعوامهم .

ولا ريب أن الذين ينتقلون من هذه الدار هم يتركون في دنياهم آثار أعمالهم المحصية عليهم الى جانب ما قدموه لآخرتهم . وهذه وتلك كلها مكتوبة ومحصية في كتاب بيتن لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ومن أجل ذلك جعل الله عز وجل إحياء الموتى على يد بعض الرسل برهان وجوده وآية صدقهم . انظر حادثة خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه السلام مع نمرود زاعم الألوهية لنفسه :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُنْحِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .
(٢ — ٢٥٨)

وجاء أيضاً قوله تعالى في سورة البقرة :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُنْحِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوْمِنُ ،

قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَظْمِنَ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ أَدْعِهْنَ
يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا ، وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢ - ٢٦٠)

وهذا ما جاء لصدق رسالة سيدنا عيسى عليه السلام هذا الموضوع :
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، أَنِّي
أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ
اللَّهِ ، وَأُنشِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي يُوْتِكُمْ ،
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٣ - ٤٩)

وعلى المطالع أن يتلو هذه الآية الكريمة قبل أن ينتقل الى سواها :
إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦ - ٩٥)

ان الذي ينظر بعين اليقين العلمي الذي كان سبباً في نزول هذه الآيات
بجد الاعجاز الغيبي بيناً ناطقاً فيها ، إذ اندرت هذه الآيات زعماء قريش
بالحلاك مثل هلاك أصحاب القرية المضروب لهم به المثل، وكما ان أصحاب
القرية استحقوا الهلاك بالصبيحة بعد أن توالى عليهم الرسل وتوالى منهم
الرفض والاصرار على الكفر وتهديدهم للرسل بالرجم والقتل إن لم يكفوا
عن الدعوة حتى أهلكهم الله وأصبحوا أثراً بعد عين .

وهذا شأن زعماء قريش لأن الله سبحانه وتعالى انزل القرآن على خاتم

رسله سيدنا محمد ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً وقد كرر الدعوة لقريش مرة بعد اخرى وسور القرآن المجيد تتابع نزولها عليه في مكة المكرمة قبل سورة آيس حتى بلغ عدد السور المتزلة تسعاً وثلاثين . وفي هذا القدر اصول العقائد وحقائقها اليقينية وهو كاف لإيمانهم لو تدبروا وتفكروا في ما انزل ولكنهم رفضوا التدبر والتفكر في آيات الله ولم يزدادوا إلا اصراراً وكفراً وأذىً وتدبيراً للمؤامرات للقضاء على رسول الله ﷺ واحباط الدعوة ، ومن أجل ذلك استحقوا أن ينذرهم الله بالهلاك كأصحاب القرية الذين أهلكهم بالصيحة وكان هذا الانذار باهلاكهم هو من اعجاز القرآن الغيبي .

معجزة انتصار الرسل ومصير المكذبين

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣)
إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤)

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩)

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)
وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)
أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣)

إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)
إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)
قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)
بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)
وَمَا أَتَزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا
مُنْزِلِينَ (٢٨)

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)

٢٩ - ١٣

٣٦

والحمد لله فإهي إلا أشهر معدودات حتى جمع الله لرسوله الكريم
جلّ زعماء قريش في غزوة بدر وهم في كثرة من العدد والعدد قد
ركبهم الغرور ونفختهم الكبرياء ، ورسول الله في قلة من العدد والعدد
فلم تغن كثرتهم من الله شيئاً فأهلكوا جميعاً بيد المؤمنين الصادقين القلائل

وقذفوا في قلب^١ بدر ، وأخذ رسول الله ﷺ يخاطبهم واحداً واحداً فيقول : يا أهل القلب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة ويا أمية ابن خلف ويا أبا جهل بن هشام وأخذ يعدد من قذف في القلب واحداً واحداً ثم قال أخيراً يا أهل القلب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقاً . فقال له أصحابه أتناذي قوماً جيئوا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا .

لأن الذي يبصر ويسمع في الحقيقة هو الروح لا الجسد المكون من التراب وأصوات عالم الروح انما تُسمع من وراء المادة كما تسمع هي .

يا حسرة على العباد فانهم لا ينظرون إلى الآيات الماثلة بين أيديهم الدالة على صدق رسالة رسل الله إليهم ولو نظروا بعين البصيرة والعلم اليقيني لامتنعوا عن السخرية والاستهزاء وآمنوا ، الا يرون القرون الذين اهلكهم الله وانتقلت أرواحهم إلى العالم الثاني وقد انكشف لهم عالمُ الروح ولمسوا الحق الذي جحدوه وانهم ليتمنون الرجوع إلى الدنيا ويؤمنوا ولكن لا عودة لهم .

وهذا مصير كل الأمم ومرجعهم إلى الله عز وجل .

١ قلب أي بئر وكانت لا ماء بها مهجورة

البشر وتكذيب الرسل

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ، مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١)
وَإِنْ كُلُّ لُحْمًا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) ٣٦ ٣٠-٣١-٣٢

ومن أجل ذلك أنزل الله هذه المعجزات في الآيات الآتية وكشف حقائقها لتكون واقية للأجيال من الهزء والسخرية برسل الله ووحيه ولتكون في الوقت نفسه الحجج القطعية اليقينية على صدق وحي الله وصدق رسله صلوات الله وسلامه عليهم . فلا يكذبهم البشر بعد ذلك .

والقرآن المجيد كما هو آية على صدق رسالة خاتم الرسل سيدنا محمد كذلك هو آية على صدق الرسل كافة .

معجزة تكوين الارض

وآيَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ (٣٣) ٣٦ ٣٣

يكشف الله لنا في هذه الآية معجزة تكوين الأرض حيث انها كانت خالية من الحياة (ميتة) وأن الحياة طرأت عليها بسر قدرة الله خالقها ، وان البذور الحية كافة المشتملة على سر الحياة أوجدها الله من نفس الأرض بعد أن لم تكن ، ومن هذه البذور ، وجدت الحقائق والمروج والثمرات من نخيل وأعناب وسواها . لأن الله عز وجل يذكر أنه فجّر الماء تفجيراً لتعطي الحياة إلى البذور كافة .

الماء الذي جعل الله منه كلَّ شيء حي .

ومن ثمار هذه الحبوب بعد نضجها وقطافها يأكل منها البشر كما يأكلون مما يضيفونه اليها بعلومهم وما صنعتهم أيديهم ، وفي كل ذلك معجزة آيات القرآن التي عرفها العلم اليوم ووصل إلى أن الأرض كانت كتلة نارية ميتة ، وقد بردت قشرتها على مر الحقب بواسطة الماء الذي غمرها . وإن كان العلم لا يزال يحلّ كيف طرأت الحياة على الأرض

الميتة وكيف تطرأ وتتجدد كل يوم ، إذ في كل ذلك آية علمية معجزة تدل على أن القرآن الكريم وحي الله الحق ، وتدل بالتالي على صدق خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي أنزل عليه هذا القرآن حجة العلم اليقينية المثبتة صدق رسالته ورسالات الرسل جميعاً:

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ

الْعُيُونِ (٣٤)

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

٣٥-٣٤

٣٦

والاعجلز الظاهرة في هذه الآيات هو التصريح بأن ليد الانسان العالمة في عالم النبات تحسينات ظاهرة صريحة في قوله تعالى : (وما عملته أيديهم). إذ لم نفهم من قبل أن ليد الانسان العالمة عملاً في عالم النبات من تطعيم وتنويع وتحسين وتلوين وتوليد وما إلى ذلك إلا في هذا العصر ، وأما الفهم ان ذلك مقصور على الطهي وصنع المربيات فهو قصور في العلم والعقل ، وقصور في فهم ان القرآن وحي الله المعجز المكون لكل شيء والعالم لكل شيء والمهيمن على كل شيء .

وآيات القرآن كما تدل على انفتاح السموات والأرض تدل على أن تكوين الأرض تم بعد الانعقاد قبل تكوين السموات .

معجزة الأزواج في التكوين

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) ٣٦

يفهمنا الله عز وجل أن الكائنات المادية التي يحويها الوجود هي أزواج أي مؤلفة من الموجب الذي يرمز اليه بالذكورة ومن السالب الذي يرمز اليه بالأنوثة في عالمي النبات والحيوان وفي ما لا نعلم من العوالم الأخرى، ومرت الأجيال عقب الأجيال ولم يكشف الاعجاز العلمي الذي يشتمل عليه قوله تعالى : (ومما لا يعلمون) حتى جاء هذا العصر الحديث وشرع العلماء يبحثون في تحليل العناصر المادية وذراتها حتى وصلوا إلى فلق عالم الذرة فإذا هي مشتملة على أزواج ، فوحي الله هو الأصل الذي يشتمل على الحقائق اليقينية وأما العلم الانساني فكلما جدّ في السير وتقدم اهتدى إلى كشف معجزات القرآن المجيد وما تشتمل عليه من غرائب المعارف وحقائق العلوم في صميم التكوين . انظر في هذه الفقرة من المحاضرة التي ألقاها المهندس علي الحجار عضو معهد المخترعين في واشنطن سنة ١٩٤٦ تلمس الاعجاز الذي كان خفياً في الآية الكريمة طوال الأجيال الماضية لمس اليد .

الذرة هي مركبة من جملة كهارب تدور بسرعة على محور يسمى نواة كدوران الكواكب حول الشمس وقد تمكن العلماء من معرفة عدد الكهارب وسرعتها ، اما النواة فهي ثابتة لا تتحرك . والكهرب هو القوة التي لم يصل الانسان بعد إلى ادراك كنهها لا بالعقل ولا بالحواس ولا تقسم . والمادة نفسها تختفي لدى تفكك ذراتها إلى كهارب . والكهرب منه ما هو سلبى (-) ومنه ما هو ايجابى (+) .

« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » ٥١-٤٩

إنك ترى الكهرباء الايجابية يفتش عن الكهرباء السلبى بنشاط وقوة فاذا التقيا يسكنان بعضهما إلى بعض وتشل حركتهما وتقفأ . فإ دام السلبى والايجابى متزاوجين (- +) لا يظهر تأثيرهما اما اذا وصلتهما بواسطة ما كالمولد الكهربائى المعروف مثلاً فانك تراهما يتخذان حركة قوية جداً للاجتماع ثانية وهذه الحركة هي أساس القوة التي تبنى عليها المصانع والمعامل الكهربائية .

معجزة الأزواج في الكائنات

هناك آيات كثيرة في وحي الله تؤكد هذه الحقيقة المنصوص عليها هنا كقوله تعالى :

وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، يُغْشِي اللَّيْلَ
الْأَثَرَا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣ - ٣)
وقوله تعالى :

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥١ - ٤٩)
وقوله تعالى :

وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٥٣ - ٤٥)

كيفية التزاوج بين الزوجين في الكائنات

أنواع التزاوج معروفة في عالم الحيوان من أرقاها الانسان الى أدناها
الحشرات والأوبئة .

أما في عالم النبات فالوحي الآلهي ينص على أن التزاوج فيه سواء في عالم الحيوان .

تأمل قوله تعالى :

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ... (١٥ — ٢٢)

أي أن الرياح واسطة للتلقيح ، إذ تحمل ذرات لقاح الذكورة إلى الأعضاء المؤنثة في النباتات ، لأجل أن تتم عملية التزاوج ويصبح الإثمار . وذكر العلماء المكتشفون أن الرياح تلقح السحب أيضاً .

وبعض النباتات يكون لقاحها بواسطة الفراش والزناير ، وقد جاء في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) صفحة ٤٨ بقلم (جون وليام كلوتس) عن لقاح الأزهار ما يلي : « ومن أمثلتها العلاقة الموجودة بين فراشة اليوكا — ونبات اليوكا وهو أحد النباتات الزنبقية . فزهرة اليوكا تتدلى إلى أسفل ويكون عضو التأنث فيها أكثر انخفاضاً عن عضو التذكير أو السداة . أما الميسم وهو الجزء من الزهرة الذي يتلقى حبوب اللقاح ، فإنه يكون على شكل الكأس ، وهو موضوع بطريقة يستحيل معها أن تسقط فيه حبوب اللقاح . ولا بد أن تنتقل هذه الحبوب بواسطة فراشة اليوكا التي تبدأ عملها بعد مغيب الشمس بقليل ، فتجمع كمية من حبوب اللقاح من مُتَكَ الأزهار التي تزورها وتحفظها في فها الذي بني بطريقة خاصة لأداء هذا العمل . ثم تطير الفراشة الى نبات آخر من نفس النوع وتثقب مبيضها بجهاز خاص في مؤخر جسمها ينتهي بطرف مدبب يشبه الإبرة ويتزل منه البيض وتضع الفراشة بيضة أو أكثر ثم ترحف الى أسفل الزهرة حتى تصل الى القلم ، وهناك تترك ما جمعته من حبوب

اللقاح على صورة كرة فوق ميسم الزهرة وينتج النبات عدداً كبيراً من الحبوب يستخدم بعضها طعاماً لبرقة الفراشة وينضج بعضها لكي يواصل دورة الحياة .

وذكر أيضاً ان الزبابر الصغيرة تلقح مجموعة من الأزهار بمثل هذه الطريقة وأشد مما يجعل العقل يفكر والقلب ينشع بجلال الايمان فعد اليه في الكتاب المذكور .

آيات التزواج وحديث التأبير

لقد حسب الذين نظروا في قوله تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) ٣٦-٣٦

والآيات الاخرى التي نزلت في هذا الموضوع أن حديث التأبير ضعيف، إذ من المحال أن يغيب مدلولهن عن ذهنه ﷺ وقد نزلت في مكة والحديث المذكور حصل في المدينة المنورة وهو صحيح إذ رواه الإمام مسلم في فضائل النبي ﷺ عن عائشة وعن ثابت عن انس ان النبي ﷺ مر بقوم يلحقون « النخل » فقال : لو لم تفعلوا لصلح ، قال : فخرج شيصاً فربهم فقال ما لنخلكم قالوا : قلت كذا وكذا قال : انتم اعلم بأمر دنياكم . وفي رواية رافع بن خديج قال ﷺ إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر .

اجل إن الحديث الشريف صحيح والآيات المتزلة في مكة في هذا الموضوع لم تغب عن ذهن رسول الله ﷺ وإنما قال ما قال لأهداف أساسية تشريعية مقصودة له ﷺ وهي :

١ - تأكيد انه بشر مثلهم خشية أن يؤدي بهم العلو في حبه إلى تأليه كما حصل لبعض رسل الله .

٢ - الأخذ بما يعلمونه يقيناً بالتجربة والاختبار من شئون الحياة لأن الأخذ بها هو من أصول الوحي إذ معلوم أن ما يصلون اليه يقيناً من حقائق التكوين الآلهي للعالم هو أيضاً من علم الله وفي ذلك حث للدأب في اكتشاف أسرار علوم الله التكوينية ، والإفادة منها ، وهي علوم لا تنتهى ، وفي كل يوم يظهر منها الجديد الجديد ، وهذا سر قوله تعالى :

« الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ٦٩-٤ ، ٥
ففي كل يوم يعلم الإنسان ما لم يعلمه في أمسه .

٣ - هناك حقائق دينية يقينية بعيدة عن مناط الأخذ والرد والإثبات والنقد والزيادة والتقصان والتغير والتبديل ، وهي غير مسائل علوم الحياة الدنيوية القابلة لكل ذلك لأن علوم التكوين وأمور الحياة وشئون الدنيا تُكشف حقائقها شيئاً فشيئاً وفق التقدم العلمي الإنساني ، لذلك نجد في هذا الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

٤ - وفي هذا الحديث الشريف حث لهم أن يهتموا بأمر دنياهم ويتشبتوا من حقائقها يقينية .

هذه جملة من المقاصد الأساسية والأهداف السامية البينة في هذا الحديث الشريف على الرغم من علمه الأكيد بأمر التزاوج في عسالم النبات من جملة الآيات المعجزة التي نزلت في مكة .

ولا ريب أن تالي الآية الكريمة هذه :

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)

يشعر أنه لم بجانب من اعجازها المحقق الذي تقدم بيانه .

وهناك الرواية الثالثة التي جاء فيها قوله عليه الصلاة والسلام انما ظننت
ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به
فاني لن اكذب على الله عز وجل . وهذه الرواية ذكرها مسلم أيضاً في
كتاب فضائل النبي ﷺ فرسول الله في هذه الرواية يعلمنا بطريق المشاهدة
العلمية ان الظن لا يغني عن الواقع اليقيني شيئاً . ويعلمنا أن نأخذ في
امور دنيانا بالواقع اليقيني الثابت كما هو الحال في امور ديننا ، ولما كان
أكثر البشر يأخذون بالظنون في امور دينهم ودنياهم كانت هذه الرواية
لأجل توجيههم إلى اليقين الثابت في كل ذلك .

وهذا هو توجيهه الله لرسوله الكريم لمحاربة الظنون التي هي مشار
الشرور والفتن والأحقاد بين البشر وهذا التوجيه هو وحي الله المنزل :

وَأِنْ تَطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦ - ١١٦)

وسبب الضلال عن سبيل الله الذي نُص عليه هو اتباع الظن والاكتفاء
به دون البحث عن اليقين العلمي في كل ما يأخذ به الانسان أو يدع من
عقائد وأعمال ، وهذا مؤكد أيضاً في قوله تعالى :

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا
حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا

بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ، إِنْ تَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (٦ - ١٤٨)

والحقيقة ان رسول الله ﷺ أراد ان يوجه أمته التوجيه العلمي اليقين
الصحيح المنصوص عليه في آيات القرآن الحكيم الذي هو الأخذ بيقين
العلم في أمور دينهم ودنياهم والاعراض عن الظن والأخذ به لأن الظن
سوى العلم وهو لا يغني عن الحق شيئاً :

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (١٠ - ٣٦)

وقوله تعالى في تأكيد الأخذ بالعلم وطرح الظن :

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي
مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٥٣ - ٢٨)

وقوله تعالى :

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَتَّبِعُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١٠ - ٦٦)

وقوله تعالى في الأسماء الذي يطلقها البشر على بعض الكائنات ويعبدونها
ظناً منهم انها آلهة حقيقية :

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
 سُلْطَانٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ، وَلَقَدْ
 جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (٥٣ — ٢٣)

فجزى الله عن الانسانية خاتم رسل الله ﷺ حيث قرر لها النهج
 القويم الذي به تصل إلى حقائق العلم اليقيني في دينها ودنياها بهذا الأسلوب
 العلمي المشاهد الذي رأيناه في تعدد روايات هذا الحديث الشريف، ولا ريب
 أن أمراً كهذا يقتضي التحدث عنه مراراً في مجالس مختلفة . ويقتضي أن
 يكون الحديث عنه في كل مجلس بما يناسبه . وهذا هو السبب الأكيد في
 تعدد الروايات الصحيحة . وهذا العمل أشبه بصنيع سيدنا ابراهيم عليه
 السلام حيث حطم الأصنام وجعل الفأس في عنق كبيرهم ليدركوا انهم
 مخطئون في عبادتهم لهذه الأصنام ، ولو كانت آلهة حقيقة لا ظناً لدفعت
 عن ذواتها التحطيم :

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٢١ — ٥٨)

وهكذا نجد خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه في كل مرة يُنهي
 الحديث بأسلوب يحفل بروعة الحكمة ومجد الاصلاح وصحة التوجيه وتقويم
 العلم اليقيني ووضعه في منصبه الخالدة .

وهكذا تلمس الانسانية في هذه الروايات المتعددة تحطيم الظن بمقرعة
 العلم اليقيني ، وتفهم انها غارقة في بحران الظنون في شئون دينها ودنياها ،
 وانها ما دامت مقتنعة بظنها مطمئنة اليه ، فلن تصل إلى الحقيقة اليقينية
 في شيء . وهذا مشاهد للعلماء الذين يتعقبون عقائد البشر ومعارفهم التي
 يحسبونها عين يقين العلم فجزى الله عن الانسانية العليا الحرة المفكرة خاتم

رسله سيدنا محمد ﷺ في هذه التوجيهات العلمية اليقينية الكريمة المباركة
التي تثمر الخير والسعادة والتفاهم للناس كافة .

واني اختم هذه الكلمة وانا خاشع في دلائلها العظيمة كل الخشوع :

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيْرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ (٢٧ — ٩٣)

من معجزات التكوين

مرّ أن الخالق العظيم ما أقسم بالقرآن الحكيم مؤكداً رسالة خاتم رسله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، إلا وقد اودع فيه من الدلائل العلمية اليقينية المثبتة ذلك .

وعلم الله ازلي شامل ، لذلك تجد كل البراهين العلمية اليقينية متجلية صارخة في كل سور القرآن وآياته .

وفي الآيات الآتية من رقم ٣٧ إلى رقم ٤٠ من هذه السورة الكريمة جانب من اعجاز التكوين العلمي اليقيني .

الآيات :

وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)
وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) رقم السورة ٤٠ رقم الآية

آية الليل والنهار أو الظلام والنور

نفهم من هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل جعل عالمنا المادي الأصل فيه الظلام . وجعل النور فيه بوساطة الكواكب المضيئة فقال جل وعز :

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ^١ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

(٤١ — ١٢)

وقال أيضاً :

إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (٣٧ — ٦)

وبما ان الليل هو الظلام وبما أن النهار هو النور كشف لنا أن النور يغطي الظلام كما يغطي جلد الحيوان ما وراءه من اللحم ، فإذا سلخت الجلد ظهر اللحم الذي كان يغطيه الجلد . وهكذا الظلام يظل مخفياً بالنور فإذا سلخت النور أي أزلته عن الظلام ظهر الليل .

أجل عرف الناس في عصرنا أن الأصل هو الظلام في كوننا . وان النور يغطي الظلام . فالشمس سراج وهاج تزيل جانباً من ظلام الوجود شأن كل كوكب مصباح مضيء في الوجود . وأن الليل الذي نشاهده في الكرة الأرضية هو الأصل لأن الأرض حين يتجه شطرها الى الشمس يغطي نورها الظلام لاتصاله بذراتها المانجة في فضاءها المحدود .

ويظل الشطر الثاني مظلماً على حاله . وهذا ظاهر في الآية الكريمة :

١ والمصابيح هي التي يزال بها الظلام .

وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)

واليك بيان ذلك :

وقد وصل العلم الحديث إلى معرفة ذلك لأن أرضنا على انبساط سطحها الفسيح كروية الشكل لذلك نجد سطحها غير المقابل للشمس هو المظلم ، وباعتبار كرويتها على سعتها وكبر حجمها تشتمل أولاً على المشرق والمغرب ، وثانياً على المشرقيين والمغربين ، وثالثاً على المشرق والمغرب . فكل جزء يسلم منه نور الشمس يكون مغرباً ، وكل جزء يغطي نور الشمس ظلامه يكون مشرقاً . وهذا من أكبر آيات الإعجاز . ومن هنا يختلف الليل والنهار في شتى البلاد طولاً وقصراً وقد قال الله تعالى في الشرق والغرب :

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٧٣-٩)

وهذا ظاهرٌ في شرق الكرة الأرضية وغربها .

وقال سبحانه وتعالى في المشرقيين والمغربين :

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (٥٥-١٧)

وهذا معروف في الشرق الأدنى والشرق الأقصى وفي الغرب الأدنى التي هي أوروبا ، والغرب الأقصى التي هي أميركا .

وقال سبحانه وتعالى في المشرق والمغرب .

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٧٠-٤٠)

فانك تجد لكل مدينة ومدينة ولكل اقليم واقليم مشرقاً ومغرباً سييها كروية الأرض وهذا الاختلاف يلمسه الصائمون في رمضان حين يسمعون

اختلاف وقت الأفطار بين بلد وآخر ، واختلاف مطلع الشمس كذلك .
وهذا يلزمه لمس الحراس الخمس الفلكيون في مراصدهم ، وعلماء التوقيت
في تقاويمهم .

وهكذا نجد الليل والنهار يتداولان شطري الكرة الأرضية بنسب متفاوتة
حسب الاتجاه للشمس . وقال الله تعالى :

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا
مُنِيرًا (٦١)

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٢٥ - ٦٢)

ومن أجل ذلك اعتبر الفقهاء لاداء العبادات الساعات المتقاربة في البلاد
المعتدلة بالنسبة لليل والنهار لتطبيقها في البلاد التي يطول فيها النهار طويلاً
فاحشاً ويقصر الليل قصراً فاحشاً وهذا التوقيت المعتدل يقدر بالساعات في
القطبين .

ومن جميع ما تقدم يلزم المطالعون في الآية الكريمة اعجازاً علمياً
صريحاً لأن في تقديم ذكر الليل والنهار على ذكر الشمس والقمر دلالة
بينة انهما ناشتان في كرتنا الأرضية عن مجراها في افلاكهما .

التعريف باطلاق السماء والسموات

السماء في لغة العرب سما يسمو سموّاً وسماء الشيء أي ارتفع وعلا ،
وسما به اعلاه ، واسمى يسمي سماء الشيء اعلاه ، وقليل استعمال اسمي

بمعنى سَمَّ ، وكل شيءٍ علاك فهو سماء ، والسماء تجمع على سموات
وأسمية وسَمَيَّ وسِمَيَّ .

ومن أجل ذلك اطلقوا على سقف البيت سماء .

قال الشاعر :

بيتُ سمواتهُ الثريا وأرضه الوشيُ والحريـر

ويطلق على كل نجم من النجوم سماء باعتبار ارتفاعه عن كرتنا الأرضية
من أي جهة نظرت اليه ، ومجموع النجوم يطلق عليه سموات لُغَةً
وكذلك المطر يطلق عليه سماء لهطوله من السحاب الذي يعلو الأرض .

السموات السبع وعوالم الكواكب

هناك عوالم في ابعاد الفضاء،عوالم كبرى سبعة طباق أي بعضها فوق
بعض ولكن ما بين كل عالم وعالم ابعاد سحيقة جداً . وسميت سموات لعلوها
وبعدها عن المجرات المترامية في ابعاد الفضاء المشتملة على عوالم النجوم
والكواكب وقد جاءت نصوص وحي الله تعين أن السموات فوق عوالم
النجوم والكواكب .

وان السماء الدنيا أي القريبة من عوالم الكواكب هي الأولى وما وراءها
ثانية إلى نهاية السبع ، وقد جاء تفصيل كل سماء منها في حديث المعراج
الذي رواه البخاري ومسلم عن مالك بن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه وقد
رواه سبعة وعشرون من الصحابة ، لذلك كان في مرتبة المتواتر .

ومن هنا نعلم أن عوالم النجوم على هول أبعادها وتناهي مواقعها السماء
الدنيا فوقها ، لأن رسول الله ﷺ شاهد عوالم الكواكب في ابعاد
الفضاء كأنها القناديل في اضاءتها واشراقها ، وكشف هذه الأبعاد لمواقع

النجوم لرسول الله ﷺ في ذلك العصر هو من معجزات القرآن الكبرى لأن علماء الانسانية كافة في ذلك الزمان لم يكونوا عالمين بعظمة مواقع النجوم وهول ابعادها السحيقة التي عرفها علماء عصرنا من مراصد محطات الفضاء في المجرات المتغلغلة في أعماق الفضاء وابعاده السحيقة ، وهذا كله مصرح به في الآية المعجزة :

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَأَنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ .

(٥٦ — ٧٥ و ٧٦)

ومهما علمنا في هذا العصر عن مواقع النجوم وأبعاد المجرات فإن الذي نجعله أكثر . اذن فأبعاد السموات السبع أنأى وأسحق ببلايين البلايين من السنين الضوئية .

ألا ترى ان الله عز وجل يفهمنا ان هناك نجوماً لما تطرق أضواؤها الأرض دفعة واحدة لسحق أبعادها وهذا أمرٌ لم يكن معلوماً قديماً ولا يعلم به الفلكيون القدامى . والمحدثون لا يزالون في بداية الطريق وقد أقسم الله بذلك ليلفت النظر الى عظمة ذلك بقوله :

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ .

(٨٦ — ١ و ٢ و ٣)

والسماء أي البعد والقسم بالبعد من الخالق العظيم هو إلفات لنظر العلماء إلى ما فيه من جلال الخلق وابداعه ثم القسم بالنجم الذي يصل ضوءه إلى الأرض مخترقاً الفضاء أي يأتيها كما يأتي الطارق على حين غفلة ثم

بيان ان هناك نجومًا تظهر لأجل الأرض في أثناء جريانها في أفلاكها كما تظهر الطبء حول كنسها ثم تختفي في أفلاكها في الفضاء الذي لم يحط العلماء بكل ابعادها . وكم في تشبيه الكواكب المتغلغلة في أفلاكها بعد ظهورها بالطباء التي تختفي في كنسها من اعجاز صريح في قوله تعالى :

فَلَا أُقْسِمُ بِالْجُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ .

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (٨١ - ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨)

من هذه الآيات المعجزة تدرك عظمة ابعاد السموات إذا انت ادركت عظمة ابعاد الكواكب عن ارضنا . وقد بدأ العلماء في هذا العصر يقتربون من معرفة إعجاز آيات القرآن المجيد يوماً فيوماً لأن تقدم العلم هو تقدم لمعرفة الاعجاز في كتاب الله .

وقد فهمنا مما تقدم ان عوالم النجوم هي زينة للسماء الدنيا ومصاييح لها . وقد اختلط على كثير من الكاتبين البيان الفلكي العظيم الذي جاء به القرآن العظيم فلم يميزوا بين السموات السبع وعوالم النجوم . والنصوص كثيرة في السموات السبع ، تأمل الآيات الآتية :

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيْنًا لِّلسَّمَاءِ الْدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .
(٤١ - ١٢) .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢- ٢٩)
 أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ
 فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا (١٥- ٧١ و ١٦)

وهذا الاختلاط والجهل هو الذي تسمعه من السطحين ، اخترق رواد
 الفضاء السموات وصعدوا إلى القمر فلم يجدوا الخالق العظيم . تباً لهم ما
 أجهلهم وان مثلهم كمثل الفراشة الحمقاء تطير وتطير وهي في مكانها حول
 المصباح المتقد حتى إذا تخيلت انها احاطت به علماً ألقت بنفسها فيه
 واحترقت ، وما احرقها إلا جهلها . ولو علموا أن شمسنا وكواكبها التي
 تجري حولها لا تزيد عن نقطة في مجلد ضخم بالنسبة لمجرتنا التي تشمل
 على بلايين امثال مجموعتنا الشمسية .

ولو علم هؤلاء الجاهلون أن لفظة سماء مصدر وان مدلولها العلو فاستعمالها
 في العلو هو الأصل : يقولون فلان في سماء الأجداد أي في علو الأجداد .
 وجاء في هزيرة الأبوصيري :

كيف ترقى رقبك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

أي يا علواً ما ارتفع عليه علو ، لأن علوه ﷺ في كماله ، في
 عبادته لربه ، في تبليغ دعوة الإيمان لا يساميه علو . واستعمال السماء
 بمعنى العلو يعم الماديات وسواها ويجوز استعماله في حق الله عز وجل .
 تقول : الله في السماء ، أي في العلو المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله لأن
 علو الله ليس كمثلته علو وقد منع فريق من العلماء ان يقول أحد : الله
 في السماء سواء أراد السماء الأولى والثانية إلى السابعة أو في الجميع إذا
 قصد أن تكون ال للجنس .

لأن ذلك يقتضي الحصر في الجهات الست ككل كائن من الكائنات .

وقد أفهمنا سبحانه وتعالى انه هو الذي يحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء .

قال الله تعالى :

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ .
(٥٤ - ٤١)

وقوله تعالى :

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٨٥ - ٢٠)

وقوله تعالى :

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً (٤ - ١٢٦)

ورسول الله ﷺ عرج في السموات العلى واحدة واحدة فلم يقل انه شاهد الله في أحدها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، بل كل من في السموات والأرض ان هو إلا عبد لله عز وجل :

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا
(٩٣ - ١٩)

وقوله تعالى :

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .
(٣٩ - ٦٧)

والحق أن كلَّ من في السموات والأرض من الكائنات العاقلة وسواها
محاطة بالجهات الست وخاضعة لسننها وتعلم يقيناً أن الله في علو كبير ذلك
ذاتاً وصفات وأفعالا وهي جميعاً تسبح وتقدس بحمده جل وعز .
أنظر الآيات الآتية :

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ
سَبِيلًا (٤٢)

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)
تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا (١٧ - ٤٤)

وتجد من حماقة الإنسان وضعف تفكيره وسذاجته في أخذه بتقاليد
الاشراك إذا ذكر الله في علو صفاته التي تليق بجلاله يُعرض ويكفر ،
وإذا ذكرت الآلهة المتخذة من أفراد الكائنات وصفاتها الحقيرة المحدودة
يقبل ويؤمن . انظر قوله تعالى :

وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ،
وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٣٩ - ٤٥)

معجزة جلال الله وكماله في ذاته وصفاته وأفعاله

والحق ان كل من في السموات والأرض وما بينهما من العوالم هي لله وحده وهو العلي العظيم :

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .
(٤٢-٤)

واعتاد البشر الذين يعبدون الأرواح أن يصفوا الله جل وعز بصفات الجن وسواهم ، والله في علو عن كل ذلك :

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (٦-١٠٠)

وعلى كل حال فذات الله وصفاته وأفعاله هي المثل الأعلى . وكل ما عبد من أفراد الكائنات ، دون المثل الأعلى من كل الوجوه ، وكيف تماثله أفراد الكائنات ، وهو الخالق لها بعد ان لم تكن .

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ
الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٠-٢٧)

ولا ريب ان معرفة العلماء لعلو ذات الله وصفاته وأفعاله وما يليق
بجلاله وما يستحيل عليه تكون على مقدار علمهم بحقائق العوالم المترامية
في ابعاد الفضاء السحيقة . وعلى مقدار علمهم بحقائق وحي الله اليقيني
المتزل . وما مرت حضارة على البشرية قد اتسعت فيها معارف العلماء
بسعة العوالم ودقائق صنعها وترامي أبعادها وغرائب عجائبها مثلما اتسعت
في هذا العصر القمري هذا الاتساع الكبير الذي جعل أهل النحل يعلمون
أن آلهتهم التي اتخذوها من أفراد الكائنات هي أصغر من أن توجد هذه
العوالم الفساح الهائلة العظيمة وتهمن عليها وتصرفها ، وكفروا بها
وألحدوا ، ولو أنهم علموا حقيقة ذات الله وصفاته وأفعاله كما هي في
وحيه اليقيني المتزل على خاتم رسله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه
لقدسوا الله جل وعز كل التقديس وسبحوه بكرة وأصيلاً كما تقدسه
وتسبحه كل الأكوان :

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٦٢-١)

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥٩-٢٤)
تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ

شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا (١٧ - ٤٤)

معنى اطلاق الله في السماء أو في السموات

والذي نفيده بعد دراسة هذه النصوص المحكمة والتعمق في مدلولاتها
اليقينية ان سماء الله لا تماثلها سماء أي علو الله لا يماثله علو ، لذلك من
قال الله في السماء قاصداً هذا المعنى الأصيل في مدلول الكلمة لا شيء
فيه ولكن إذا قصد عالم من العوالم المترامية في الفضاء التي يطلق عليها
سماء لُغَةً فان ذلك لا يجوز .

والعلماء الذين ذكروا أن الله في السماء يقصدون العلو الذي يليق بجلاله ،
فلو كنت في عالم النعيم ، أو في سدرة المنتهى ، أو في إحدى السموات
السبع ، أو في أحد الكواكب التي دون السماء الدنيا ، فانك تقول
أيضاً : الله في السماء ، أي في العلو الذي يليق بجلاله ، واما قصد ان
الله محصور في اجرام السماء ، أو في سواها ، مما هو دونها كالجاذبية
فهي عقيدة خارجة عن وحي الله اليقيني ، لأن فوق السموات السبع
عالم النعيم وسدرة المنتهى ، وما إلى ذلك مما هو في غيوب علم الله
جلّ وعزّ .

ومهما يكن فالوهمية الله وعلوه وسلطانه ظاهرة كل الظهور في كل عالم
من العوالم . اتل ان شئت قول الله عزّ وجلّ تع هذا المدلول العظيم
المعجز في قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ (٤٣ - ٨٤)

أي هو الآله الحق الخالق المتجلي في كل عالم من العوالم ولا إله سواه .
وبهذه المناسبة نذكر الحديث الشريف الذي يدل أن مدلول السماء هو
العلو المطلق وقد رواه الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي من
حديث طويل يقول فيه : وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبيل أحد
والجوانية فاطلعت ذات يوم فاذا الديب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا
رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكنني صككتها صكة فأتيت رسول
الله ﷺ فعظم ذلك عليّ فقلت يا رسول الله أفلا اعتقها قال : لا إثنى
بها فأتيتها بها فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت انت
رسول الله قال اعتقها فإنها مؤمنة ، فهذه الجارية عربية تفهم من السماء
العلو ولو كان هذا الفهم خاطئاً لصحح رسول الله ﷺ قولها وأفهمها
الحقيقة .

معجزة تكوين العوالم السماوية

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)

المجرة الأرضية

ومجموعتنا الشمسية هي إحدى مجموعات أخرى أمثالها تعد بالبلابين ،
والجميع أفراد لمجرة الأرض ، واطلقت اسم مجرة الأرض على المجرة
التي تحوي مجموعتنا الشمسية لأن أرضنا التي نسكنها من جملة كائناتها .

الحقيقة التكوينية

هي أن الكائنات المترامية في ابعاد الفضاء سواء ما صغر منها أو كبر ...
الجميع في جريان متتابع وسبح مستديم بكيفيات منسقة وابعاد مقدرة
سحيفة سحيفة .

أنواع جريان الكائنات في الفضاء

عَيَّنَ وَحْيُ اللَّهِ الْيَقِينِي أَنْوَاعَ جَرَيَانِ الْكَائِنَاتِ فِي الْفَضَاءِ فِي نصوص كثيرة :

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥ - ٧٩)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٢١ - ٣٣)

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (٨١ - ١٨)

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ. (٣ - ٨٦)

هذه الآيات وصفت وظائف الكواكب السماوية :
فالنازعات : هي الكواكب الجارية التي تنزع مغرقة في أعماق الفضاء .

والناشطات نشطاً : هي الكواكب التي تجري من برج إلى برج .
والساجحات سبجاً : هي الكواكب التي تسبح في أفلاكها فلا اصطدام
ولا تخوف من اصطدام .

والسابقات سبقاً : هي الكواكب التي يسبق بعضها بعضاً في مجاريها
في الفضاء إذا كانت متعاكسة فلا يكون بينها تصادم أبداً .

فالمدبرات أمراً : هي الكواكب ذات التأثير في تدبير بعض امور
أرضنا حسب تقدير الله جلّ وعزّ وتسمى بالأقواء نظراً لصلتها بسقوط
الأمطار . وهذا تأويل من جعل هذه الأقسام بأصناف الملائكة . والمقصود
(بالنخس الجوار الكنس) هي النجوم التي تظهر ثم تختفي في أفلاكها
كما تظهر الظباء ثم تختفي في كنسها أي بيوتها .

والمقصود من السماء كما تقدم العلو . (والطارق) هو النجم الذي يطرق
ضوءه الأرض ليلاً .

آية تكوين الشمس

كوكب كروي غازي تبلغ حرارة سطحه ستة آلاف درجة مئوية ،
وقطره مئة وتسعة أضعاف الأرض وتصل أشعة الشمس الى الأرض في
ثمانى دقائق وثمانى عشرة ثانية ، وتبعد الشمس عن أرضنا مئة وتسعة
وأربعون ونصف المليون من الكيلومترات .

والشمس تجري ككل جرم سماوي . وجريانها على حالين : (١) حول نفسها ،
(٢) وفي جملة عوالم مجراتها وهي لا تعدو مستقرها المعين لها في الفضاء
شأن كل اجرامه ومجراته . و (اللام) في قوله تعالى : (والشمس
تجري لمستقر لها) للاختصاص أي للمكان المخصص بها في هذا الفضاء

كما تقول (البيعة للنصارى والمسجد للمسلمين) وقيل (المستقر) إنهاء تكوينها في هذا العالم وتبدها . إذ لكل جرم من أجرام الفضاء المادي نهاية ينتهي إليها . ولا ريب أن الذي قدر وضع الشمس في مستقر في هذا الفضاء مختص بها لا تتجاوزه مقدار ثانية أو ما هو دونها هو الله الخالق العظيم .

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

أي القوي الذي تعجز العقول العالمة المدركة عن الاحاطة بكنهه .
والعليم الذي يشمل علمه كل ما كان ويكون من أمر الأكوان من قبل تكوينها ومن بعده ، والذي لا يتجاوز علم الخلائق العاقلة بالنسبة لعلمه جل جلاله مقدار ما تمسكه الإبرة إذا غمست في لجج المحيطات العارمة .

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٦-٣٨

والخلاصة ان الجريان في السير السريع ولكل كائن سرعته ولا يقال للجواد إذا سار هادئاً جرى ، وانما يقال له جرى إذا أسرع . ومنه جرى الماء .

والعلماء اليوم لمسوا أن الشمس تجري حول نفسها وتجري هي وتوابعها في مجموعة مجرتها لأن كل العوالم في الفضاء هي في حركة دائمة وجريان مستمر ، وهذا الجريان في الفضاء يحدث اتساعاً وتمدداً للكائنات .
ومهما يكن فالسبح عام وشامل وفي ذلك جاء النص :

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٦-٤٠

أي أن الجميع يسبحون في هذا الفضاء في أفلاك خاصة ، حتى النجوم

ذوات الأبراج التي سماها (اسحق نيوتن) شمساً . لذلك كانت شمسنا أقرب النجوم إلى الأرض .

إذن فالسبح عام وشامل وانما الخلاف يكون في كيفية السبح لكل جرم بالذات حسب ما هو كائن ومعين في وحي الله . وانت تسمي جميع الذين تراهم في البحر سابحين وإن كانت حال سباحة كل واحد منهم تختلف عن الآخر في طفو وغوص وتقلب وقذف وذهاب وإياب ودوران وما أشبه ذلك مما نشاهده على شواطئ البحار .

وهذا شأن عوالم الفضاء بالنسبة لسكان الأرض فهناك العوالم الطافية القريبة الظاهرة لسكان الأرض ، وهناك الغائصة الخفية في أعماق الفضاء السحيقة غير المحددة ، والكل جارٍ وسابح في مواطنه المخصصة له في هذا الفضاء الواسع ، والبحر نفسه تسير به الكرة الأرضية دون تغيير في وضع السابحين ، وهذا شأن عوالم الفضاء جميعاً في سبحها الجماعي المقدر المتغلغل في أبعاده :

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٥١ - ٤٧)

وهذا الاعجاز جانب مما تشتمل عليه الآية الكريمة التي ذكرنا بعض تأويلها ودلائلها التي تدل عليه :

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

واعجازها يحمل التطور العلمي الصاعد ، وكلما تقدم العلم وسما ، اقترب من بلوغ شواطئه وتغلغل في اعماقه واطلع على عجائبه .

فسبحان الله ما أعظم وأجل اعجاز القرآن المجيد وما أعظم وأجل ملكوت الله الذي يكشفه لنا التقدم العلمي يوماً فيوماً وكم فيهما من كنوز وكنوز .

والآن أدركنا أن سبح الشمس في الفضاء كسبح كل الأجرام السماوية له مستقر تنتهي إليه .

وهذا المستقر النهائي موعده قيام الساعة . وهو حتم لكل كائن . والشمس لدى كل شروق هي تظهر لنا خضوعها وسجودها لإرادة خالقها العظيم انها تعود إلينا في اليوم التالي على حالها التي فارقتنا عليه .

والكائنات السابحة في الفضاء إن كان سبوحها في مستقرات مخصصة لها بالنسبة للكائنات المنتقلة سميت نجومًا ذات بروج لأنها ترى في مستقرات جريانها كالبروج . وإن كانت تجري في دوائر سميت كواكب سيارة ذوات افلاك . والدائرة قد تصغر حتى لا تتجاوز مساحتها الشهر كفلكان الذي يبدو كأنه النحلة تطير حول قرص الشمس . وقد تكبر حتى تطوي في مسيرتها مليارات السنين الضوئية .

وما دامت كل اجرام الفضاء في جريان مستمر وحركة دائمة ، سواء ما بدا انه يجري حول نفسه في برجه أو يجري في دائرة ، وما دامت جميعها تسبح في هذا الفضاء بتقدير إلهي مركز في صميم تكوينها مقدرة بصنع مكوئها الخالق العظيم المهيمن عليها والمتصرف فيها والمحرك لها وفق علمه وإرادته وقدرته ، فلن يكون بينها تصادم ولو قدر لمحة خاطفة . وهذا مؤكد في قوله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) .

معجزة منازل القمر

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)
٣٦-٣٩

القمر ودورته حول الأرض

هو كوكب يدور حول الأرض ويستمد نوره من الشمس ويعكسه
عليها :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ
لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠-٥)

ويسمى قرأ بعد ثلاث ليال من المحاق إلى آخر الشهر . أما قبل
ذلك فيسمى هلالاً .

ويتم الشهر القمري بتمام دورة القمر حول الأرض . وللقمر وجهان

أحدهما مرئي دائماً وهو الجانب القريب . والآخر غير مرئي وهو الجانب البعيد .

ويتألف الجانب القريب المرئي من القمر من صخور بركانية داكنة اللون ثقيلة الوزن . أما الجانب البعيد الذي لا نراه فيتكون من صخور باهرة اللون ، وأرضه مكونة من فوهات بركانية منحدرية الجوانب وعرة . وهذه الفوهات تختلف حجماً إذ يصل قطر بعضها إلى حوالي ألف كيلومتر . ونجد الجانب البعيد يرتفع عن الجانب القريب بحوالي أربعة كيلومترات . وفي رأي أن ذلك ناتج عن قوة الجذب بين الأرض والقمر^١ .

وكذلك للقمر منازل مقدرة يمر بها أثناء دورته حول الأرض .

منازل القمر

المنازل مفردها منزل ومنزلة ومدلولها مكان التزول والمسكن ...

والمنازل يراد بها هنا النجوم الثابت التي يمر تجاهها القمر أثناء دورته الشهرية وعددها ثمان وعشرون منزلة ، وكل منزلة لها نجم خاص يواجهه القمر في دورته وإن كان البعد بينها شاسعاً جداً . وأطلقت لفظة منازل على أماكن مواجهة القمر للنجوم التي يمر بها ، لاشتغالها على مدلول المنازل . لأن المنزل لا يتركه صاحبه إلا وهو مصمم على العودة إليه .

وهذا لأمر محقق في القمر فإنه لا يترك منزلاً من منازلها إلا والعودة إليه مؤكدة إلى قيام الساعة ...

اذن فاطلاق المنزل يقصد به المكان والحال الخاصة التي يظهر عليها

١ راجع مجلة قافلة الزيت - شعبان ١٣٩٤ هـ ، أيلول ١٩٧٤ م بقلم الدكتور فاروق الباز .

القمر لدى مروره حول الأرض في كل شهر . وان كان فرق مظهر القمر من منزلة إلى أخرى يظل خفياً .

وقد يراد بمنازل القمر مظاهر أحجامه وأشكاله واضوائه لدى رؤيتنا له من الأرض وهو يسبح حول الأرض في فلكه .

وعدد منازل القمر بالنظر إلى مجراه تجاه النجوم الثابت ثمانية وعشرون منزلاً وفق احصاء علماء الفلك الأقدمين ...

وعدها بالنظر الى اختلاف مشهده لأهل الأرض ثمانية كما ذكرها علماء الجغرافيا الفلكية .

وقد اسموها أوجه القمر لمشاهدتهم لها من الأرض وجهاً لوجه .

الأول : منازل القمر وفق مجراه تجاه النجوم

ذكرها ابن قتيبة ثمانية وعشرين منزلاً ولم يذكر منزل المحاق لاختفائه فيه عن الأنظار .

وهذه المنازل هي النجوم الثابت التي ينسب العرب اليها الأنواء . وأسمائها عندهم هي :

- (١) السرطان (٢) البُطَيْن (٣) الثريا (٤) الدبران (٥) الهقعة
- (٦) الهنعة (٧) الذراع المبسوطة (٨) النثرة (٩) الطرف (١٠) جبهة
- الأسد (١١) الزبرة (١٢) الصرفة (١٣) العوى (١٤) السمك الأعزل
- (١٥) الغفر (١٦) الزباني (١٧) الاكليل (١٨) قلب العقرب (١٩) الشولة
- (٢٠) النعائم (٢١) البلدة (٢٢) سعد بلع (٢٣) سعد الذابح (٢٤) سعد
- السعود (٢٥) سعد الأخبية (٢٦) فرغ الدلو المقدم (٢٧) فرغ الدلو المؤخر
- (٢٨) الرشاء أو بطن الحوت .

وهذه بعض أبراج السماء التي عرفها قدامى الفلكيين :

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٢٥ - ٦١)

الثاني : منازل القمر من حيث مشهده لأهل الأرض

هذه المنازل مفصلة حسب أشكاله وأحجامه المشاهدة والذي هدى العلماء إليها هو قول الله عز وجل :

حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ

وهذه اشارة الى المتزلة الهلالية التي يحتم بها الشهر القمري . وفيها يبدو شاحباً مصفراً مقوساً كأنه عنقود النخلة الذي أخذ منه تمره وطرح مهجوراً حتى جفّ على مرور الأيام وازداد تقوساً واصفراراً .

تأمل لفظة (عاد) في قوله تعالى : (حتى عاد كالعرجون القديم) . تجدها تفيد العودة إلى هذه المنازل مرة بعد أخرى تباعاً .

واكتفى الوحي بذكر المنزل الهلالي الذي يحتم بها الشهر دون سواء من المنازل لأن رؤية المنازل تنتهي اليه إذ بعده يختفي القمر في منزل المحاق . وعلى اثره يتبدى سبره في الظهور شيئاً فشيئاً .

وفي هذا الاختفاء والظهور تتعلق بهما مصالح العباد الدينية والدنيوية . والسبب أن متزلة المحاق واسطة بين المظهرين وعلامة على نهاية الشهر . اسمع ما يقوله العلامة الشهيد السيد قطب رحمه الله : « والذي يلاحظ القمر ليلة بعد ليلة يدرك ظل التعبير القرآني العجيب (حتى عاد كالعرجون

القديم) . وبخاصة ظل ذلك اللفظ القديم ، فالقمر في لياليه الأولى هلال وفي لياليه الأخيرة هلال ولكنه في الأولى يبدو وكأن فيه نضارة وفتوة وفي الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم ويكسوه شحوب وذبول : ذبول العرجون القديم ، فليست مصادفة أن يعبر القرآن الكريم عنه هذا التعبير الموحى العجيب « راجع تفسير في ظلال القرآن السيد قطب رحمه الله سورة يس .

وهكذا نجد كثيراً من أسرار الوجود منطوية في آيات القرآن المجيد . واني اضرع إلى الله عز وجل أن يهيئ لاستنباط معجزات القرآن الهائلة الخفية في آياته علماء راسخين يجمعون بين الثقافتين : الثقافة الإسلامية والثقافة الحديثة ويتعمقون في الاحاطة بمعارفها الواسعة ثم يباشرون في اخراج تفاسير حديثة محررة على غرار المفسرين القدامى الموثوق بهم الذين تبتلوا لفهم آيات القرآن وسهروا وجهودوا الأعوام الطوال المترادفة حتى اتوا لأجياهم ولمن يليهم بالأعمال الباهرة فكانوا بحق أعلام الخلود ومناثر الهداية والأدلاء الفصحاء إلى فهم كلام الله المعجز المتحدي .

وسيكون هذا شأن مفسرين محدثين بالنسبة لجيلهم والأجيال القادمة . وكم في القرآن المجيد من معجزات مكنوزة مدخرة للأجيال تبهر عتول العلماء الأحرار من شرقيين وغربيين .

ولا ريب ان تفاسير تجمع بين الثقافتين تجعل عتاة العلماء المتمردين يأسفون أشد الأسف أنهم لم يدرسوا وحي الله بالأمس وتجعلهم يقبلون على درسه بحرية وصدق ونزاهة واخلاص ما دام رائدهم تحرير المعرفة من كل زيف واختلاق ، ولم لا يأسفون أشد الأسف والقرآن المجيد نور الله سطع في هذه الكرة الأرضية وهو يحمل لأهلها كل دلائل العلم اليقيني وكل براهين منطقته السديد ليسموا بالانسانية إلى مثلها العليا

ويخلصها من أغلال التقاليد ووحولها وينقذها من ظلمات الجهل المتكاثفة .

وعلماء الأمم الأعلام يدركون ان المعرفة اختلطت بها النزعات المنحطة والعصبيات المقنونة والترهات الباطلة كما يدركون أنه تغشاها الغرور الخداع المستكبر باسم الاعتزاز بالعصبيات الوهمية كالشخصية حيناً وباسم دنس القومية حيناً آخر ، كالتعالي بالذات المنحطة في اكثر الأحيان وكثير من ذلك مقحم في العلم الظني .

ومهما يكن فأيات القرآن المجيد وتحديات معجزاته وانتصاراته لا تنتهي عند حـد ما دام في الأرض علم متزه عن الأساطير والفروض والظنون وعلماء راسخون أعلام يؤمنون بالعلم ويكفرون بالأسطورة ولا يأخذون بعقيدة ولا يدعونها إلا بوعي وصدق وعلم وحق .

والآن يحسن أن نذكر منازل القمر الثمانية المبنية على مشاهدته لأهل الأرض :

- ١ - المتزل الهلالي .
- ٢ - المتزل التريبيعي الأول .
- ٣ - المتزل الحدبي الأول .
- ٤ - المتزل البدري .
- ٥ - المتزل الحدبي الثاني .
- ٦ - المتزل التريبيعي الثاني .
- ٧ - المتزل الهلالي الثاني .
- ٨ - متزل المحاق .

والقمر عتبة السماء الأولى ، ودراسته اليوم شغل العلماء الشاغل وهي لا تزال في حماسة تطلعاتها واستهلال رياداتها .

آية انشقاق القمر

ويسعدني قبل أن اختتم حديثي عن تأويل الآية المعجزة :

« وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ »

أن ألفت ذاكرة المطالعين الدارسين الى الضجة الكبرى التي دارت .
حول تأويل اولى آيات سورة القمر :

أَقْتَرَبَتِ السَّاءَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ (٥٤ - ١)

لصلتها بتأويل الآية .. الضجة التي أثارها شيخ العروبة المرحوم أحمد
زكي وقد اتسع الأخذ والرد حولها بين الكاتبين في الصحف وكان ثمرته
جملة من التأويل :

الأول :

أن القمر انشق في مكة آية لصدق رسول الله ﷺ ، وهذا حق وقد
وقع فعلاً وشاهده أهل زمانه لحظة انشقاظه .

والمؤمنون آمنوا بما شاهدوا وعلموا انه معجزة لصدق رسول الله
ﷺ . لأنه رواه جمع من الصحابة حتى بلغ مرتبة التواتر .

والمشركون جحدوا ذلك وزعموا أنه ﷺ سحر أعين الناس ، وما
كان رسول الله ﷺ من الساحرين .

الثاني :

أن انشقاق القمر كان ظاهرة كونية حدثت وشوهدت بالعين
المجردة كما يشاهد الشهاب لإبان انقضاضه وقد نقلت خبر ذلك جريدة
الإنسان العربية ، التي كانت تطبع في الآستانة ، عن الصحف الأجنبية ،

وحاصله أنه عثر في ممالك الصين ، على بناء قديم ، مكتوب عليه أنه حدث حادث سماوي عظيم هو ، انشقاق القمر نصفين ، وحرر التاريخ فوافق سنة انشقاقه لرسول الله ﷺ والله أعلم ، وإن أردت التوسعة في البحث فراجع سيرة محمد رسول الله ﷺ لمحمد رضا ص ٤٧٨ .

وهذا القول مؤيد للقول الأول ، ولا عبرة لقول الملاحدة ، إنه ظاهرة كونية ، لأن رسول الله ﷺ يرفض أن يتخذ سنن الظواهر الكونية آيات دالات على صدق رسالته ، وإنما هي آيات دالات على صدق وجود الله ، وكمال قدرته ، ولو كان يقبل ذلك ، وحاشا أن يقبل ذلك ، لما ردّ قول القائلين : إن الشمس كسفت لموت ولده إبراهيم ، بقوله :

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » ١ .

الثالث :

انشق بمعنى ينشق وجاء التعبير بالماضي عن المستقبل تأكيداً لحتمية الانشقاق الآتي وذلك يوم القيامة ، على أن الأجرام السماوية ستنشق في ذلك اليوم ، وتفكك ذراتها .

الرابع :

وهو أحدث الأقوال أي ينشق الطريق إليه وهذا القول يؤيده ما جاء في سورة الانشقاق :

١ رواه الشيخان

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا
اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (٨٤-١٩)

(والقمر إذا اتسق) الواو للقسم والله لا يقسم في وحيه إلا لأمرٍ عظيم من الإعجاز . وأيُّ إعجاز أعظم من التنويه بانشقاق الطريق الى القمر في عصر صاحب الرسالة . ودليل هذا المراد يصدق عليه مجموع معاني الآية . ولم لا ، والاتساق هو انتظام الأمر واستوائه ، وقد انتظم الطريق الى القمر واستوى ويؤكدده معنى قوله تعالى : (لتركبن طبقاً عن طبق) أي لتعلن حالاً عن حال دونها ، وهذا حاصل في الصعود الى القمر ، ففي كل يوم تستجد حال للصعود الى القمر عن حالة سابقة دونها يتجاوزها العلم ويتخطاها ، والعلم أبداً في تقدم مطرد لا يقف عند حد .

ومجموع هذه الدلائل بينة في انشقاق الطريق الى القمر اصف الى ذلك قول الله تعالى : (إذا السماء انشقت) الا ترى فيه الاشارة الى ذلك ، لأن السماء هي العلو ، وانشقاق في العلو في عصرنا كان بدايته الى القمر ، لأن (إذا) بمعنى الوقت والزمان الدال على المستقبل ، وهذا الانشقاق في العلو من علامات قرب الساعة ، كما أن الأرض مدت في العمران وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن والزيوت وسوى ذلك .

ومهما يكن فإن الذين يشتقون الطريق الى العلو هم في كل يوم يعلون حالاً في التقدم العلمي والاطراد الحضاري عن حال سابقة أدنى لأن التقدم العلمي والاطراد الحضاري لا يقفان عند حد .

وهذا هو يقين الواقع المشاهد ، الذي نجده في نصوص وحي الله ، وما أكثرها في القرآن المجيد . وما هم العلماء اليوم أخذوا يعدون المكوك

الفضائي ، الذي سيكون له أثر كبير في اختراق الفضاء إلى الكواكب وكشفها وهو يشبه الطائرة ، وكلفته أدنى من كلفة الصواريخ .

هذه جملة الأقوال التي يحتملها تأويل الآية المعجزة ، ولا ريب أن تحامل القائلين بها ضد بعضهم بعضاً هو من الخطأ بمكان لأمرين أساسيين :

الأول :

إن الاختلاف في هذه الأقوال لا يتصل بالعقيدة التي تفضي بهم إلى الكفر ، وإنما هو اجتهاد في فهم التأويل ، فن أصاب فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر ما دام في حدود الشريعة واستقامتها ، وما دام في علم الاجتهاد وإيمانه وصدقه .

الثاني :

إن هذه الأقوال لا تضارب بينها ولا تنافر من حيث الاتجاه والغاية المثلّي :

لأن انشقاق القمر الذي تم بكل تأكيد في عهد صاحب الرسالة ﷺ وعينته الآية المعجزة .

- ١ - لا يمنع من مدلول انشقاقه يوم القيامة .
- ٢ - كما لا يمنع من انشقاق الطريق اليه ما دام قد حصل بالفعل .
- ٣ - وهو في الوقت نفسه ظاهرة كونية ، ولم ينف أحد أنه ظاهرة كونية يقصد من ورائها سوء النية لإبطال المعجزة .

وهذه المقاصد الثلاثة التي تشملها الآية إعجازاً وتحديداً بدون تحمل ومغالاة .

ومحال ان يُلبس أحد الآية معاني خارقة عن مدلولات ألفاظها لأن القرآن المجيد مشتمل على أسرار علم الله الشامل ، لمسا كان ويكون إلى

قيام الساعة بل وإلى ما يكون بعد قيام الساعة .
والذين يمجّدون ذلك هم الملحدون الذين لا يؤمنون بوجود الله الخالق
العظيم ولا بوحيه المعجز ولا برسله ولا باليوم الآخر .

عبادة القمر

والقمر قد عبد من دون الله ككل شيء غريب في هذا الوجود ،
ومثله الشمس وسائر النجوم . وجاء نص وحي الله بالنهي عن عبادته ،
لأنه مخلوق مثلهم ، ومن الانحطاط في العلم والفكر أن يعبد مخلوق مخلوقاً
مثله لا يملك له ضرراً ولا نفعاً ولا حياة ولا نشوراً ، هذا انحطاط
ما دونه انحطاط في العلم والفكر والعقيدة والنظر .

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ .

(٤١ — ٣٧)

معجزة تنظيم مسيرة اجرام السماء

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ٣٦-٤٠

نفهم من بحث أنواع جريان الكائنات في الفضاء ان الشمس لها مستقرها الخاص بها ومجراها الذي لا تتجاوزه قدر سمسة .

وان القمر له فلكه الخاص به حول الأرض الذي لا يتعداه قيد شعرة . وهذا شأن الكائنات المترامية في الفضاء كافة إبان سبوحها الدائم .

وهنا يفكر المتأمل في عظمة هذه الأجرام السماوية السابحة في الفضاء سواء أكانت من ذوات المستقرات الخاصة المسماة بالبروج أو من ذوات المدارات التي تجري فيها أو سوى ذلك مما احاط به العلم أو لم يحط به حتى عصرنا .

أجل يتفكر المتأمل في كل ذلك أعمق التفكير .

وإذا كان خفيف الايمان ربما يخشى التصادم حين يعلم ان بعض الكواكب تجري معاكسة لسواها كالنجم المذنب بالنسبة لمجرى الأرض

فانه يمر مخترقاً فلكها وقد يكون قريباً من الأرض جداً حين مروره فيخشى العلماء ان يؤدي ذلك إلى التصادم والتدمير واختلالاً في موازين سبح الكواكب ومسيرة الكائنات ، وقد حدث هذا الخوف فعلاً في عصرنا حتى اعتقدوا أن الأرض ستدمر .

ولكن وحي الله يزيح من الفكر اثر ذلك الخوف لأنه يفهمنا ان التصادم مجال ان يكون ، والذين يتخوفون أن يصدم كرتنا الأرضية مذنب من المذنبات التي تمر قربها أو قرب سواها من مجموعة الكواكب الشمسية هم بين أمرين :

١ - إما انهم لم يكونوا عالمين بما انزل الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ من وحي معجز حق يعلن أنه لن يكون ثمة تصادم :

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

٢ - وإما انهم لم يكونوا من المؤمنين بالوحي وبما أعلنه .

ان الكرة الأرضية وسواها تجري في أفلاكها الخاصة ، وبما ان الكرة الأرضية ليها ونهارها يتقلبان بين يدي الشمس والقمر ، فالشطر الذي فيه النهار هو الأسبق ويسمى الشرق ويتقل منه النهار إلى الغرب ويخلف النهار الليل في الشرق بنسب مقدرة دقيقة حسب كروية الأرض وهذا سرُّ قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ
أَرَادَ سُكُوراً (٢٥ - ٦٢)

اجل يخلف الليل النهار بنسب متداخلة تقتضيها كروية الأرض وهذا صريح في قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣١ — ٢٩)

وذلك حسب دورة الأرض حول نفسها وامتداد نور الشمس وهذا كله أصبح في عصرنا مدروساً بوعي ودقة ويدرس في كل مدارس الدنيا .
وحين يرصد علماء الفلك أجرام السماوات يرونها تسبح في الفضاء غير مرتكزة على عمد ، وانما هي مرتكزة على عمد من الطاقة غير مرئية بقدرة الله عز وجل التي تمسك كل شيء وفي ذلك جاء نص وحي الله المعجز :

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ
الْأُمُورَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (١٣ — ٢)

وهل هذه العمدة التي تمسك عوالم السماوات في مراكزها من الفضاء ولا ترى سوى قدرة الله المهيمنة على كل شيء والمسيرة كل شيء .

قال الله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَلَكِنَّ زَالَتَا إِنْ
أَمْسَكْنَاهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٣٥ — ٤١)

وقال تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ (٢٢ - ٦٥)

وقال تعالى :

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ
حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٧ - ١٨٥)

معجزة المواصلات العامة

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ (٤١) ٣٦-٤١
وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) ٣٦-٤٢
وَأِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) ٣٦-٤٣
إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٤) ٣٦-٤٤

للمواصلات السريعة المنسقة الناهضة بكل حاجات البشرية أثر فعال كبير في سبيل التقدم الحضاري .

ووحى الله نوره بشئ وسائل المواصلات المتعارفة لإبّان نزوله في نصوص كثيرة :

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٥-١٢)

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) ٢٣ - ٢١
وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٣ - ٢٢)

كما نوه بوسائل للمواصلات ستحدث تقتضيها تطورات الظروف
الحضارية ستكون حتماً . وهي سوى الوسائل القديمة كالأنعام والحيل والبغال
والحمير ، وسائل تناسب العصر الذي يخلقها الله فيه .

وقد حدثت في عصرنا فعلاً . وانك تجدها ماثلة في القاطرات
والسيارات وفي سفن البر والجو :

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرَيَّحُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ (٦)
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ،
إِنَّ رَبَّكُمْ لَرْحِيمٌ (٧)
وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ، وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ (١٦ - ٨)

وقد رأينا ما حدث من شتى وسائل النقل الحديثة حتى أصبحنا نرى
السفن البخارية كأنها الجبال وصدق قول الله عز وجل :

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٥٥ - ٢٤)

وكل ذلك لم يكن موجوداً في فجر الإسلام .
وعلى كل حال فالسفن المنشآت في البحر سواءً أكن يسرن بالرياح
أم بالبخار أم بالطاقة الذرية فانهن يسرن بنعمة الله وقدرته المبدعة كل
كائن وعمله .

رُبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ
كَانَ بِكُمْ رَحِيماً (١٧ - ٦٦)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١ - ٣١)
أليس الطاقة الجاذبية التي تمسك كائنات السماء أن تقع على الأرض هي
من صنع قدرة الله كالبخار وسواه :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَوَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٢ - ٦٥)

وانك تجد معجزة المواصلات الحديثة ماثلة في آية النحل :
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً . وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ (١٦ - ٨)

وكذلك تجدها ماثلة في آتي سورة يس :

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (٤١) ٣٦-٤١
وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) ٣٦-٤٢

وإعجاز هاتين الآيتين يبدو لدى انعام النظر في تأويلها الثلاثة مع ملاحظة ان الفلك تستعمل للسفينة الواحدة وللسفن وللمذكر والمؤنث . والمشحون الموقور المملوء .

التأويل الأول

ان الفلك هي سفينة نوح عليه السلام ، ولما كانت سفينة نوح لم تحمل ذريتهم بل حملت آباءهم ، قالوا المقصود من ذريتهم آباءهم من قبيل المجاز المرسل : لأن الآباء كانوا ذرية لقوم آخرين ، ولا ريب ان سفينة نوح عليه السلام معجزة عظيمة وتشتمل على عظام وآيات ذات قدر عظيم .

ولما كانت المثلية غير معينة في قوله تعالى :

« وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ » .

ذكروا مرة انها الابل لأن الابل تحمل الناس وامتعنهم ، من مكان إلى آخر كالسفن حتى اطلقوا عليها سفن الصحراء .

التأويل الثاني

وذكروا أخرى أن المقصود من قوله تعالى :

« وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ »

هي السفن التي صنعت بعد سفينة نوح عليه السلام وكن على غرارها ،
وهذان التأويلان مرويان عن ابن عباس رضي الله عنهما .

التأويل الثالث

وفي عصرنا ظهرت أيضاً معجزة غيبية في تأويل الآية إلى جانب التأويلين
السابقين لأن المثلية تعينت بظهور سفن الفضاء من شاحنات وسواها .
وهذه السفن الحديثة هي طائرات النقل التي تنقل البشر والبضائع إلى أقصى
القارات كالسفن البحرية تماماً .

وظهور اعجاز المثلية يجعل مدلول الذرية جاء في محله ، والذي يؤكد
هذا المعنى العظيم هو استعمال الفعل الماضي الدال على التحقق محل المضارع
(أي) ونخلق لهم من مثله ما يركبون . والعادة لدى البلغاء إذا قصدوا
تأكيد وقوع أمرٍ سيحدث حتماً استعملوا له الماضي لأن الماضي يدل على
الحصول اليقيني ، بدلاً من المضارع الدال على المستقبل المجهول . ومن
أجل ذلك لما كان مجيء يوم القيامة حق ولا بد منه قال الله تعالى في مجيئه :

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

(١٦-١)

بمعنى يأتي حتماً ، وهذا المعنى مشهور في كلمات الأدباء بل وحتى لدى
العامة . وذكروا أن رجلاً كان له جارٌ كثير الأسفار وكان يوصيه في
كل سفرة أن يشتري لأبنته زموراً وكان الجار كلما عاد من سفره ينتحل
عذراً لعدم احضار الزمور ، وأخيراً دفع له مسبقاً ثمن الزمور ، فقال
الجار له : الآن زمر ابنتك ، بمعنى انه سيزمّر بكل تأكيد . وما أكثر
ما نسمع عن السفن الفضائية ، والأساطيل الجوية ، وهي تماثل السفن

البحرية والأساطيل البحرية في غاياتها . والخلاصة أن المفسرين السابقين جزاهم الله خيراً ، لم يتركوا آية دون تفسيرها مع علمهم أن كثيراً من الآيات الكريمة مكنوز تفسيرها ومذخور للمستقبل الممتد .

لذلك تجدهم حين وجدوا لفظة الفلك تدل على السفينة المفردة كما تدل على جمع السفن قالوا المقصود سفينة نوح ولما اعترضتهم معنى الذرية ، والذرية تدل على الأجيال الحالية والقادمة ، ولا تدل على الأجيال الماضية قالوا المراد من الذرية الآباء ، وحين تصرفوا بألفاظ الآية هذا التصرف التأويلي ليحصروا ان المقصود بالفلك سفينة نوح عليه السلام اعترضتهم لفظة « مثله » المطلقة فتارةذكروا أن المثلية محققة في الجبال واخرى ذكروا انها ماثلة في السفن التي صنعت بعد سفينة نوح عليه السلام كما سبق ، ومع كل ذلك تظل آيات الله في وحيه المنزل زاخرة بالمعجزات المتحديات على مدى الأجيال دون انقطاع .

ومسألة المواصلات وإن كانت قاصرة في عصر صاحب الرسالة على السفن والحيل والبغال والجمال والحمير ، فإن الله افهمهم في وحيه اليقيني انه سيخلق من وسائل المواصلات ما لم يدخل في علمهم وهذا صريح في قوله تعالى : (ويخلق ما لا تعلمون) ... وافهمنا أن السبل الطويلة والفجاج المتباعدة التي ينفذ منها البشر إلى المدن والقارات سيدركها القصد أي قصد الطريق ويتحقق بأحد أمرين ..

١ - يتحقق باستقامة الطريق، والاستقامة اقتصاد في طوله ، والاستقامة في الجو محققة مئة في المئة ، بالنسبة للطائرات في هذا الزمن وفي البحر تحققت ثمانين في المئة إلى تسعين .

٢ - والقصد يتحقق بحدوث مركبات جديدة لم تكن من قبل

كسفن الجو المائلة لسفن البحر البخارية التي تحمل الأثقال من مكان إلى مكان .

وكل ذلك لم يكن معلوماً من قبل ولكن الله ألهم العلماء لِصُنْعِهَا وقد يُلْهِمُ صُنْعَ وسائلَ للنقل اجدى واسرع وأقصد للطرق وهذا كله داخل في قوله تعالى :

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ (١٦-٩)

معجزة المواصلات في جزيرة العرب

انك تجسد المظهر العملي الآمن المقدر بالفراسخ والأميال لمعجزة المواصلات في جزيرة العرب منوّهاً به في القرآن المجيد لتنهض الأجيال المؤمنة لاعادة معجزة المواصلات في أسمى غاياتها وأعظم منافعها مع تجنب الأخطاء والكفر الذي هدم معجزة المواصلات قديماً .

يا لله ما أجلّها من معجزة تثير الأجيال إلى بناء حضاري رائع في المواصلات كما نوّه بها القرآن الكريم . ألا ترى جزيرة العرب قد أعطت ما حولها من المواطن الشعوب الراقية ..

أعطتهم الكلدان والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين وبنساء الأمازيغ في مصر والمغرب العربي ... وأخيراً أعطتهم مناذرة العراق وغساسنة الشام .

وأخيراً وأخيراً أعطتهم وحي الله المنزل على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ وأعطتهم المسلمين الذين أضاءوا الدنيا بحضارة السماء وسموها الانساني ومعارفها التقدمية الصاعدة ، المسلمين الذين رفعوا منائر العلم والمعرفة والتعارف الإنساني وحقائق الإيمان في كل المواطن التي لا تزال تهتف بسم الله الواحد الخالق العظيم ، الله أكبر الله أكبر خمس مرات في اليوم والليلة .

أجل كانت الحضارة في جزيرة العرب ، وكان الحصبُ والري والمواصلات الآمنة المقدرة بالفراسخ والأميال في أسمى سمواتها التي نوه بها وحي الله حتى استطاعوا أن يقيموا السدود على أفواه الأودية وأن يشيدوا أكبرها سدَّ مأرب العظيم .

وما جفَّت جزيرة العرب ولا توعرت مسالكها ولا استوحشت أوديتها الحصبة وأحلت الابدع انحرافهم عن العمل الدائب والنشاط الواعي والتآلف المثمر وصدق الإيمان الذي كان لآبائهم الذين شيدوا السدود واجروا الأنهار وغرسوا الحدائق والمروج الخضراء واخصبوا كل الإخصاب حتى حدود البلاد التي باركها الله وهي بلاد الشام .

والآن أنل معي الآيات الكريمة متأملاً متفكراً متعظاً واعياً مستفيداً مشمراً عن ساعديك للعمل في إعادة تقدير السير وإعادة السدود واخصاب الأرض :

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ، جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ،
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ .
(١٥ - ٣٤)

ولا تنسَ أن تتلو قول الله تعالى :

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ، سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (٣٤ - ١٨)

ولكن الأجيال الذين خلفوا الأجيال البناء المشيدة العالمة الحاكمة الواعية لم تكن من العلم واليقظة والاخلاص بالمكانة التي كانت لآبائهم

فأعرضوا عن أعمالهم الكريمة ومناهج اصلاحهم والسر للاخلاص والعمل والنشاط وتركوا نضرة الايمان والصدق فكانت نتيجتهم كما قال الله تعالى:

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِنِ أَكْلٍ خَطْئٍ وَأُثْلٍ شَقِئٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (٣٤-١٦)

ودولة سبأ لم تكن معروفة قبل الجيل الثامن من قبل الميلاد ، وقد انتهت سنة ١١٥ قبل الميلاد . وذكر المسعودي انها عاشت ٤٨٤ سنة . ومن أراد التوسعة ومعرفة حدودها وما كان لها من آثار فليعد إلى رواية بلقيس صفحه ٢١ .

المناسبة بين سبهي الكواكب والفلك

المناسبة بين سبهيها نوة بها جمهرة من المفسرين . لأن سبهي الكواكب في الفضاء يشبه سبهي السفن في الدماء . واذا اضيفت إلى ذلك ما اكتشف في عصرنا من سبهي سفن الفضاء التي تشبه سبهي الكواكب تماماً ، فانك تلمس وجه الشبه القريب في قوله تعالى :

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٣٦ - ٤٢)

لأن المثلية واضحة تماماً بين سبهي السفن الفضائية وبين سبهي الكواكب في اجلي مشاهداتها وأصدق مشابهاًها .

ونحن إذاً عقلنا ذلك واستوعبناه فلن نخطئ أهداف الآيات المتزلة في وحي الله ويقين العلم المثبت بمراقبة السموات المتناثرة في الفضاء .

مظهر قدرة الله جل وعز

لما كانت الأرض والكائنات العلوية — السموات — سواء أكانت من كائنات الطاقة أو من كائنات المادة . في يد الله الخالق العظيم الذي كونها وابدع تكوينها ، وعين لها سننها ونواميسها وقدرها تقديراً ، هي أقل من الريشة في يد أحدنا يصرفها كيف يشاء . بل إن أحدنا قد يعجز عن قياد الريشة وتصريفها وامتلاك أزمته إذا هي أفلتت من يده في مهب الرياح ..

ولكن الأرض وكل العوالم من حولها لا تعجز القدرة الإلهية ، بدءاً ونهاية وحفظاً ورعاية مقدار جزء الثوينية من الزمن إذا أمكن تقسيم الثانية إلى ملايين الثوينيات .

وإذا عقلت كل ذلك واستوعبته تمثلت ظلال المراد من قوله تعالى :

وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً

مِّنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ (٣٦ - ٤٣)

تمثلته بجواسك الخمس . وعلمت أن قدرة الله تظل تعمل أعمالها الحاسمة في الكائنات باتساق ونظام إلى حين الموعد المحتوم لكل كائن . وفق المشيئة الإلهية التي بها يتم ما يتم ويزول ما يزول دون ما ندّ أو معقب .

وذكر الله هنا السفينة دون سواها من الكائنات لمناسبة الحديث عنها ، ولأن المسافرين في البحار يشاهدون ذلك بأعينهم في كل أجيال الانسانية .

ألا نشاهد في عصرنا السفن البخارية الكبرى التي تماثل الجبال ، كيف تصبح في هياج المحيطات كالريشة في الأعاصير . تبتلعها الأمواج

في ثوان كما قال حافظ في مدينة (مسّين) حيث زالت بكل عمراتها
في ثوان :

خُسفت ثم اغرقت ثم بادت قضي الأمر كله في ثوان
ولا صرِيخ لها ولا مغيث ، وليس لها من منقذ ينجيها من الغرق
إلا إذا تداركتها رحمة الله .

ومهما يكن فنجاتها بعد بذل كل الامكانيات الانسانية المغامرة المنقذة
الماثلة في قوله تعالى :

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (٢- ١٩٥)

لا يفلتها من أجلها الموقوت لكل كائن :

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (١٣- ٣٨)

يا الله ما أعمق مدلولات كلمات الله وما أوسع معجزاتها وأسطع
تحدياتها . حسب أنها معجزات الله وتحدياته في العوالم كلها .

سبب الإعراض عن الإيمان

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ .
(٣٦ — ٤٦)

حرية الارادة فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وجعلهم بها أحراراً
في عقائدهم واعمالهم ، وكل تصرفاتهم الظاهرة والباطنة . أنظر هذه
النصوص المتزلة في هذا الشأن :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ
لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢ — ٢٥٦)

فالإكراه لا يكون من الله أبداً ، ولا يجوز أن يكون من الخلق ضد
بعضهم بعضاً . هذا هو الحق :

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ...
(١٨ — ٢٩)

والذين أقاموا من المخلوقات أنداداً لله الخالق العظيم ، وألَّهوها وعبدوها . إنما فعلوا ذلك بمحض اختيارهم . أما وحي الله فقد زجرهم عن ذلك :

.... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢ - ٢٢)

وقال تعالى أيضاً :

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُوا لَا
يَعْقِلُونَ (٥ - ١٠٣)

وبحكم أن الله خلق البشر أحراراً في أعمالهم الإرادية . فإذا اختاروا الكفر فلا يجبرهم على الإيمان ، وإذا اختاروا الفساد فلا يجبرهم على الإصلاح ، مع قدرته على الجبر . أي هو قادر أن يجعلهم مجبورين على الخير المحض كعالم الملائكة . ولكن حينئذ تبطل الأعمال الإرادية ، ويتغير نظام عالمنا ، بل خلقهم أحراراً ، فلو أجبرهم لاحتجوا وقالوا أين هي حرية الإرادة التي فطرنا الله عليها ونملكها ؟! ونحن لا نملك التصرف بها في فعل ما نريد .

مدلولات نصوص وحي الله

وايست مدلولات نصوص وحي الله هوّى في أنفس المنحرفين ، لا ثبات مذاهبهم الباطلة ، فتجدهم يبتلون واقع مدلول هذا النص ، ويعينون له سواء . ويأخذون بهذا القول ، ويعطلون غيره ، ويلتزمون بهذا الاطلاق ، ولا يلتزمون بذلك القيد . ويعممون الخاص ، ويخصصون

العام ويعبثون في مفاهيم وحي الله ما شاءت لهم اهاؤهم المنحرفة ،
ونزعات أبالستهم ومشتياتهم كأنهم حيال رواية تمثيلية ، يتقون هذا
المشهد ، ويحذفون ذاك ، ويرضون عن هذا الممثل ، ويسخطون على
ذاك ، ويعجبهم صدر الرواية ولا يعجبهم ختامها ...

وجهل المساكين الحمقى ، ان الأمانة العلمية ، هي الصدق والجد في
كشف حقائق العلم في كل شيء ، دون أي اعتبار آخر .. هي الزام
تضحية وصعود معرفة ، وتهذيب حضارة ، ووثيقة تأريخ ، ومسئولية
ضمير ، وحق أجيال ، وسمو خلق .

وكم من لعنة تنصب على الذين يطمسون حقائق الأشياء الواقعية ،
وكم من سخط ينزل عليهم ، ألا نشاهدهم حتى في مدلولات نصوص
الوحي الإلهي يحرفونها عامدين ، ويصرفونها إلى مدلولات متشابهة ما أنزل
الله بها من سلطان ، تناقض المدلولات الاصلية التي من أجلها أنزل
الله وحيه المعجز . أنظر هذا النص واسمع ما حرفوا في مدلوله :

وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يُغْوِيَكُمْ ، هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١ — ٣٤)

حرفوا مدلوله ، وزعموا أن هذا النص يبطل مدلول النصوص التي
تؤكد خلق الحرية المختارة في الانسان ، وأنه نسخها نسخاً .

أجل حرفوا مدلوله برعونة فهم ، واضطراب تفكير وجهل بموازن
العلم الصحيح ، وحرب لوحدة روح المدلولات الأساسية المقصودة في
مجموع نصوص وحي الله التي هي المرجع والقيد لكل مدلول نصي بالذات .
ويا ليتهم علموا أن نبي الله نوحاً من أولي العزم من رسل الله ،
وأنه يعلم أن الله خلق الإنسان مختاراً ، ويعلم أن هذا الاختيار هو إرادة
الله في تكوين عالمنا الانساني .

وما داموا هم اختاروه وفضلوه على الإيمان ، فالله لا يجبرهم على الإيمان ، لأن الجبر ابطال للاختيار .

ونسبة الغواية إلى الله ، مع أنهم هم الذين اختاروها ، لبيان أن الله هو الذي خلقهم مختارين ، وأنه هو الفعّال الحقيقي ، لكل ما يصدر عن الكائنات . سواء عن طريق الجبر أو عن طريق الاختيار ، والدليل أن الاختيار حق ، وأن الله يُنفذ ما يختاره البشر ، حتى ولو كان ذات الكفر بوجوده جل وعز ...

ومن هذا القبيل قوله تعالى :

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ .

(٧ - ١٨٦)

فما دام الله هو الذي فرض الحرية الانسانية على أبناء آدم ، وما دام من يفضل إنمّا يفضل بمحض اختياره هو ، وليس سوى الله جل وعز يستطيع أن يغير نظام تكوين الانسان ويجعله مجبوراً في أعماله . ومعلوم أن الله أولاً لا يجبر أحداً على الكفر والعصيان ، إذن فالذي يضل ، فإنمّا يضل باختياره ، وما دام الله يتركه على ما اختار ، بما يملك حرية الإرادة .. فكان حقاً ، من يضلل الله فلا هادي له . أي فليس من إله ثم يستطيع أن يغير نظام الخلق الانساني ويجبره على الهدى ..

والخلاصة أن الله منح البشرية حرية الإرادة . ووضح أن حرية الإرادة تقتضي الاختلاف ، ولو خلقهم مجبورين كالملائكة لاجتمعوا على الهدى ، ولما كان بينهم من خلاف .

وفي ذلك يقول الله عز وجل :

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا

فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦ - ٣٥)

والآن فهمنا أن البشر ، يعيشون في عالم الحرية والاختيار ، لا في عالم الجبر والإكراه . هذا هو يقين العلم والوحي معاً .

نعم أفهمنا وحي الله ، أن الناس مع اختيارهم في تغيير ما هم عليه من سوء الحال ، إذا غيروا في أنفسهم بواعث سوء الحال ، والله سبحانه وتعالى وضع نظاماً يؤدي إلى حسن الحال ، إذا تقيّد به البشر ، وإذا لم يتقيّدوا فاهلاك نهايتهم . ولا يستطيع أحد أن يغير ذلك ، لأنه هو سبحانه وتعالى اعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير :

لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١٣ - ١١)

الذات وبواعثها

... قدرة الانسان على طلب الذات أو الكف عنها ، دالة على أصالة حريته الإرادية المختارة . هذا مشاهد . ولاني هنا أبسط بواعث الذات وكتبها وارسالها .

وواضح أن اللذة هي ما تهواه النفس وتسره به . والألم ما يُحدث حسرةً وتُساء منه النفس .

وبواعث الذات واللهفة إلى طلبها ، مركزة في صميم المجموعات النفسية البشرية .

١ - سواء أكانت أشواقهم اليها ملتهبة ، واندفاعهم لنيلها عارماً .

٢ - وسواء أكان ذلك من طريق وحي الله ، أو من طريق وحي الشيطان .

والشياطين كذلك يوحون إلى أوليائهم ، كل حسب طهره أو خبثه .
وحسب هداه أو ضلاله ، وحسب استقامته أو انحرافه :

... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ
أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (٦ - ١٢١)

الذات ألوان

١ - الذات الدنيا : وهي الماثلة في كل الحيوانات حتى الحشرات ،
ومبعثها غرائز الكائن الحي كغريزة الميل الجنسي .

٢ - الذات الوسطى : كالذات الأدبية والفنون الجميلة ، وهي من
خصائص الانسان وتهذيبه ، ومبعثها العواطف . كالعاطفة
الانسانية والقومية ومحبة الأدب .

٣ - الذات العليا : كالذات العلمية والروحية والكشوفات ، ومبعثها
العقل المفكر والتزوع إلى المعرفة ، وهي من خصائص الانسان .
وبواعث الذات لها ميدانان :

١ - ميدان عوالم المجموعة النفسية : من غرائز وعواطف وعقل
ووجدان وضمير ..

٢ - وميدان العوالم الخارجية ، وهذا الميدان واسع جداً ، وعوالمه
كثيرة وشتى .

ومن أجل ذلك تجد الصراع والتنازع والاتهامات والأطباع والتقاتل والتفاخر والتحاسد ، والافك والنهب والسلب متأصلاً بين البشر ، ولا سبيل لحجز شروره ، أو التخفيف من وطأته إلا بالكبت .

ولما كانت جمهرة البشر العارمة ، هم من طلاب لذات الغرائز الدنيا ، كان الإعراض عن حواجز الإصلاحات التقدمية العليا دأبهم ...

والإعراض نوعان :

١ - إعراض سافر متجدد ، وهو إعراض الكافرين بشرعة الإصلاح المتركة ، وناهيك به من إصلاح تقدمي جديد أبداً .

٢ - وإعراض مقتنع خفي ، ومع النظائر بالتزام استقامة الإيمان ، وثرثرة النهوض باصلاحاته ، وهو إعراض المنافقين !! .

• والإعراض والتقليد توأمان متلازمان ، كل منهما يدعم الآخر ...

• فيعرض المعرض لأنه مقلد ، وهو يقلد المعرضين عن الإيمان .

• ولا انفكاك عن إعراض المعرضين عن يقين العلم ، ولا عن تقليد المقلدين لأساطير الوثنية وأباطيل الجهل ... إلا :

١ - بحماس الحرية الملتهبة .

٢ - ووقد الفكر المتعمق .

٣ - والأخذ بالعلم ، وطرح الظنون والأوهام .

وغرائز أكثرية البشر بدائية غائية ، لم تهذبها الحضارات الراقية ، والمعارف الصاعدة ، وإن حملوا أعلى إجازاتها .

فإنك تجدهم ، بعد اختبارك لأعمالهم ، وأسباب انقازها ظاهراً أو باطناً ، يفقدون أركان الانسانية التقدمية المهذبة الخمسة :

١ - نزعة الحرية المؤمنة المغامرة .

٢ - وثورة الفكر الارادي الكشاف .

٣ - وطلب يقين العلم في كل موارث الإنسانية ، والدعوة إليه ..

٤ - والأعمال الجادة الماجدة لطول عمر خلود الذكر ، والإفادة منه .

٥ - وجهاد الإيمان الصادق العملي المضحي الطامح .

وهل فقد البشر الغايين التزام الإرادة العملية النافذة بهذه الأركان ،
إلا لانهطاطهم عن بلوغ الانسانية عقائد وأعمالاً .

وسبب قصورهم عن بلوغ ذلك ، هو حجاب اللذات الدنيا الحاسرة
وظلماته التي تطمس الأبصار والبصائر ، عن كشف أضواء الإيمان والمعرفة ،
وتبين حقائقها في الأشياء ، وتسد منافذ اللهفة من أجل تحصيلها وبذل
الجهود ، والسهر المضني .

ولولا حجب ظلمة اللذات المادية لأضواء الإيمان والمعرفة ، لما
انصب الاتحاد على مسيرة أشطار المثقفين ، بكل انحرافاته ، وهيمن
عليهم غروره وسخرهم تسخيراً ، ومسخ من أنفسهم روح الانسانية
مسخاً ، وأشعل في صميمها الوحشية الحيوانية إشعاعاً :

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦ - ١٢٢)

أجل قد تمادى الملحدون ، حتى شطروا المعرفة الإنسانية شطرين :

١ - فجعلوا معرفة المادة بكل أنواعها هي يقين العلم .

٢ - وجعلوا معرفة الروح بكل ألوانها ، هي وهم الجهل ..

وما درى الملحدون ، أن المادة بكل أنواعها ، لا تزيد عن معارف

طاقات الأرواح المدركة وغير المدركة ، عن رشة شاطيء من بحر الجلي .
لا نهاية لسواحله .

ومع ذلك نرى أشطار المثقفين ، الذين لم يطلعوا على كشوفات عوالم
الطاقة الروحية الحديثة ، وشبان العامة المتأثرين بهم ، لم يكثرثوا لدعاة
الهدى ، من شوامخ العلماء ، ولم يستجيبوا لهم ، إذا أخذوا يلفتون
أنظارهم إلى ما بين أيديهم من عجائب الأكوان !! وإلى الخفي المحجب
من معجزات وحي الله في آياته ، والخفي من معجزاته هو أعظم . يفعلون
ذلك بهم لكي ينالوا نصيباً من الرحمة الإلهية .

وعدم استجابتهم منصوص عليه في قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ .
(٣٦ — ٤٥ و ٤٦)

مُعْجَزَةُ حُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ

لا ريب أن معجزة حرية الارادة ، التي أعلنها الله في وحيه .
أفهمتنا أن الانسان مسئولٌ عن تبعات أعماله الارادية . كما أفهمتنا
أن الجبر لا وجودَ له في أعمالِ الإنسانِ الارادية . وأنَّ الاحتجاجَ به
لتبريرِ الانحرافاتِ فرارٌ من تبعاتها ، وهو من حماقاتِ رعونةِ الالحاد .
نأمل في قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ (٣٦ — ٤٧)

وقوله تعالى :

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٤٣ — ٢٠)

وإذا أنعمنا أنظارنا ، في عين يقين العلم . وجدنا أن أعمال حرية الارادة ، امتحان كبير لإنسانية الإنسان . وفتنة وبلاء ما بعدهما فتنة وبلاء .

وهذه الحرية الارادية في أعمال الانسان ، هي التي كانت ترتعد منها فرائص الرسل والأنبياء والحكماء . لأن بواعث لهفات الغرائز الشاعلة ، محكمة في صميم التكوين الانساني ، ومع تأكد العصمة لرسول الله ، فان رسول الله ﷺ ، كان من دعائه : (اللهم لا تكليني إلى نفسي طرفة عين ولا أدنى من ذلك) . والعمل الجبري لا تدخله مخالفة . فحال أن تقول لشخص إحبس دمك عن الجريسان في عروقتك أو لا تحبسه . أو تقول للشمس قفي عن الطلوع والغرب ، أو لا تقفي ، لأن ذلك ليس في الامكان ، ومن هنا كان مأني عقيدة الجبر . لأن الجبرين نظروا نظرة سطحية ، في تكوين الكائنات ، وفي قيامها بأعمالها ووظائفها . فوجدوا الجبر يسيطر عليها ، بل وجدوا الجبر يسيطر على أرضنا ، وعلى عالمي الانسان والحيوان ... فوجدوا أن الانسان في دورته الدموية، وتوقف حياته إلى التنفس ، وإلى الطعام والشراب ، وما إلى ذلك ، مما لا دخل للارادة الانسانية فيه ، نظروا هذه النظرة السطحية، وتصوروا أن كل أعمال الانسان كذلك ، لا إرادة له فيها . فحكموا عليها بالجبر ، وأنكروا أن تكون للانسان ثمة أعمال ارادية مختارة ، سواء أكانت أعمال إيمان واصلاح ، أو أعمال كفر وإفساد .

إذن فالذي حدا بهم إلى عقيدة الجبر ، هي النظرة السطحية في أصل تكوين الانسان والحيوان ، وفي خصائص أنواعها ، وتنوع أمثالها واشكالها وهيئاتها وأصواتها ، واقتصار حياتها على الطعام والشراب والهواء وكل ذلك لا دخل لحرية الارادة فيه .

وهذا حقٌ ومشاهد ... ولكن فاتهم أن الله فطر عالم الانسان على الاختيار في أعماله الارادية ، القابلة للأخذ والترك . والله حين يجبر في الأعمال ، يجبر على الخير والايمن والحق . ومحال أن يجبر على الشر والكفر والباطل . هؤلاء الملائكة الكرام، حين جبرهم ، جبرهم على الطاعة والايمن والحق ..!! وأما ابليس فليس من الملائكة ، وان عاش مكرماً بينهم . ولو كان من الملائكة ما وسعه الا أن يطيع أمر الله . ولكن هو من الجن . والجن مختارون كالإنس . وفي ذلك يقول الله عز وجل :

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .

(١٨ — ٥٠)

ومهما يكن فالملك لا يستطيع أن يكفر أو يكذب ، أو يناق ، أو ينحرف عن جادة الاستقامة ، التي أمر الله بسلوكها . بيد أن الانسان يستطيع كل ذلك إذا رغب . لأن إرادة الله فطرته على حريسة الإرادة المختارة . أما أعلن وحي الله ، أن الله لا يرضى لعباده الكفر . فلو لم يكن الله خلقهم أحراراً في تصرفاتهم وقادريهم على الكفر لما أعلن عدم رضاه عنهم . كما هم قادريهم على الإيمان . ولا يُسأل عن قدرتهم على المخالفات من كفر وسواه ، لأن خلقهم على مقتضيات حريسة الإرادة تمكنهم من ذلك .

وكيف يرضى الله عن الكفر ، والكفر جمود للإيمان به جل وعز ، وفرارٌ من طاعته في التزام الهدى والخير . والكافر الذي يقول لا أستطيع الإيمان فهو كاذب ، لأنه يكون كالذي يقول لا أستطيع التنفس ، ولا أستطيع التكلم ، ولا أستطيع القيام والقعود ، مع توفر القدرة على ذلك .

ولو لم يكن الإنسان مختاراً لما قال سبحانه وتعالى :

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ،
وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، ثُمَّ
إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .

(٣٩-٧)

فعدم رضاه لكفرهم دليل أنهم يملكون الإيمان كما يملكون الكفر .
ومن هنا ندرك ، أن حرية الإنسان المختارة ، مشاهدة عياناً ، ولا
يجعلها إلا غبي ساذج .

ولولا أن الإنسان ، يملك الحرية الإرادية المحيرة ، لما استطاع أن
يلقي تبعة سيئاته ، وخبائث كفره ، على مشيئة الله تعالى . زاعماً أن الله
يربط الأعمال الانسانية بالجبر .

فالسارق حين يسرق إنما يسرق مجبوراً .

والفاسق حين يفسق إنما يفسق مجبوراً .

والقاتل حين يقتل إنما يقتل مجبوراً .

فالجبر في زعمه ، هو حقيقة أعمال الإنسان ، مع أن هذا الجبر ،
هو حركة "إرادية" مختارة ، ولكن سن أجل التخلص من مسئوليات
المخالفات زعم انه جبر .

ومن هذا القبيل ، نسبة كفرهم وعبادتهم للأرواح ، من الملائكة
والجن وسواهم ، إلى مشيئة الله . فلو لم يشأ الله عبادتهم لها لمنعهم .
فعدم منعهم مع قدرته على ذلك هو جبر . ويكفي أن يتلو المؤمن الصادق
قول الله عز وجل :

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
 إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
 يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ
 مُرْتَفَقًا (١٨ — ٢٩)

معجزة الشجر الأخضر والنار

لإثبات حقائق البعث

١ - توطئة

تقدمت بحوثٌ عدةٌ ، حول حقائق عوالم الآخرة فيها الكفاية .
وإن مجموع الآيات ، التي جاءت في القرآن المجيد ، تقتضي مؤلفاً ضخماً ،
لما فيها من حقائق المعارف .

ويكفي أن يعلم المطالع ، أن في سورة ياسين وحدها ، جاءت هذه
الآيات ، حول موضوعات الآخرة .

٣٦ - ١٢ و ٢٦ و ٣٥ و ٤٨ و ٤٩ و ٥١ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٥
و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ ...

إلى جانب هذه الآيات التي تشتمل على معجزة الشجر الأخضر والنار ،
لإثبات حقائق البعث ، واليك الآيات :

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ
رَمِيمٌ (٧٨)

قُلْ يُخَيِّبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ
تَوَقَّدُونَ (٣٦ - ٨٠)

يا لله !!!.. كم يجد المتعمقون في دراسة نصوص القرآن المجيد ،
من أجل اكتشاف معجزاتها المتحدية المشتملة على غرائب المعارف
الصاعدة .

وكم تجدهم مأخوذون بسحر البيان ، ومفتونين برنة الألفاظ ، ومتشبن
بطرافسة التراكيب ، وجدّة الأساليب ، التي هي المثل الأعلى ، لكل
ابتكارٍ صحيح فصيح الى يوم القيامة .

والأدب العربي سماء من الجلال ، بمشارك شموسه ، ومطالع أقداره ،
وربيع مثله المزدهرة ، في ربي الخلد .

وما استمسك بمناهجه أديبٌ ، والتزم أصوله وقواعده الفذة ، إلا
كان منارة علمٍ هادية لشبان العرب الشدّة الى أعلى ما تملكه العبقريّة
من خلود الذكر .

وما انحرف عن مناهجه العبقريّة منحرفٌ ، إلا كان واهن الطموح ،
سقط الأماني ، أُميَّ الكلمات يهوي انتاجه الى سلة المهملات قبل هويّه
الى هوة النسيان .

٢ - الشمس

لعل الذي لا بصيرة له ، ولا دراسة بواقع الوحي اليقيني ، والعلم
اليقيني ، يعجب لإقحام الحديث عن الشمس ، في معجزة الشجر الأخضر

والنار ، لإثبات حقائق البعث .. ولو علم أن الحياة الحيوانية والنباتية والإنسانية بصورة خاصة ، متوقفة - في كرتنا الأرضية - على وجود الشمس . وذلك بما تسكبه الأرض من حرارتها المتتابعة دون انقطاع .

وحديث حضارتنا القمرية عن الشمس ، وصلة أرضنا بها ، وسواها من الكواكب التابعة لها ، ضاف في كشوفات رواد الفضاء ، وسواهم من علماء الفلك . وهو في زيادة يوماً فيوماً .

وكما توغلت عربات الفضاء بين الكواكب ، وكلما استطاعت محطات الفضاء أن تجمع المعلومات وترسلها ، تجلّت المعارف المتوارية خلف ضباب الأبعاد ، وأخذت الإذاعات تنغى بها ، وطفقت التلافيز تعرض على جماهير الشعوب ما يصل إليها من عجائب عوالم الفضاء ، والمجالات العلمية تبسط ما تبسط . هذا ما يدلي به العلم اليقيني في عصرنا ، وهو قليل من كثير .

ولكن صلة الشمس بأرضنا في وحي الله اليقيني ، قليلاً ما يحاضر العلماء عنه ... رغم ما تشتمل عليها من الإعجاز المتحدّي .

تأمل النصوص الآتية ، وتدبر مدلولاتها ، تلمس ما تحمله من معجزات معارف الوجود ، عن الشمس والقمر وسواهما ..

١ - عمل الشمس والقمر وسواهما من الكواكب ، يجري بحساب دقيق جداً :

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ،
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٦-٩٦)

١ غير كلمة اشبه بموازين لغتنا العربية اطلقها أدباء السعودية على التلفزيون .

بل كل شيء في الوجود خلقه الله بقدر :

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٥٤ - ٤٩)

٢ - الشمس تضيء الأرض بنفسها ، لأنها سراج وهَّاج ، وبواسطة القمر لأنه نورٌ من السراج .

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (٧٨ - ١٣)

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ
لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠ - ٥)

٣ - العوالم السابحة في الفضاء ، مرفوعة بعُدٍ لا ترى :

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... (١٣ - ٢)
خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ
أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٣١ - ١٠)

٤ - سبح الكواكب والشمس والقمر ، في أبعاد الفضاء ، أمرٌ دائمٌ
دائبٌ حتى نهاية العوالم :

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ (٢١ - ٣٣)

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ (١٤ - ٣٣)

كانت ذرات العوالم السماوية والأرض كتلة واحدة ، فانفتقت وجرت في أفلاك عينت لها دون تصادم أو تشابك أو اضطراب :

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ... (٢١ - ٣٠)

فالذي يفهم ما تشتمل عليه هذه النصوص من المدلولات الهائلة ، يلمس أن الشمس مسخرة^١ لأرضنا ولإنسانها وحيوانها ونباتها . ويلمس أنها السراج الوهاج ، الذي يمنح أرضنا حرارة الحياة ، وأنها وسائر العوالم السابحة في هذا الفضاء ، ممسكة بعمد خفي طاق لا نراها .

٣ - الشجر الأخضر والنار

وقد يكون من القصور العلمي ، وعدم الاطلاع على حقائق العلوم ، ومعجزات الآيات القرآنية ودلائلها ، أن يزعم دارس^٢ بعداً بين الشجر الأخضر والنار .

والحق أن الأوائل من العلماء والمحدثين ، وجدوا اعجازاً كبيراً متحدداً في الآية . أشار الأوائل أن هناك شجراً أخضر يشتعل ويوقد به النار ، هو - المرخ والعفار - ولا ريب أن خروج النار من الشجر الأخضر ، آية من آيات الله . اسمع ما قاله الله عز وجل :

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٣٦ - ٨٠)

وهكذا نجد آيات القرآن المجيد ، تكشف لكل عصر ، حقائق من

الاعجاز ، التي تؤكد لها دلائل الألفاظ ، من ذات المعاني التي تحملها ، دون أن تضاف إليها معاني غريبة عنها ، ليست من مدلولاتها . لأن هذه الإضافة الغريبة التي ليست من مدلول الألفاظ ، تكون جنائية على واقع العلم اليقيني ، وغير مقبولة لدى الباحثين المنقبين عن الحقائق اليقينية في الأشياء .

وأما المحدثون فاني قد أذعتُ كلمة "مستفيضة" ، في اعجاز هذه الآيات من زمنٍ ، في مجلة الحج - التضامن الإسلامي اليوم - .

والخلاصة أن حرارة الشمس ، تمتصها الأشجار الخضراء امتصاص الرضيع ثدي أمه ، وبذلك الامتصاص تشيع الحرارة في كل خلاياها وتخزنها ، وتظل هذه الطاقة الحرارية قابلة للاشتعال والايقاد ، سواء تحول الشجر الأخضر إلى حطب أو إلى فحم عادي أو إلى فحم حجري إذا تطاولت عليه الأزمان وهو في مخازنه في الجبال أو تحول سائلاً قطرانياً مخزوناً في أعماق الأرض منذ ملايين الحقب ، من غابات ساخت في أعماق الأرض ، هي وحيوانها بعوامل طبيعية مُرادة لحفظ الحرارة النارية التي اكتسبتها من الشمس لأجيالنا ، ومن أنكر وجود الحيوانات في الغابات والحدائق التي خسفت ، فهو غير عالم بحقائق الأشياء ، لأن آثار المواد الحيوانية ظاهرة في النفط الخام ، كما أن آثار الحرارة النارية ، المكتسبة من الشمس ، في خلايا الأشجار الخضراء ، التي ذابت وتحولت إلى نפט خام ، ظاهرة فيه أيضاً .

وجه آخر من الاعجاز

وهناك وجه آخر من الإعجاز ، أشبه شيءٍ بالإعجاز الذي أشار إليه قدامى المفسرين .

وهو أن الأكسجين الذي هو عنصر حراري وقاد ، إذا فقد وجوده من الهواء ، فإن الحياة تُفقد على الأثر في الإنسان والحيوان ومن النار . و « الأكسجين » جزءٌ من أجزاء الهواء . وكذلك الشمعة المشتعلة تنطفئ إذا حجب عنها .

وأحسبك تقول : وما علاقة الشجر الأخضر بالأكسجين الذي يمنح النار الاشتعال ...

ولأجل أن تحيط علماً باعجاز الآية ، فاعلم أن العلاقة أصيلة وهائلة ، واعجازها في قوة الروعة والتحدي الصارخ .. إذ ثبت أن الكربون الذي يخدم النار ، ويطفئ الحياة ، لا يحوله إلى أكسجين إلا الشجر الأخضر ، ولكن بمعونة ضوء الشمس نهراً ، لأن الأشجار كافة تنفس ليلاً كما يتنفس الإنسان ، وتحول الأكسجين إلى كربون أيضاً . ولكن عملها في النهار كبير جداً .

اذن فلولاً وجود الشجر الأخضر ، لفقد الأكسجين من الهواء ، ولو فقد الأكسجين من الهواء لما اشتعلت نارٌ ، بل لما عاش حيوان . والآن تستطيع أن تلمس بحواسك الخمس ، الإعجاز الكبير الهائل في قوله تعالى :

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٣٦ - ٨٠)

وإنك تأسف لأفزام المثقفين الذين يهجمون على أطوار الوحي الإلهي الشاعنة في اعجاز القرآن ، بأعواد الخلال ، وهم يحسبون أنهم يستطيعون أن يعينوا فيها فساداً ، إذ قالوا : لا صلة للشجر الأخضر باشتعال النار إلا من طريق الحطب والفحم . لذلك لو كانت الآية الكريمة هكذا :

« الذي جعل من الشجر اليابس ناراً !!! لكان أقرب إلى القصد ، وأحكم ... » .

لله أنت أيتها الأرض ، كم تحملين من غباوة الأغبياء !!!؟ وخُبث الخبيثاء !!!؟ وفساد المفسدين !!!؟ ورعونة الحمقى !!!؟ والذين هم دواب العيش ولذاته ، يحملون في بطونهم عقولهم الخربة ، وقلوبهم القاسية ، ونواياهم السيئة ، والضحك على عباد الله ، وما هبَّ ودبَّ من الخبائث المنحطة ، وخيانة أمتهم التي يستظلون بظلها ، وينعمون بنحراتها ..

لك الله أيتها الأرض كم أنت رضية وصابرة !!!؟ فإن أثقال ما تحملين منهم تنوء به السموات العلى ، وأقسم :

١ - لولا صعود العلماء بالعلم ، وتضحياتهم الغالية ، من أجل كشف حقائق الأشياء .

٢ - ولولا سَهْدُ الأدباء من أجل تجديد الآداب ، وابتكار فنونه الطريفة الممتعة ، وتآزرهم على إبداع الكلمة ، وصحة أسلوبها ، وزخها بالسحر والجاذبية والفتنة والبهجة ...

ولولا أن مودة هؤلاء وأولئك ، توثقها نهضة إنسان السلام ويدعمها صدقه ، وتذليل دروبها وجدة المسيرة ، لضقت بالعيش ذرعاً ، بين هؤلاء الجهلاء الأغبياء ، والحمقى المخبولين والمقلدين المسرفين ، الذين ليس في إمكانهم أن يفهموا يقين الواقع العلمي في الأشياء ، ولو سحابة من نهار .

أنظر كيف تصوروا أن الطاقة الحرارية: النار لا تنطلق من الشجر الأخضر بسل من الشجر اليابس حين يتحول حطباً أو فحمًا . وجهلوا الإعجاز الكبير المودع في لفظة الشجر الأخضر . وفي كل ذلك مصيبة فكر وعقل ووجدان وضمير . وهو أعظم المصائب ...

اثبات حقيقة البعث ماثلة في صميم إعجاز الآيات

لعل أولهن ما تسمعه من أشطار هؤلاء المثقفين هو قولهم : إعادة حياة الموتى بذات عناصر الأرض التي كونوا منها ، أول مرة ، لن يتحقق !! ونسوا أن الذي خلقهم أول مرة من عناصر الأرض ، ولم يكونوا شيئاً مذكوراً ، هو الذي يعيد خلقهم للمرة الثانية للبعث حسب مقتضيات العالم الثاني ، الذي ينتقلون اليه :

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ
توقِدُونَ (٣٦ - ٨٠)

والذي يتبينه الدارس المتعمق في هذه الآيات ، برهانين صارخين :
الأول : إثبات حقيقة البعث .

والثاني : برهان وجود القدرة الإلهية ، وهي حقيقة مشاهدة في صميم تكوين الكائنات ، وهذا البرهان من البديهيات التي يحتج به كل مجادل من المؤمنين بوجود مكون الأكوان ، وهو حجة الكون الأولى والأخيرة ، ومنطقه الأزلي الصارخ .

وما يرفضه إلا الملحدون الدهريون ، الذين ينسبون تكوين كل كائن ، مهما كان فيه من غرائب التكوين ، ومعجزاته ، كخلق الانسان . بل ينسبون كل الأكوان إلى الصدفة والدر .

وهؤلاء الملحدون الدهريون ، موجودون في كل عصر من العصور ، ونص وحي الله على وجودهم ، حتى في العصر الجاهلي .

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا
الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤-٤٥)

كما نص أنهم سيظلون إلى نهاية العالم ، ولا يشاهد أهوال نهاية العالم
من أصناف البشر إلا هم . وهذا صريح في الحديث الصحيح الصريح ،
الذي رواه مسلم : « لا تقوم الساعة ، وفي الأرض من يقول .. الله
الله . » فالله اكرم أن يُري أهوال يوم القيامة التي تجعل الولدان
شبيهاً ، المؤمنين به جل وعز ..

... وهؤلاء الملحدون الدهريون صنفان - وإن تنوعت أسماؤهم ،
واختلفت بواعث إلحادهم ، وتناقضت بحوثهم حوله في :

- الإثبات والنفي ...

- والقوة والضعف ...

- والاحتجاج بالفروض العلمية التي لم تتجاوز الظنون ..

١ - صنف من العامة وأسطار المثقفين ، وهم إمعات ، ينقادون
لكل ناعق ، ويصدعون بكل ما يسمعون ، ولا يميزون بين العلم
والظن ، والوهم والإفك ، والدس والتأويل والتهويز ، وهؤلاء لا علم
لهم بحقائق الأشياء ، فالحقيقة عندهم ما يلقونها تلقيناً كما تلقن
الأموات ، ويثبتون عليها دون نقد ودرس وبحث وتحقيق وتدقيق .
ومن أجل ذلك تجد جمهورهم في الأوساط الأمية ، والمثقفة نصف
تثقيف .

وما كان أشبههم بالجاهلية وما كان أوثقهم بها . لأن الجاهلية كان
فيها الملاحدة الدهريون .

وعلى الاجمال فهذا الصنف من الملاحدة الدهريين ، لا يهمهم تعيين الواقع العلمي اليقيني في الأشياء ولا يطلبونه ، ويكرهون من يكشفه لهم . هم جهادٌ في جهاد . أو كما يقولُ النحاةُ في أيّ :

« أيّ ” هكذا خلقتُ “ !! .

حتى لو قلت هم صخورٌ صلدة غير قابلة للحركة والتجدد الصاعد ، فإنك لا تعدو الواقع ..

حسبهم إنحطاطاً أن كل أمرهم المعتمد ، منصرف إلى ما تنصرف إليه الحيوانات المرسلة : طعامٌ وشرابٌ وتناسلٌ ، ثم موتٌ وفناء ، ولا مسئولية للجرائم والفواحش التي تُرتكب ، هي في زعمهم انتهازٌ وذكاءٌ وعبقرية !!! والصفوة أنهم لا يرون وجود شيء بعد الموت إلا التراب !! تتجدد به الحياة وتنتهي إليه ، وفيه ختم النهاية الأبدية .

هذا كل إيمانهم في نهاية الحياة ... وهم عتريون ، لو اجتمع إليهم كل علماء الأرض ، وأقاموا لهم كل البراهين العالمية اليقينية التي يملكونها . فإنهم لا يؤمنون .. « عترة ولو طارت » والسلام عليكم .

٢ - وصنفٌ من العلماء الذين يتعمقون دراسة علوم المادة ، ويرونها الأولى والأساس . وكلُّ العوالم ناجمةٌ عنها ، فلولا المادة لما كانت ثمة طاقةٌ ما ..

ومعلومٌ أن المادة غير عاقلة ، وأنها لا تتصرف في شيء من أعمال الوجود بعلمٍ وقدرة وإرادة . بل هم الذين يتصرفون في هذا المنعطف الفضيل من الفضاء بالمقدار الذي تسمح به حضارتهم .

والحق أن المادة لا تهيمن عليهم ، بل هم الذين يهيمنون عليها بعلومهم وبحوثهم وتجرباتهم ومراصدهم ومحطاتهم الفضائية وصواريخهم وعرباتهم المنطلقة بين كواكب مجموعتنا الشمسية ..

وهذا الصنف من العلماء كالأمين من الملاحدة الدهريين ، وأشطار المثقفين ، لا يؤمنون بوجود رب العالمين ، الذي بيده وحده 'الخلق' والأمر والتصرف المطلق والهيمنة على كل الكائنات دون شريكٍ أو نِدٍ أو وزير أو معين .

ولا ريب أن الذي لا يؤمن بالله الخالق العظيم ، فإنه لا يؤمن بوجود العالم الثاني ، ونهاية الأرواح البشرية إليه ، بل يعتقدون أن نهاية هذه العوالم المادية القائمة ، ليست نهاية تبديل وتغيير ، ثم يليها خلقٌ جديد لأرضنا وسماواتها يكون منها الانتقال الى عالمي النعيم أو العذاب ، بل هي نهاية عدمٍ سرمدٍ محض ..

ولا عوالم أخرى ، ولا انتقال إليها ، إن هي إلا أساطير وخرافات وأحلامٌ مصوّرة ، صورها مخططةٌ في الأعصاب ، ورثناها عن القدماء .. من مخاوفهم بالنهاية المظلمة الموهلة . والحقيقة الماثلة في الوجود التي تهيم عليه وتديره هي الصدفة العمياء الصماء ، ولا شيء وراءها ، فمنها البداية وإليها النهاية !!!

من أجل ذلك لا يرجي من هذا الصنف من الملاحدة الدهريين إيمان في يوم من الأيام !!؟ أنتى يؤمنون ، وهم يرون حقائق عوالم الآخرة ونصوصها الموحاة ، التي تثبت أن الأرواح البشرية باقيةٌ بعد فناء الأجساد ، وقائمة الآن في عالم الأرواح ، وأنّ ثمة عوالم نعيم وشقاء سوف تنتقل إليها ، هي أماني وأحلام مخزونةٌ صورها ، ومركزةٌ أفلامها في أعصاب الأجيال منذ ملايين القرون . فلا تزول تأثيراتها وإيحائها وأشباحها المنظورة في الخارج ، إلا بمرور حقبٍ من الجحود توازيها . وإذا قلت لهم قد يكون هذا صحيحاً ، لو لم تكن معجزات رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - خارجة عن نطاق الأحلام ، وصور الأماني المحرومة المخزونة في أعماق المجموعة النفسية .

أجل إن معجزات الرسل خارجة عن نطاق هذا الجنون والهوس :

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٨١ - ٢٢)

بل هي حقائق مشاهدة محسوسة بالحواس الخمس ، وصورُ الأحلام النفسية ، مهما قويت واستحكمت وتفاقت ، فهي لا تزيد عن الصور المكهرية المتحركة في السينما ، تشاهدها الجماهير كأنها حقائق ماثلة أمامهم ، وما هي إلا تمثيل في تمثيل !!..

أجل إن معجزات رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، هي حقائق ثابتة يقيناً بكل ما تحمله لفظة حقائق من كبير المعاني ..

أنظر ما كان من سحرة فرعون - الذين هم أعلم العلماء بتخيلات السحر وارهابه وتأثيره - حين ألقى سيدنا موسى عليه السلام عصاه وأجرى الله بها ما أجرى من العجائب ، أما أدركوا أنهم أمام حقائق ثابتة يقينية ، لا صلة لها بالخيال . وانهم أمام فعل الحق الذي يدعوهم إلى الإيمان ، فأمنوا واعلنوا إيمانهم غير مكترئين بما يكون . وما نسبها فرعون وملؤه إلى السحر !! . بعد اعلان السحرة ، أنها ليست من السحر ، إلا بغياً وعتوا .

ومن المعجزات إحياء الموتى لسيدنا عيسى المسيح ، وشفاء المرضى ، واحضار الطعام ، والإخبار بالمغيبات . وكلها حقائق شاهدها خلق كثير ، ومنهم من آمن ، وما آمن الا قليل ، والجمهرة المقلدة العمياء الصماء نسبتهما إلى السحر ، وهذا دأب الملاحدة وجملامد الكفرة في كل عصر ومصر .

وها هوذا القرآن المجيد المعجز المتحدي ، ينادي بحقائق الإيمان الأصيلة .. ويقدمها إلى البشرية كافة ، بالبراهين العلمية اليقينية المشاهدة لهم ، على مدى الحضارات والتطورات العلمية الصاعدة .

يقدمها باعتداء وتحد وتصميم وقوة ويقين ومشاهدة عيان . ويطلب إلى الدارسين العلماء ، أن يكونوا أحراراً مفكرين ، وأن يكونوا باحثين متعمقين قادرين ، وأن يكونوا إنسانين أمناء حقاً ، يعملون لشيء واحد ، هو كشف واقع العلم اليقيني في كل شيء ، دون مواربة أو مجاملة أو مخاتلة ، أو انقياد لأغلال تقليد ، أو إفك أو سطوة عنصرية أو مخادعة شخصية متوارثة ، أو هيمنة اغراء بمال أو جاه أو سلطان ، والمخفي أهول .

ومع هذا الطلب الصريح من منطق آيات وحي الله الأزلي القرآن المجيد ، نجد من يجحدونها تقليداً وتألّباً لصالح العيش أو بحقد العنصرية ، أو بإحساء الباطل ، ويقاومونها بكل أساليب الأبالسة العتاة ، والفجرة الطغاة ، والظلمة القساة .

وأنت إذا رأيتهم يجحدون ، أن سيدنا موسى كان له عصاً حقاً ، أجرى الله له بها العجائب عياناً ، وأنها هي التي جعلت السحرة يبادرون إلى الإيمان ، ويخرون سجداً ، فما كان منهم ذلك الجحود إلا لأنهم لم يتيقنوا يقين السحرة ، وتصوروا أنهم أعلم بالسحر من السحرة .

ولو كانوا مع المشاهدين لمعجزة العصا ، ولديهم كالسحرة ، المعرفة الصادقة التي تميز ما هو من تخيلات السحر ، وما هو من حقائق المعجزات التي لا يمكن أن تصدر إلا عن قدرة الله مبدع الأكوان ... لآمنوا ، وأصروا على الإيمان دون مبالاة بما يفعل بهم من بطش وفتك وصلب وتقطيع الأيدي والأرجل .

أي لكانوا كالسحرة ، لم يقيموا وزناً لأي اعتبار آخر ، سوى الإيمان بما ظهر لهم انه يقين العلم ..

ولكن الملاحدة الماديين مع كل التأكيدات القطعية الصارخة أن ذلك حصل فعلاً ينسبونه ، بل وينسبون كل حقائق المعجزات التي أيد الله بها رسله الكرام في عالمنا هذا :

- ١ - إلى تخيلات السحر .
 - ٢ - أو إلى الإيحاء النفسي .
 - ٣ - أو إلى أشباح الوهم .
 - ٤ - أو إلى هياج الأعصاب ، وعُنف هوسها ، الذي يجعلك تشاهد ما تسمعُ به كأنه قائم بين يديك .
- من أجل ذلك يصرون على جحود كل معجزات الرسل ، وجحود كل ما يصدر عن عوالم الروح، حتى ولو نطقت علومهم المادية الصلدة، أنه عين يقين العلم ، وأنه عين حقائق الوجود .
- وسبب صلابة عنادهم ، هو حب التظاهر بسعة العلم ، وعمق الفكر ، والتزوع إلى التجدد الفاسد ، وما إلى ذلك مما تسمعه من ألقاظهم الظلمانية الظالمة الجوفاء ، التي لا تحقق شيئاً من أعجاد العلم والأدب الخالدين ، ولا تدل إلا على خفة العقل ، ورعونة الغوغائية وتفاقمها ، والهوي في مهاوي الغواية التي تلتهم الحياة شر التهام ..
- نعم هناك علماء راسخون مكتشفون مشهورون في كل مواطن الحضارة حتى في روسيا بالذات ، لمسوا في معارف الوجود التي يكتشفونها حقائق وجود الله الخالق العظيم ، وحقائق عوالم الطاقات الروحية .
- أولئك العلماء الأعلام ، هم القادرون على التمييز العلمي الواقعي ، بين النصوص الملصقة بوحي الله ، والنصوص التي هي من وحي الله حقاً وصدقاً .
- أجل هم القادرون على معرفتها وتشخيصها وتمييزها ، بما لديهم من ملكات علمية عبقرية ، تستطيع أن تتعمق دراسة وحي الله تعالى، وتكشف إعجازه المتحدي ، وتفوقه وانتصاره لدى كل معركة . فإذا تلاوا قول الله عز وجل :

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ...

وأنعموا أنظارهم في المراد الذي تحمله المدلولات اللغوية ، لمسوا البرهان العلمي اليقيني الناطق باثبات إحياء الموتى وحشرهم للعالم الثاني ، وتبينوا أن وظائف الشجر الأخضر التي جعلها الله سبباً لإيقاد النار من جهات عديدة ، هي عين المراد المعجز المتحدي في نص الآية ، دون انحراف عن مدلولها اللغوي ، بسبب كشوفات العلم الحديث اليقيني .. بل تجسد المدلول اللغوي هو هو ، رغم كل التطورات الحضارية ، التي عقب نزول خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد .

وكم سخرت مرة من سطحي المعرفة ، واهن التفكير ، تخيل أنه يتأبط سؤالاً ذا وزن ، ينه به في مجلس علم كنت فيه ، وكان . قال :

— ما دخل الشجر الأخضر، وناره حين يتحول إلى حطب أو فحم !!!
في مسألة إحياء الموتى ، بعد أن يصبحوا رماً باليةً ، وتراباً في تراب .
هل هذا هو البرهان العلمي القطعي على إحيائهم !!!

ج : قلت في الجواب :

١ — يقتضي أن تعلم مدلولات الفاظ اللغة العربية ، على وجهها الأدبي الفصيح العالي ، وأن تعلم أن الله ادخر جوانب من الاعجاز في نصوص وحيه القدسي للمستقبل ، لوقت الحاجة ، كما ادخر النفط ..

٢ — ويقتضي أن تفهم موضوعات العلوم الحديثة ومقاصدها ، والتميز بين حقائقها اليقينية ، وفروضها الظنية .

وبذلك يتحقق الدارسون أن الله هو المتكلم ، وأن العالم الثاني حق ، وانتقال البشر إليه حق ... واعجاز الوحي الإلهي ظاهر لا في هذا النص

وحده ، بل في كل نصوصه . ذلك لأن ما كشف من معجزات قواه تعالى :

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ...
هو قليل من كثير .

وهذا القليل مفتقر إلى مجامع علمية ، ومختبرات للدرس والتمحيص ، لأن أمثال هذا العصامي في الغباء كثيرون ...

استنجاد بأهل الشهامة المؤمنين

أين أنتم ؟ يا أهل الإيمان في الأرض . ألا يخلق بكم إيجاد المجامع العلمية ومختبرات التحقيق من أجل كشف معجزات خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد ؟!! ألا تعلمون أن كنوز رضوان الله ، وتخليص العالم الإنساني من ظلمه وظلماته وأحقاده وعنصرياته وفتنه وحروبه ؟!! لن يتم إلا على أيديكم إذا فعلتم ذلك .

والبشرية اليوم يتفاقم الإلحاد في أوطانها وسيهوي بها في مهاوي الملحمة الكبرى ، وإنها لموشكة أن تحلّ ، إذا لم تعتصم بعصم الإيمان بما أوحى الله على رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم ، وإذا لم تعتصم بالعلم بالفهم بالذكاء بصدق الاخلاص لدعم الحق ، وهدم الباطل ، وأن تتخلي عن العنفوان والأثرة والبطش والفتك والقوة . لأن الله جل وعز يقول :

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ

إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٣ - ١٠٣)

ويقول :

... وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

(٢٢ - ٧٨)

هذا مجمل معجزة الشجر الأخضر والنار المسببة عنه ، بسطتها على الأوجه كافة ، ليعلم الدارس أنه أمام كلام رب العالمين ، وخالق الخلق أجمعين ، الواحد الأبدي السرمدي الذي له الخلق والأمر والملك والملكوت ، الحي الدائم الذي لا يموت سبحانه جل جلاله .

معجزة خصائص صفات الله جل وعز

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)

فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣-٣٦)

إذا أنت أنعمت نظرك العلمي الباحث ، في هذه الآيات الثلاث ،
التي ختم الله بها سورة ياسين ، إنعام الدارس المتطلع المثابر ، وتعمقت
فيما كتبه العلماء القدامى والمحدثون عن اعجازها ، تنكشف لك خصائص
صفات الله العليسا ، التي تليق بجلاله وحده ، كما تنكشف لك الصفات
الدنيا ، التي هي من خصائص مخلوقاته التي لا تليق بجلاله وكماله .

١ - تأمل الآية الأولى ، ألا تجدها تكشف لك مدى قدرة الله ،
التي أبدعت الأكوان ، وخصائص صفاتها وأوضاعها ، بكل
ما تحمل كلمة الابداع من كبير المعاني ، إذا أضيفت إلى رب
العالمين جل جلاله ..

٢ - وتفكر في الآية الثانية أعمق التفكير ، وانظر إلى عوالم الكواكب
والسموات وما فيهن من جمال ، وما يغشاهن من جلال
التكوين !! . فانك تلمح أسرار الخلق والأمر ، المختصين برب
العالمين ، متجليين في الأكوان كافة ، كما تفقه الأسرار الكبرى
التي يشتمل عليه قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٧ - ٥٤)

هذه هي قدرة التكوين ، وما تمّ بها ويتمّ من أكوان على مدى
الآزال والآباد ، يستحيل أن يتصف بها سوى رب العالمين ، ومعرفتها
اليقينية هي قصد علم العلماء ، وإيمان المؤمنين .

أجل يستحيل أن يتصف فرد من أفراد الكائنات مهما عظم وكبر .
هذا منطق الوحي اليقيني ، ومنطق العلم اليقيني . بل منطق الوجود بأسره .
ردده رددته وأنت عالم ومفكر ومؤمن ومنطلق ، تسعد السعادة الأبدية .
ومهما يكن فلا يصح عقلاً ولا علماً ، ولا ديناً ، أن الكائن الذي
مصدره الخلق والأمر من رب العالمين ، أن تشابه صفاته صفات رب العالمين .
وما لفظة كن التي تمثل الخلق والأمر الإلهيين ، إلا تقريب لعقولنا
ومعارفنا ، وإلا إذا أراد الله شيئاً كان ..

٣ - والآية الثالثة مسك ختام سورة ياسين .

واعتقد لو أن مجمعا علميا ضخما ، طلب إلى علمائه أن يحصوا

ما تشتمل عليه هذه الآية الكريمة ، من خصائص صفات الذات الإلهية ،
من الوجهة العلمية الحديثة ، لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .
لا تخل أني أغالي ، فالمغلاة في العقائد خروجٌ عن دلائل آيات
الله ، وهل من ذنب أعظم من ذلك .

أنظر لفظة « سبحان » التي هي مصدر التسبيح ، الدال على شمول
تنزيه الله وتقديسه ، ثم انظر لفظة « ييده » الدالة على نفوذ القدرة
الإلهية المهيمنة المتصرفة كل التصرف ، وتأمل لفظة « ملكوت » الدالة
على الملك الحقيقي المهيمن على ظاهر الكائن وباطنه : لأن « الناء » تدل
على بلوغ نهاية امتلاك الشيء من أصغر ذرة مادية ، وأدنى بارقة طاقة ،
إلى أضخم الأجرام السماوية ، وأكبر طاقاتها العاقلة وسواها .

وناهيك بالعموم الشامل المائل في لفظي « كل شيء » الذي لا يفلت
منه كائن ما ، مهما صغر أو كبر .

والخلاصة أن هذه الآية الكريمة ، تكشف مدى سلطان الله الخالق
العظيم ، فيما كوّن ويكوّن ، من أشياء الكائنات بقسميها المادي والطاقي ،
ومدى تنزيهه وتقديسه تعالى ذاتاً وصفات وأفعالاً : أي أن تكون لذات
سوى ذاته شركة أو مثلية له من قريب أو بعيد ...

والآن تستطيع من مجمل معاني الآيات الثلاث ، أن تتذوق جلال
الاعجاز ، في خصائص صفات الله الخالق العظيم ، لأن كل مؤمن
بوجود الخالق العظيم يود من كل قلبه ، وكل عقله ، وكل علمه ،
أن تنكشف له خصائص صفات الله الخالق العظيم جل وعز .

هذا هو الواقع المطلوب لكل عالم مفكر بحاث ، يجاهد لتحرير المعرفة
في كل شيء ، وهو يقوم على أركان ثلاثة :

الركن الأول : الاعتماد على النصوص اليقينية

هب أنك تريد أن تقدم ، لأعجاب العلم اليقيني المعترف به لدى علماء البشر كافة حقائق صفات خاتم رسل الله محمد ﷺ ، تقدمها مصفاة من دسائس الدسائس ، وخرافات المخرفين ، دون زيادة أو نقصان . ألا تجد من الواجب العالمي قبل تقديمها ، أن تستعرض القرون المتطاولة التي بينك وبين القرن الذي كان فيه رسول الله ﷺ ، وإن تصفي ما دسه فيها وزوره فيها غلاة المبغضين من قدح خبيث في صورة مدح . أو غلاة المحبين من مدح موضوع ما أنزل الله به من سلطان . أما القدح السافر فإنه تخلف وحشي يمتته كل مهذب . وتصفية الواقع القطعي :

١ - لن تكون إلا باعتماد النصوص المتواترة اليقينية ، التي رواها جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على اختراع الكذب .

٢ - ولن تكون إلا بطرح النصوص المظنونة والمعلولة والموضوعة :

- لأن اعتمادك على النصوص العلمية اليقينية يجعل معرفتك بخصائص صفات رسول الله ﷺ علمية يقينية .

- واعتمادك على النصوص الظنية الضعيفة ، يجعل معرفتك بها ظنية ضعيفة .

- واعتمادك على النصوص الموضوعة المفتراة ، يجعل معرفتك بها موضوعة مفتراة .

- وهذا عين ما يقال في معرفتك ، بخصائص صفات الحق جل وعلا . فإنها تكون علمية يقينية ما دمت تعتمد على النصوص العلمية اليقينية .
- وتكون ظنية ضعيفة ، ما دمت تعتمد على النصوص الظنية الضعيفة .
- وتكون موضوعة مفتراة ، ما دمت تعتمد على النصوص الموضوعة المفتراة .

جهاد تصفية المعرفة اليقينية

لا جهاد في الدنيا أعظم ولا أكرم ولا أنفع ولا أسمى ولا أحب الى الله والناس من الجهاد في سبيل تصفية المعرفة الإنسانية من شوائب الظنون والأوهام والأساطير والدس والزيادة والنقصان ، حسب هذا الجهاد مكانة وفخاراً ، أنه يؤدي إلى تصفية المعرفة اليقينية ، بخصائص صفات الله رب العالمين وخالق الخلق أجمعين ..

- بل قل إنه يؤدي إلى تصفية المعرفة اليقينية في كل شيء ..
- وإذا تمكنت الإنسانية ، أن تصعد الى المعرفة اليقينية في كل شيء ، فهناك السلام الحقيقي ، وهناك المحبة الصادقة ، وهناك الإنصاف والتسامح ، بل هناك الايمان اليقيني الذي يؤمن به العلم اليقيني بأسطق براهينه ، وأصدق دلائله ..

وهذا الجهاد هو الذي تبلغ به الإنسانية رشدتها العلمي ، وتتهذب به مجموعتها النفسية ، وتتمكن أن تصعد به إلى مثلها العليا ، التي أوحاها الله لكمالها وإسعادها ، ويكفي كما ذكرت آنفاً أنه يؤدي إلى معرفة خصائص صفات رب العالمين ، وخالق الخلق أجمعين ، إذا صُفّي وصدق وكرم وحسن .

هذا الجهاد الخاص بمعرفة خصائص صفات الله جل وعز ، مجدهُ الوحي الإلهي :

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ .

(٢٩ — ٦٩)

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ (٢٢-٧٨)

وإذا كان الانسان يفخر ، من أجل الجهاد ، في سبيل امتلاك حرته الظاهرية ، مهما يكن الثمن فكم بالأحرى يكون افتخاره بجهاده في سبيل الهداية إلى معرفة خصائص صفات مكون الأكوان ، وموجد هذا الوجود. لا ريب ان الجهاد في سبيل معرفة خصائص صفاته جل وعز ، هو جهاد علم وفكر ودرس ونقد وفهم ووعي وإيمان وحق وصدق ..

هو لذة وسرور وإخلاص ورضا .. والسهد والجهد والنصب في سبيله سعادة وهناءة سرمديتان .

وما جهاد أعلام علماء البشر ومفكريهم ، في سبيل علم ظاهر الكائنات، إلا للوصول إلى معرفة حقائق صفات موجدتها اليقينية والمهيمن عليها والمتصرف فيها .

ها نحن أولاء نشاهدهم ، في التلافز والاذاعات وفي المجلات العلمية والمؤلفات ، يجاهدون ويضحون ويبدلون الأموال ، من أجل كشوفات معارف الفضاء ودرسها وتمحيصها والافادة منها .

وهم وإن كانوا صعدوا إلى عتبة الوجود الأولى — مجموعتنا الشمسية — من سطح القمر ، فإنهم من أجل اجتيازها ، يفتقرون إلى جهاد طويل، وتضحيات جلى ، وصبر وجلد ، وكشف للعلوم التي لا تزال مخفية في مجاهل الوجود . لأن وراء مجموعتنا الشمسية الأولى مجموعات ، ووراء مجرتنا الأولى مجرات، لما يحص العلم أعدادهن، وهن في علم الله الخالق العظيم .

معجزة خصائص صفات الله الخالق العظيم

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)

المعراج وخصائص صفات الله

كنتُ في بدء دراستي للعلم ، أحب أن أسمع سيرة الاسراء والمعراج ،
من أفواه العلماء الأجلاء في المساجد ، حين يتلوونها على الجماهير ، في
شهر رجب من كل عام . حتى كُلفت بالقائه على الجمهور في جامع
بيروت الكبير .

وكان بعضهم يقرأ المعراج الذي جمع أحاديثه العلامة الشيخ أحمد بن
محمد العدوي المعروف بالدردير ...

وبعضهم يقرأ المعراج الذي ألفه المحدث الكبير السيد محمد بن جعفر
الكتاني . وبعضهم يقتصر على الجانب الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم .

مع شرح وجيز لدلولات الألفاظ وعرض للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، التي وردت في ذلك .

وما سمعتُ أحداً يقرأ المراجع الموضوع على لسان ابن عباس ، على كثرة وجوده في أيدي العامة ، وتنبيه العلماء أنه من وضع الدسائس .

وكنْتُ أهناً وألنذُ وأدهش . حين أسمع رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يصف في معراجهِ سعة العوالم الهائلة المترامية في أبعاد الفضاء ، وفي مجاهلها الحقيقة ، ويمثلها بالقناديل المعلقة ، ولا شيء بمسكها سوى قدرة الله جل وعز .

وهأنذا اليوم أزداد هناءةً ولذةً ودهشةً ، حين أذكر كيف اجتاز رسول الله ﷺ عوالم الكواكب ، التي جعلها الله زينة للسماء الدنيا ، في صحبة روح القدس سيدنا جبريل عليه السلام ، وكيف أفضيا إلى السماء الدنيا ودخلها ، وما زالا ينتقلان من سماء إلى سماء حتى أفضيا إلى السماء السابعة ، مع أسئلة وأجوبة روحية قدسية متألقة بأضواء كشافة لحقائق عوالم المادة والطاقة ، وما يزال علماء عصرنا القمري الأعلام يجدون بما يبتكرون من معدات لكشف خفاياها المحجوبة ، لأنهم لمسوا بحواسهم الخمس أن ما عرفوا منها لا يزيد عن رقم الواحد بالنسبة لما يمكن للإنسان أن يدركه من نهاية الأعداد .

فهم يرفضون أن يستبقوا الكشوفات فيجحدوا حقائق ما يجهلون ، وينسبون جحودهم إلى يقين العلم ، وما هو من يقين العلم في شيء ، بل هو إفتراء عليه .

ومهما يكن فنقد رسول الله ﷺ في صحبة روح القدس سيدنا جبريل من السماء السابعة إلى ما وراءها من العوالم : كسدرة المنتهى ، والبيت المعمور ، وعالمي النعيم والعذاب ، وما فوق فوق ، مما جاء ذكره في نصوص الوحي اليقينية .

ولعل قرم المعرفة فدم التفكير متلجلج الرأي متاجراً بالدين : يسارع
فينقذني قبل التعرف إلى بواعث الموضوعات ، يقول :

س : وما دخل خصائص صفات الله في المعراج .

ج : ولو فهم هذا السائل الناقد خصائص صفات الله الخالق العظيم
المتجلية في وقائع رحلة رسول الله ﷺ السأوية ، وصعوده إلى أبعد
الكائنات ومشاهدته لها . وأنه ما قال عن كائن منها : سواء أكان من
كائنات المادة ، كالشمس والقمر والنجوم ، أو كان من كائنات الطاقة ،
كروح من الأرواح التي شاهدها ، أو ملك من الملائكة الذين اجتمع بهم
وتحدث معهم أنه الله الخالق العظيم .

أجل لم يقل ذلك قط ، وكيف يقول ذلك ؟!! وقد شاهد بعينه :
الجهات الست تحيط بكل كائن وتهيمن عليه ، ولا يفلت من سلطانها
وحدها المعينة له ونواحيها ، مهما كبرت واتسعت . أو صغرت وضافت ،
أي وفق ما عينت إرادة الله له من حدود .

أجل شاهد رسول الله ﷺ في معراجة الشريف حدود الكائنات التي
أذن الله له برؤيتها ، أي شاهد من آيات ربه الكبرى ما شاهد .

أما صعد به ملاك الوحي إلى الأفق الأعلى ، وراه على حقيقته
الروحية التي خلقه الله عليها للمرة الثانية . وشاهد ما شاهد ، ممّا غشّى
صدره المنتهى من العجائب ، وأوحى إليه ما أوحى . ومما قصه علينا
رسول الله ﷺ من الآيات التي رآها ، والتي لم يقصها . هو حق
وصدق ، ورؤية عيان بالجسد والروح ، ولم تكن بالروح فقط ، كما
روي عن عائشة رضوان الله عليها وآيات سورة النجم ناطقة بذلك :

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ
شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ

دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ
مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى .
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ
يُغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (٣-١٨) . سورة النجم

• أذن فدخل المعراج في كشف خصائص صفات الله كبيراً جداً .
• ها أنت ذا تسمع الكثير عن مكتشفات علماء الحضارة الكونية :
من رواد الفضاء ، ومن مخترعين وفلكيين وسواهم .

تسمع منهم عن عوالم المجرات ، وعن مجموعاتنا الشمسية وعن الأقمار
والسدم . وعن أحجامها وأبعادها واعدادها ، تسمع ما يذهل العقول ،
ويحير الألباب ، ويخيل اليك أنها أحاديث من ترهات الجان ، أو خرافات
ألف ليلة وليلة .!! لا عن حقائق ثابتة رآها العلماء بمراقبتهم وأرصادهم
وموازينهم وآلاتهم في شتى أبعاد الفضاء . وبالحرى بعد الصعود إلى
سطح القمر ، وإرسال العربات حول الكواكب ، وإقامة المحطات الفضائية
في شتى الآفاق .

وكل ذلك يريك الصلة الوثيقة بين العوالم التي تحدث عنها وعن أبعادها
وضخامتها رسول الله ﷺ في معراجهِ ، وبين ما اكتشفه العلماء ويكتشفونه
مما يضاعف وثاقة الصلة ، ويمنح المؤمنين طمأنينة الإيمان الصحيح .

ومن هذه الوثاقة في إحكام الصلة بين المعراج وكشوفات العلم الحديث ،
وما يكتشف منها قريباً أو بعيداً ، تفهم عظمة الله رب العالمين ، الذي
كونها تكويناً ، وعين لها مواطنها في الفضاء ، وفرض عليها سننها ،
وأفلاكها وأبراجها .

أجل يكفي أن تفهم من تصريحات رسول الله ﷺ ، عن سعة

العوالم التي عرج إليها ، وعن ضخامتها وعظمتها وأبعادها ، الصفات التي تليق بجلال خالقها ، والمهيمن عليها والمتصرف فيها ، والصفات التي لا تليق .. تفهم بطلان مذاهب الحلول العامة والخاصة . وبطلان زعمهم أن الله الخالق العظيم متسرب في مخلوقاته تسرب الجاذبية ...

وتفهم من رؤياه التي أنعم الله عليه بها ، تكريماً لعبوديته الضارعة ، معنى الإحاطة الإلهية بالناس وبأعمالهم ، وبالأرواح والملائكة الذين اجتمع اليهم ، ونحدث معهم . تفهمها من الوحي المعلن ، أن الجميع في قبضة قدرته وسلطانه ، وأنه يتصرف بهم كما يشاء ، وانهم جميعاً لا يزيدون عن الريشة ، في قبضة أشد الأبطال قوة وبأساً ومنعة :

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ، وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ
فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (١٧ - ٦٠)

واحاطة الله بالكائنات المادية والطاقة عامة شاملة :

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ .
(٤١ - ٥٤)

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٨٥ - ٢٠)
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا .
(٤ - ١٢٦)

والخلاصة أن كل كائنات الوجود ، هي خاضعة لإحاطة خالقها العظيم ، وانه لا يحيط شيء من الأشياء به جل وعز ، مهما كبر أو صغر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

العلم والوحي اليقينيان

يقدمان خصائص صفات الله جل وعز اليقينية

إننا نعيش في عصرٍ قري ، يتعمق علماءه المفكرون الأعلام ، الدرس الطويل الحر ، والبحث العلمي الأمين ، والنظر العميق الفاحص ، لكل موارث الإنسانية . من أجل أن يتبينوا اليقين الثابت منها ، يأخذوا به ويقبلوا عليه ويعلنوا عنه ... والظني الموهوم ، فيعرضوا عنه ويدعوا إلى تركه ، ولكن مع التزام الدعوة إلى الحرية المطلقة في الأخذ والترك :

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ (١٨ - ٢٩)

وعلماء الحضارة الحديثة ، لم يلموا عن كتب ، بحقيقة القمر الظاهرية الإمامة الأولى التي عرضوها على التلافي ، وأدهشت العالم أجمع ، وأثارت في الأوساط كافة الأخذ والرد ، إلا بعد جهادٍ طويلٍ صارخ ، وتضحيات جلى ، إثر تضحيات جلى تفوق الحصر .

وإذا كان كل ذلك الجهاد الشاق الهائل ، وكل تلك التضحيات الكبرى المتتابة ، وكل هاتيك الحشود من رواسخ علماء الحضارة ، وكل بحوثهم واطلاقات صواريخهم وعرباتهم ومحطاتهم الفضائية ، من أجل التمكن من معرفة خصائص المجموعة الشمسية الأولى عن كتب . فما بالك

بما يقتضية الصعود ، إلى ما وراءها من المجموعات الشمسية ، وما وراءها يعد بمليارات المليارات ، ولن يستوعبها إلا بفروض العلم المادي وظنونه ونظرياته .

وإذا كان هذا شأن الإلمام ، بالمعارف الظاهرية للأكوان عن كتب ، فما بالك بالمعارف المتوارية خلف مظاهرها المادية ، وخلف وظائفها وأعمالها ، وخلف مراكزها ومجاريها في مجاهل أبعاد الفضاء السحيقة .

وإذا كانت كل هذه المجهودات يقتضيها كشف خصائص صفات الأكوان الخفية . فما بالك ألف ألف مرة بكشف خصائص صفات مبدعها ومكونها المهيمن عليها والمتصرف فيها ، بداية ونهاية وبقاء ، وفق علمه وإرادته وقدرته ..

إذن فكم تكون الجرأة فاحشة ، والحرية عمياء ، والدراسة عرجاء ، ومكبلة بأغلال التقاليد ، وأوهام فروض النظريات ، وظنون التأويلات ، ودس النصوص الموضوعة ، حين تسمع فريقاً من المحاضرين يتحدثون عن خصائص صفات الله جل جلاله ، كما يتحدثون عن الجاذبية ، أو الأثير أو القمر أو المريخ أو الزهرة ، أو عن أي مذهب من المذنبات ، أو عن أي كائن من عالم الحيوان أو النبات .

لا لا - يا سادتي - !!

هذا حرام ، هذا خروجٌ عن حقائق العلم اليقيني ، وعن حقائق الوحي اليقيني .

لذلك تجبني التزم كل الالتزام في حديثي ، وفي كتابتي عن خصائص صفات خالقنا جل وعز : أصليين أساسيين ولا انفصال بينهما :

الأول : حقائق الوحي اليقيني .

الثاني : حقائق العلم اليقيني . وهما لا ينفصلان ، ولا يتعارضان .

وكيف ينفصلان ، أو يتعارضان ، ومعارف العلماء اليقينية قبسٌ من معارف الوجود ، وكذلك معارف وحي الله ، بارقةٌ من أنوار علم الله الأزلي الشامل : أي مآثهما واحد ، وهو الله الخالق العليم الخبير .

وإن سمعت خلافاً زعمه لك سطحي المعرفة طفل التفكير والتحقيق . فاعلم أن مآثاهُ من القروض ، والتقديرَات التي تضافُ إلى العلم اليقيني ، ومن الظنون والأوهام والتأويلات المزمَنة ، والأساطير والترهات التي دست وتُدس في وحي الله اليقيني من قبل الملحدِين ، أو المخرفِين .

ولإني هنا في هذا المؤلف ، اختصر الحديث عن الأصلين الأساسيين :

١ - حقائق الوحي اليقيني .

٢ - وحقائق العلم اليقيني .

ليعلم المطالعون المفكرون خصائص صفات الله العظيم في العلم والوحي . أما التوسعة فيها فهذا شأن سواي من أعلام العلماء المتبتلين ، لتصفية المعرفة اليقينية ، من كل موارِيث ثقافة البشر المختلطة ، وما أكثر الثقافات المختلطة في عصرنا ، وما أكثر الذين انبروا لتصفيتها .

خصائص صفات الله تعالى في الوحي اليقيني

إذا قصدت أن تعلم خصائص صفات الله الخالق العظيم ، على وجهها العلمي الصحيح ، فادرسها :

أولاً : في يقين الوحي الإلهي ، وثانياً : في يقين العلم ، وقد تقدم ذكرُ جانب منها . وفي ما يلي أعرض جانباً آخر . خذه متتابعاً ، في يقين نصوص الوحي الإلهي - القرآن المجيد - ...

١ - أسماء الله وصفاته أزلية أبدية ، وجليلة ، وكاملة ، وكلها

تدل على سلطان قدرته الخالقة التي لا يعجزها شيء ، وتدل على رحمته
الواسعة ، وعلمه الأزلي الشامل ، وعلى كل كمال يليق بجلاله :

قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى (١٧ - ١١٠)

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ (٢٢)

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ
الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)
هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥٩ - ٢٤)

والغاية أن الأسماء الحسنى ، المذكورة في نصوص وحي الله اليقيني ،
هي خصائص ما يجب له من صفات الكمال .

٢ - كل الكائنات الموجودة في عالمنا ، أو في عوالم السموات هي
تكوينية وهي متصفة بصفة العبودية له جل وعز ، ولا تستكبر عن عبادته ،
ولا عن تسييحه وتقديسه عن الشريك والنَّد ، وكل ما اتخذهُ أهل الأرض
من آلهة ، هي باطلة ، إذ يستحيل أن يكون خلق الكائنات من صنع
أسرة من الآلهة مكونة من إلهين أو أكثر ... إذ واضح أن خصائص
صفات الله الخالق العظيم ، يستحيل أن يتصف بها فرد من أفراد الكائنات ،
ليصح أن يكون شريكاً لله في ملكه ، ونِدْماً ووزيراً ومعيناً ...

يا هؤلاء سبحوا الله الخالق العظيم ، وقدموه عن مثل هذه الأوصاف .
فهو وحده رب السموات والأرض ، رب العرش العظيم . ولا ريب أن
سواه ، من أي كون من الأكوان ، هو صنع قدرته وإرادته وعلمه :

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)

أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١)

لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ (٢١ - ٢٢)

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ .
(٤٣ - ٨٤)

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ
فَارْهَبُونِ (٥١)

وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ .

(١٦-٥٢)

٣ - الخالق العظيم ، يستحيل أن تكون ذاته مفصولة ، عن كون من الأكوان ، المادية أو الطاقية ، أو يفصل عنها شيء من ذلك . فالانفصال يقتضي المثلية في الذات والصفات والأفعال ، والمثلية من صفات النقص ، المتزه عنها رب العالمين ، والانفصال بكل أنواعه من خصائص صفات الأكوان ، لا من خصائص صفات المكون ..

... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٤٢-١١)

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٦-٨٢)

وهذا السبب هو الذي من أجله أنزلت سورة الاخلاص ، لأن زعماء قريش ، خالوا رسول الله يدعوهم إلى عبادة فرد من أفراد الكائنات المؤهلة ، شأن كل الأديان الوثنية المعتمدة في الجاهلية .

لذلك سألوهم عن نوع الإله الذي يدعوهم لعبادته ، فترلت جواباً لسؤالهم :

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (١١٢-١ و ٢ و ٣ و ٤)

٤ - الله وحده المكون لكل الكائنات ، سواء المادية منها والطاقية ، وسواء العاقلة وغير العاقلة ، وباطل الزعم أن الله طاقة روحية عاقلة حالة في كل الأكوان ، والزعم أنه طاقة روحية خاصة أيضاً . لا لا . الله جل جلاله أزلي قديم ، لا أول لوجوده ولا آخر . بل :

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .
(٥٧ - ٣)

وكيف يكون الله طاقة روحية عامة ، أو طاقة روحية خاصة ، وهو خالق الطاقات كلها العاقلة كالأرواح والجن والملائكة ، وغير العاقلة كالجاذبية والأثير والضوء .

لعلك تتوهم أن الموجود لا يكون إلا كذلك ، من أجل ذلك زعموا الحلول .

نعم الله موجود حقاً وصدقاً ، والكائنات كافة دلائل وجوده الناطقة ، ولكن لا يعلم حقيقة ذاته وصفاته إلا هو :

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً (٢٠ - ١١٠)
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .
(١٠٣ - ٦)

وما دامت الطاقات الروحية العاقلة : كالجن والشياطين والملائكة والأرواح هي بعض مخلوقاته ، فكيف يكون هو مثلها . تعالى الله عن ذلك . وجاء هذا الانحطاط المخيف ، من سوء فهم خصائص صفات الله الخالق العظيم ، وسوء الفهم ينتج عن الجهل ..

وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ

عَلِمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (٦ — ١٠٠)
 وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا
 يَعْبُدُونَ (٤٠)

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ
 أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٣٤ — ٤١)

والسبب ان الملائكة محال ان يشجعوا أحداً على عبادتهم ، لأنهم
 أطهار لا يعصون الله أبداً ، إنما يفعل ذلك الجن ، لأنهم مختارون ،
 ولأن الكفر والفسوق يكثر في غير المؤمنين منهم .
 وعباد الجن يستعيذون بهم من دون الله :

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
 رَهَقًا (٧٢ — ٦)

ومهما يكن فالذين يعبدون غير الله الخالق العظيم ، تنزل عليهم
 الشياطين لأجل إضلالهم ، ولأجل استمرارهم في كفرهم ، وتشجيعهم
 عليه حتى يتخيلوا ما هم عليه من عبادة غير الله هو الحق والعلم والواقع .

هَلْ أَتَبْتُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢٠) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ
 أَثِيمٍ (٢٦ — ٢٢١)

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
 لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٣٧ — ١٥٩)

والتَّسْبُّ الذي جعلوه ، هو زعمهم أن الجنة والملائكة والأرواح ، منفصلة عن ذاته تعالى ، ولذلك عبدوها بحجة أنها بنون وبنات لله ، هذا وصفهم لله تعالى . والله متزه ومقدس عن مثل هذا الوصف الجاهل الخاسر الأرعن ...

هـ - ومن خصائص صفاته ، أنه لا يكلم عباده وجهاً لوجه ، كيف يصح ذلك ، والأرض والسموات بكل عوالمها الهائلة تنطوي في يمينه . بل يكلمهم بالطريقة التي ذكرها لنا :

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (٤٢ - ٥١)
أجل هو أعلى من المواجهة كل العلو ، وإنه سبحانه وتعالى تنزه وتقدّس عن ذلك .

وتأمل كيف سمع موسى نداء الوحي الإلهي من الشجرة :
فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ
نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ
أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ
مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٨ - ٣٠)
وانظر شأن موسى ، حين طلب إلى الله ، أن ينظر إليه ، حين جاء لميقاته الذي عينه له .

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ
 قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ
 فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
 صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.

(٧ — ١٤٣)

وكان خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ يسمع الوحي بأذنه كصلصلة
 الجرس ، وأحياناً يرى الروح الأمين يخاطبه بالوحي . وأحياناً يترله على
 قلبه فيسمع الوحي ينبعث من أعماقه :

وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى
 قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٢٦ — ١٩٤)

ولما كان جماعات من البشر ، اتخذوا آلهة مختلفة من أفراد الكائنات ،
 وتصوروا أن كل إله له يدٌ في الخلق والايجاد وتصريف أعمال الكائنات ..
 ولما كان كل ذلك باطلٌ في باطل ، أفهمهم في خاتم وحيه المعجز ،
 الصفة الحقيقية الخاصة برب العالمين ، وخالق الخلق أجمعين . أفهمهم
 أن الخلق والايجاد والتصريف والهيمنة والسلطان في كل شيء هي له
 وحده ، وأنه متزهٌ ومقدسٌ عن الشركة في شيء ما من الكائنات ،
 وكل ذلك إشراك وكفر ..

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ
 وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٨ — ٦٨)

وتأمل معجزات الرسل والأنبياء ، التي يؤيدهم الله بها تثبيتاً لهم
واعلاناً لصدقهم ، هي من فعله وحده :

فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ
الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٢١ — ٧٩)

حتى الذين يفعلون الجرائم ، إنما يفعلونها بمقتضى منحهم الحرية
المختارة ، التي سبقت بها حكمة الله التكوينية ، أن تكون لعالمي الانس
والجن ، ولو شاء الله أن يجعلهم مجبورين في أعمالهم شأن الملائكة ، لما
استطاعوا فعل ذلك :

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ
لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ (٦ — ١٣٧)

٦ — رسل الله عبادٌ مكرمون أبرارٌ أطهارٌ ، صادقون مخلصون ،
معصومون عن المآثم كلياً كبارها وصغارها .

ووظيفتهم أجلٌ وظيفسة في الوجود ، هي دعوة إخوانهم البشر إلى
عبادة الحق جل وعلا وتقريبهم منه .

وهم لا يدعون الألوهية لأنفسهم ، ولا يطلبون إلى أتباعهم عبادتهم .
وكل ذلك ظاهر في نصوص الوحي اليقيني :

يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ
أُنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٦ - ٣)
 مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ
 لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ
 بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٣ - ٧٩)
 وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ
 بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٣ - ٨٠)

٧ - وحي الله يكشف للعلماء المؤمنين ، أن الأرواح الشريرة الكافرة
 - شياطين الجن - يُثيرون - بما يملكون من طاقات فعالة - شهوات
 الجنس والمال والجاه والسلطان ، لعبادتهم من دون الله ، وتمكينهم من
 كل ذلك ، بأخبث الوسائل وأشرها وأكفرها ..

شأن شياطين الإنس الذين فرضوا ألوهيتهم وعبادتهم على الناس فرضاً :
 كفرعون ونمرود وسواهما . ولا يترفعون عن البطش بالذين يرفضون
 ألوهيتهم وعبادتهم .

والحق أن كل عبادة لغير الله ، هي تمردٌ على حقائق الوجود العليا ،
 وكفر بمثل الانسان الخالد ، التي أوحاها الله في كتبه السماوية المنزلّة ،
 وانحراف عن وقائع العلم اليقيني ، ومصالح الأفراد والجماعات كافة :

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ
 عَظِيمٌ (٢٣)

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ

الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٧ — ٢٤)
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقَدْ
 لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ
 مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٨ — ٣٨)

وهذا سيدنا ابراهيم الخليل لما رأى أباه وقومه يعبدون الأصجار التي
 ينحتونها ، اعتبرها عبادة للشيطان ، لأنه هو الذي يزين لهم ويساعدهم
 على ذلك :

يَا بَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً
 سَوِيّاً (٤٣)

يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً (١٩-٤٣)
 ولا ريب أن صفات الشيطان كلها نقصان ، وهي مستحيلة على رب
 العالمين .

وجاء في سورة ياسين :

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
 مُبِينٌ (٣٦ — ٦٠)

٨ - رضي البشر بالدون من الدين ، ولم يرضوا بالدون من العيش ،
 فتجدهم يدأبون ويضحون ويسعدون ويركبون الأخطار من أجل السمو
 بكل أسباب العيش ، أما تشاهدهم شيدوا المختبرات الكيميائية الضخمة !!
 والجامعات العلمية الفخمة !! والمصانع الكبرى المختلفة !! لأجل التطور

والاحسان والتقدم بالمواصلات ، والاجادة في الطبابة ، والابداع في أنواع السكن والفنون وكل مرافق الحياة .. ولكن والأسف يحجز النفوس ، لم يفعلوا شيئاً من ذلك لأجل التخلص من الانحطاط العقائدي ، بل ظلوا مستمسكين بما ورثوه من آباءهم وأجدادهم ، ولو كان ما ورثوه عبادة الشيطان أو الحيوان أو النبات أو الأحجار ، أو الأرواح .

وكان هذا الانحطاط هو السبب في عدم التمييز بين خصائص صفات الله الخالق العظيم ، التي تليق بجلاله ، وخصائص صفات أفراد الكائنات ، التي اتخذت آلهة وعُبدت من دونه عمداً العامدين وإصرار المصريين ، وتقليد المقلدين والاتباء بالآباء ، ولو بالهوي في مهاوي الضلالة ، والجهالة والردى .

والآن ينبغي للمطالع أن يتعمقوا الآيات الآتية ، فإنهم يلمسون كيف يعتمد البشر المنحرفون الجاهلون المقلدون عدم الاهتمام بخصائص صفات الله خالق الوجود :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ (٢- ١٧٠)

واتباع الأبناء للآباء على العمى والصمم عن كل جديد نافع داء عياء مزمن .

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ تِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١- ١٠٩)

لا ألوهية للأكوان ، أياً كانت من مادة أو طاقة عاقلة أو غير عاقلة . إنما الألوهية للمكون وحده جل وعز .

ولكن للأكوان العبودية ، هذه العبودية للمكون جل وعز ، هي شرف الكائن ، ومحل اعتزازه وفخاره وسموه ورفعته وقربه من خالقه ، وتكبيره له ..

والله منزّه عن مشابهة الأكوان ، التي أشهده إياها ليلة الإسراء والمعراج ، ومنزّه بصورة خاصة عن عجزه عن فعل ذلك ، هذا مدلول : سبحانه الذي أسرى بعبدّه . ولما كان شرف العبودية لرب العالمين ، ماثلاً في الذات المحمدية بأجلى مظاهره ، في كل ما يأخذ به أو يدع ، كرمّها سبحانه وتعالى بنسبتها إليه ورضاه عنها ، والتنويه بها في وحيه ، بقوله جل وعز :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ... (١٧ — ١)

والعبودية صفة الكائن المحدود بمحدودها ، وهي من خصائص المخلوقين . وتخالف صفة الألوهية ، التي هي أولى الصفات الخاصة بالله الخالق العظيم ، حتى في الإطلاق اللغوي . لأنها مطلقة غير محدودة ، ولا يجوز إطلاقها على غير الله أبداً ، في يقين العلم .

خذ مثلاً الشمس المؤهلة لدى فريق من البشر ، فإنها محدودة بمحدود فلکها هي وأضواؤها وطاقاتها الحرارية . فكيف توصف بالألوهية المطلقة . هذا مناقض للواقع . يقول الله تعالى :

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
وَلِيَذْكُرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ (١٤ — ٥٢)

ويقول :

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (٤٨ — ١٩)

نعم هناك ألفاظ مطلقات ، على صفات ذات الله الخالق العظيم غير المحدودة ، وأسمائه كالعلم والإرادة والسمع والبصر والحياة والكرم والقدرة ، تطلق على الكائنات العاقلة المحدودة بمحدود العبودية ، شأن كل مخلوق لله الخالق العظيم .

فمثلاً العلم المطلق الشامل لما كان ويكون أزلاً وأبدأ ، هو الله وحده . ويكون حادثاً محدوداً ، إذا أطلق على غير الله جل وعز كالملائكة والإنس والجن .

وهذا وضع سائر الصفات المستعملة في حق غير الله جل وعز .

نعم هناك صفة أخرى لا يجوز إطلاق لفظها لغير الله جل وعز هي القيومية بالنفس ، فإنها صفة دائمة غير محدودة بمحدود العبودية ، فلا يجوز أن تقول لأي كائن إنه قائم بنفسه ، أي خارجاً عن الخضوع لسلطان الجهات الست . الله وحده هو الحي القيوم .

لا ريب أن الخالق العظيم متزه "ومقدس" عن كل صفات النقص ، الخاصة بالصنف الانساني كالعجز والموت والسيان والتردد والندم والتعب والضيق والتقاتل والسنة والنوم ، وما أشبه ذلك ، من خصائص صفات المخلوقات . واليك نصوص الوحي اليقيني التي تكشف لك هذه الحقائق :

الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... (٢ - ٢٥٥)

وجاء في نفي العجز والتعب عن الله قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ

عَلَى أَنْ يُخَيِّ الْمَوْتَى ... (٤٦ - ٣٣)

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا
مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٥٠ - ٣٨)

واللغوب : التعب والإعياء

والله لا ينسى ، مستحيل ذلك :

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٨ - ٦)

أما قوله تعالى :

نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ٩-٦٧

أي أهملهم جزاء نسيانهم حقوق الله عليهم . وهذا من باب المشكلة
البلاغية . ورد في النصوص الأدبية :

اقترح شيئاً نَجِدُ لك طبخه ' قُلْتُ اطبخوا لي جُبَّةً وقيصاً

فهرست

٥	الأهداء	١
١٣	مقدمة الطبعة الأولى	٢
٢١	مقدمة حول مكانة الكتاب	٣

١ . حقائق الايمان

إلفات نظر ٩٣ - القرآن معجزة كونية أبدية ١٠٠ - الجهل ييقن العلم والدين ١١١ - مآنى الأحكام العامة الجاهلة ١١٤ - عالما النعيم والعذاب وحقائقها ١٢٢ - وجود الطاقات الروحية العاقلة ١٢٦ - الاتصال بعوالم الطاقات العاقلة ١٣٠ - التمييز بين عوالم الطاقة والمادة ١٣٧ - دلائل العلم على وجود الطاقات العاقلة ١٤٠ - تعريفات وبيان بعوالم الطاقات العاقلة ١٤٥ - عالما النعيم والعذاب في نصوص وحي الله اليقيني ١٥١ - البعث ١٦٥ - ثمرة الايمان بالله واليوم الآخر ١٧٧ .

٢ . سبل لفهم سورة ياسين

الاعلام والصوى ١٨٣ - معجزة البعث وحقائق العالم الثاني ١٨٧ - الحقائق الثلاث التي بها تكشف حقائق العلم اليقيني ٢٠٢ - تحريم الايمان بدون برهان ٢١٢ - النصوص الدالة أن القرآن الكريم مشتمل على تأويل مدخر للمستقبل ٢٢٠ - سعة الفضاء وعوالمه ٢٢٨ - أسباب الجرأة على الكفر بوحى الله اليقيني ٢٣٤ .

٣ . شرح لغويات سورة ياسين

٤ . تفسير سورة ياسين

٥ . عرض معجزات سورة ياسين

- نوطنة ٢٧٧ - معجزة الانسان الكامل في مدلول لفظة آيس ٢٨٠ -
معجزة القسم بالقرآن الحكيم على صدق الرسالة ٢٨٢ - معجزة الرسالة ٢٨٦ -
إصرار أكثرية البشر على الايمان بالظنون والأوهام ٢٩٠ - معجزة كشف
واقع التقاليد وأضرارها ٢٩٣ - معجزة إحياء الموتى ٢٩٦ - معجزة انتصار
الرسول ومصير المكذبين ٣٠٠ - البشر وتكذيب الرسل ٣٠٣ - معجزة
تكوين الأرض ٣٠٤ - معجزة الأزواج في التكوين ٣٠٦ - معجزة
الأزواج في الكائنات ٣٠٨ - من معجزات التكوين ٣١٦ - معجزة جلال
الله وكماله في ذاته وصفاته وأفعاله ٣٢٦ - معجزة تكوين العوالم السماوية ٣٣٠ -
معجزة منازل القمر ٣٣٦ - معجزة تنظيم مسيرة أجرام السماء ٣٤٧ -
معجزة المواصلات العامة ٣٥١ - معجزة المواصلات في جزيرة العرب ٣٥٨ -
سبب الإعراض عن الإيمان ٣٦٣ - معجزة حرية الارادة ٣٧٢ - معجزة
الشجر الأخضر والنار لإثبات حقائق البعث ٣٧٧ - معجزة خصائص
صفات الله جل وعز ٣٩٥ - معجزة خصائص صفات الله الخالق العظيم ٤٠١ -
العلم والوحي اليقينيان يقدمان خصائص صفات الله جل وعز اليقينية ٤٠٦ .